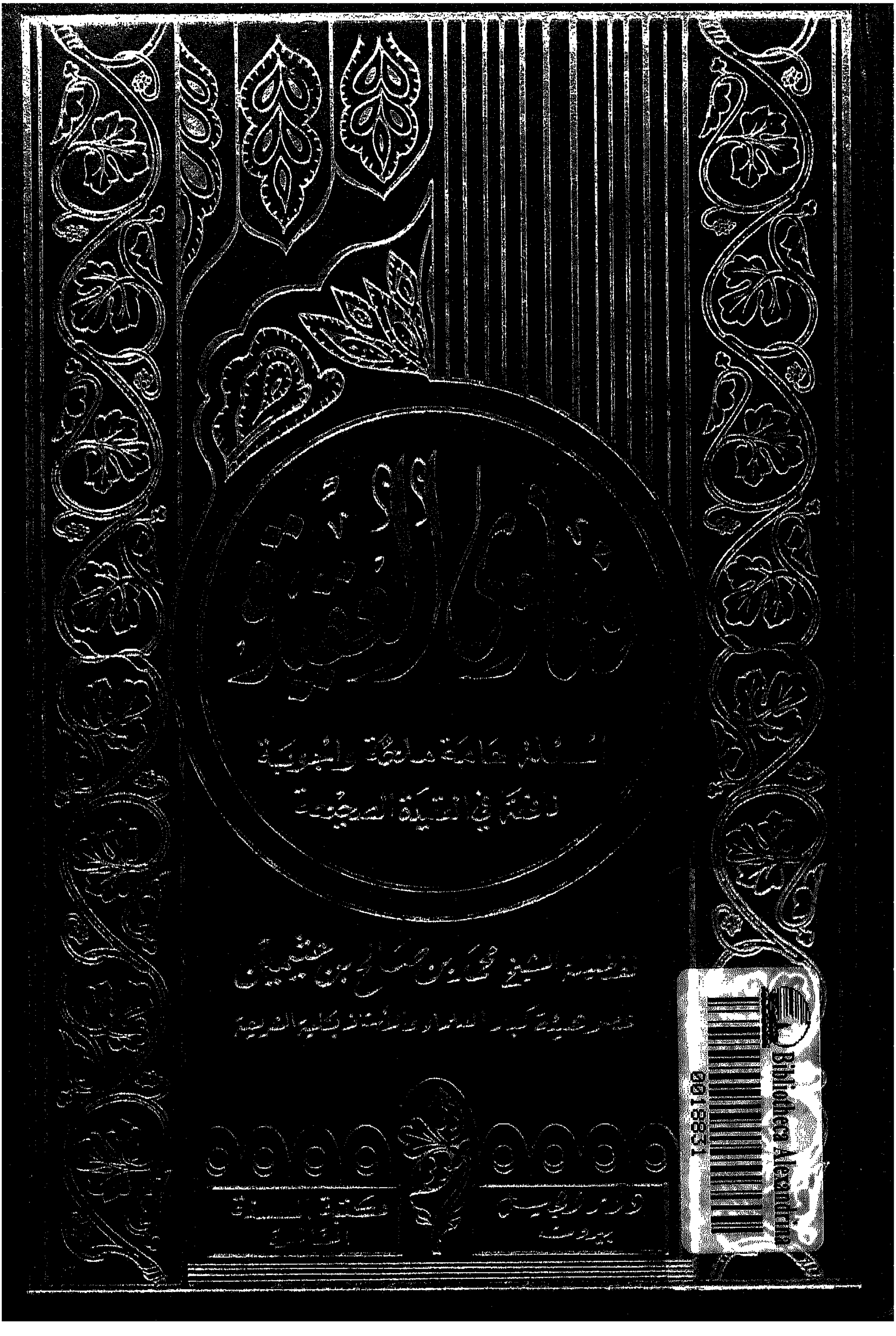

شرح الأربعين النووية

[illegible] جامعة [illegible]
[illegible] في السنة الصحيحة

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بكلية الشريعة

دار الثريا
بيروت

[illegible]
القاهرة

Bibliotheca Alexandrina
0018831

فتاوى العقيدة

أسئلة هامة ملحة وأجوبة نافعة في العقيدة الصحيحة

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح بن عثيمين
عضو هيئة كبار العلماء والأستاذ بكلية الشريعة

دار الجيل
بيروت

مكتبة السنة
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن قضايا الإيمان من أهم ما يحتاج إليه المسلم المعاصر، والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية ضرورة.. بل ضرورة مُلحّة وخاصة في هذا الوقت الحاضر الذي بدأت فيه الصحوة الإسلامية تظهر في شتى أرجاء المعمورة.

وتأتي هذه الضرورة في الوقت الحاضر بالذات لأنه لابد للأمة من معالم صحيحة في طريق عودتها إلى الله تبين لها المنهج الصحيح في فهم العقيدة التي هي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح، وما لم يكن المنهج المتبع صحيحا فإن اليقظة الإسلامية ستنحرف عن مجراها السليم. ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن « منهج أهل السنة والجماعة » في فهم العقيدة هو المنهج الصحيح الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم لكي تصبح بحق « أمة مسلمة » تستحق نصر الله ورضوانه.

ولذا فقد آثرنا جمع ونشر هذا الكتاب لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين لأهميته في هذا المضمار فقد كشف الشبهات عن جوانب كثيرة تمس إليها الحاجة بالأدلة الصحيحة، في أسلوب سهل ميسر، فجزاه الله خير الجزاء.

*** مصادر الفتاوى:**

- فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين .... إعداد أشرف عبد المقصود.
- فتاوى نور على الدرب..... إعداد فايز موسى أبو شيخة (معتمدة من الشيخ).
- أسئلة مهمة تمس إليها الحاجة ..... رسالة طبعت مراراً (معتمدة من الشيخ).
- فتاوى ودروس الحرم المكى .... (عرضت على الشيخ).

- المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين.... إعداد فهد السليمان.
- فتاوى نشرت في جريدة « المسلمون »
- فتاوى خطية بقلم الشيخ – حفظه الله –.

ويمتاز الكتاب بتوثيق الفتاوى مع ترتيبها وإعدادها في أبواب علمية فقهية ذات ترتيب مميّز ونسق خاص، إذ أن جميع ما نُشر من قبل لفضيلة الشيخ، قد فُرقت فيه الفتاوى وتناثرت بين صفحات الكتب، فجمعناها بين دفتي هذا الكتاب ليسهل تناولها.

وعسى أن يلمس محتوى هذا الكتاب قلباً مؤمناً فيزيده إيماناً، أو يصادف عقلاً حائراً فيكون له برهانا، أو يواجه نفساً أمّارة فيكون عليها سلطانا، والحمد لله رب العالمين.

الناشر

التوحيـــد وأقســـامه

١ سئل الشيخ ، هل الإيمان هو التوحيد ؟ أم انّ بينهما فرقاً ؟

فأجاب : التوحيد : إفراد الله عزّ وجلّ بما يختص به ويجب له . والإيمان : هو التصديق المتضمن للقبول والإذعان . وبينهما عموم وخصوص : فكُلُّ مُوَحِّدٍ مؤمنٌ ، وكُلّ مؤمن مُوَحّد بالمعنى العام .

ولكن أحيانا يكون التوحيد أخصّ من الإيمان . والإيمان أخصّ من التوحيد . والله أعلم .

٢ سئل الشيخ أعلى الله درجته في المهديين : عن تعريف التوحيد وأنواعه ؟

فأجاب بقوله : التوحيد لغة : – مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحدًا ، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ، نفي الحكم عما سوى

الموحد ، وإثباته له ، فمثلًا نقول : إنه لايتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل ويثبتها لله وحده ، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض ، والإثبات المحض لايمنع مشاركة الغير في الحكم ، فلو قلت مثلًا فلان قائم فهنا أثبتَّ له القيام لكنك لم توحده به ، لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام ، ولو قلت لا قائم . فقد نفيت نفيًا محضًا ولم تثبت القيام لأحد ، فإذا قلت : لاقائم إلا زيد فحينئذٍ تكون وحدت زيدًا بالقيام حيث نفيت القيام عمن سواه ، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع ، أي أن التوحيد لايكون توحيدًا حتى يتضمن نفيًا وإثباتًا .

وأنواع التوحيد بالنسبة لله عز وجل تدخل كلها في تعريف عام وهو **إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به .**

وهي حسب ماذكره أهل العلم ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لايخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو « إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك ، والتدبير » وتفصيل ذلك :

أولا : بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق : – فالله تعالى وحده هو الخالق لاخالق سواه قال الله تعالى : –

﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَاَ إِلَهَ إِلا هُو** ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى مبينّ بطلان الهة الكفار ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُون** ﴾⁽²⁾ فالله تعالى وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وخلقه يشملُ ما يقع من مفعولاته ، وما يقع من مفعولات خلقه أيضًا ، ولهذا كان من تمام الإيمانِ بالقدر أن تؤمن بأن اللّه تعالى خالق لأفعال العباد كما قال اللّه تعالى :- ﴿ **واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾⁽³⁾ ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته والعبد مخلوق لله وخالق الشيء خالق لصفاته ، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة ، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب .

فإن قيل : – كيف نجمع بين إفراد اللّه عز وجل بالخَلْقِ مع أن الخَلْق قد يثبت لغير اللّه كما يدل عليه قول اللّه تعالى ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين** ﴾⁽⁴⁾ وقول النبي ﷺ في المُصَوِّرِين « يُقَالُ لَهم أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم » ؟

---

(١) فاطر : ٣ .

(٢) النحل : ١٧ .

(٣) الصافات : ٩٦ .

(٤) المؤمنون : ١٤ .

فالجواب على ذلك : أن غير اللّٰه تعالى لايخلق كخلق اللّٰه فلا يمكنه إيجاد معدوم ، ولا إحياء ميت ، وإنما خلق غير اللّٰه تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله عز وجل ، فالمصور مثلًا ، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئًا غاية ما هنالك أنه حول شيئًا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل ، والورقة البيضاء من خلق اللّٰه عز وجل ، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى اللّٰه عز وجل ، واثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق . وعلى هذا يكون اللّٰه سبحانه وتعالى منفردًا بالخلق الذي يختص به .

ثانيًا : إفراد اللّٰه تعالى بالملك فالله تعالى وحده هو المالك كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾⁽¹⁾ . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ** ﴾⁽²⁾ فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو اللّٰه سبحانه وتعالى وحده ، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت اللّٰه عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مفَاتِحَهُ** ﴾⁽³⁾ . وقوله : ﴿ **إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُم** ﴾⁽⁴⁾ . إلى غير ذلك من

---

(١) الملك : ١ .

(٢) النور : ٦١ .

(٣) المؤمنون : ٦ .

(٤) المؤمنون : ٨٨ .

النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكا لكن هذا الملك ليس كَمِلْكِ الله عز وجل فهو مِلْكٌ قاصر ، ومِلْك مقيد ، مِلْك قاصر لايشمل ، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو ، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد ، ثم هذا الملك مقيد بحيث لايتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نَهَى النبيُّ ﷺ عن إضَاعَة المَالِ وقال الله تبارك وتعالى : **﴿ ولاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾**(١) . وهذا دليل على أن مِلْكَ الإنسانِ مِلْك قاصر ومِلْك مقيد ، بخلاف مِلْك الله سبحانه وتعالى فهو مِلْك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى مايشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ثالثا : التدبير فالله عز وجل منفرد بالتدبير فهو الذي يدبرالخلق يدبر السماوات والأرض كما قال سبحانه وتعالى : **﴿ ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾**(٢) . وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء . والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود وهو مقيد غير مطلق .

فظهر بذلك صدق صحة قولنا إن توحيد الربوبية هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير .

---

(١) النساء : ٥ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

النوع الثاني : توحيد الألوهية وهو إفراد اللّٰه سبحانه وتعالى بالعبادة ، بأن لايتخذ الإنسان مع اللّٰه أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد اللّٰه تعالى ويتقرب إليه وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبىء نساءهم وذريتهم ، وهو الذي بعثت بهِ الرسل وانزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية والأسماء والصفات ، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوعِ من التوحيد – وهو توحيد الألوهية – بحيث لايصرف الإنسان شيئًا من العبادة لغير اللّٰه سبحانه وتعالى ، لاالملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، ولا لولي صالح ، ولا لأي أحد من المخلوقين ؛ لأن العبادة لاتصح إلا لله عز وجل ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية ، وبتوحيد الأسماء والصفات . فلو أن رجلًا من الناس يؤمن بأن اللّٰه سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور ، وأنه سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكن يعبد مع اللّٰه غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات . فلو فرض أن رجلًا يقر إقرارًا كاملًا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماءِ والصفاتِ لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانًا يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار ، قال اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾(١) . ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب اللّٰه عز وجل أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ

---

(١) المائدة : ٧٢ .

واستحل دماءهم ، وأموالهم وسبىء نساءهم ، وذريتهم ، وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق لايشكون في ذلك ، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل . فلابد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز ، ولكن من غير تكييف ، ولا تمثيل ، وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى : - منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوًا يخرج به من الإسلام ، ومنهم متوسط ومنهم قريب من أهل السنة . ولكن طريقة السلف في هذا النوع من التوحيد هو أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة ، لاتحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولاتمثيل .

مثال ذلك : - أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء . وسمى الله نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وبالسمع صفه من صفاته وبأنه يسمع

وهو الحُكْم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة ، فإن سمعيًا بلا سمع أو سمعًا بلا إدراك مسموع هذا شيء محال وعلى هذا فَقِسْ .

مثال آخر : – قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾(١) . فهنا قال الله تعالى : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع ، فيجب علينا أن نؤمن بأن للّه تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم ، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بقلوبنا تصورا ، ولا بألسنتنا نطقا أن نكيف تلك اليدين ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين ، لأن اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(٢) ويقول اللّه تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ** ﴾(٣) . ويقول عز وجل : ﴿ **وَلاَتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُل أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾(٤) . فمن مثَّل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذّب قول اللّه تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾(٥) . وقد عصى اللّه تعالى في قوله : ﴿ **فَلاَ تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ** ﴾(٦) . ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة أيًا كانت هذه الكيفية فقد قال على اللّه مالا يعلم وقفى ماليس له به علم .

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) الشورى : ١١ .
(٣) الأعراف : ٣٣ .
(٤) الإسراء : ٣٦ .
(٥) الشورى : ١١ .
(٦) النحل : ٧٤ .

ونضرب مثالًا ثانيًا في الصفات : – وهو استواءُ الله على عرشه فإن الله تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ وبلفظ ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عدي بعلى لايتقضي إلا الاتفارع والعُلُو ، فيكون معنى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(١) . وأمثالها من الآيات : أنه علا على عرشه علوًا خاصًا غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علوًا يليق به عز وجل لايشبه عُلُو الإنسان على السرير ولا علوه على الأنعام ولا علوه على الفلك الذي ذكره الله في قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْفُلْكِ والأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لمنقَلِبُونَ ﴾(٢) . فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه ؛ لأن الله ليس كمثله شيء .

وقد أخطأ خطأً عظيمًا من قال إن معنى استوى على العرش استولى على العرش ؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه ، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان ، ومستلزم لِلَوَازِمَ باطلة لايمكن لمؤمن أن يتفوه بها بالنسبة لله عز وجل . والقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلاشك كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ

---

(١) طه : ٥ .

(٢) الزخرف : ١٣ –١٤ –١٥ .

قُرءانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) . ومقتضى صيغة « استوى على كذا » في اللغة العربية العلو والإستقرار بل هو معناها المطابق للفظ . فمعنى استوى على العرش أي : - **علا عليه علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته** ، فإذا فسر الاستواء بالاستيلاء فقد حرف الكلم عن مواضعه حيث نفى المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو وأثبت معنى آخر باطلا .

ثم إن السلف والتابعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى إذ لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك ، وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة ولم يرد عن السلف تفسيره بما يخالف ظاهره فالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه .

فإن قال قائل : - هل ورد لفظ صريح عن السلف بأنهم فسروا استوى بـ (علا) ؟ .

قلنا : - نعم ورد ذلك عن السلف ، وعلى فرض أن لا يكون ورد عنهم صريحًا فإن الأصل فيما دل عليه اللفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه باقٍ على ماتقتضيه اللغة العربية من المعنى فيكون إثبات السلف له على هذا المعنى .

أما اللوازم الباطلة التي تلزم من فسر الاستواء بالاستيلاء فهي : -

أولًا : - أن العرش قبل خلق السموات والأرض ليس ملكا لله تعالى لأن الله تعالى قال : **﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾**(٢) .

---

(١) الزخرف :٣ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

وعلى هذا فلا يكون اللّٰه مستوليًا على العرش قبل خلق السموات ولا حين خلق السموات والأرض .

ثانيًا : أنه يصح التعبير بقولنا أن اللّٰه استوى على الأرض واستوى على أي شيء من مخلوقاته وهذا بلا شك ولا ريب معنى باطل لايليق بالله عز وجل .

ثالثًا : أنه تحريف للكلم عن مواضعه .

رابعًا : أنه مخالف لإجماع السلف الصالح رضوان اللّٰه عليهم .

وخلاصة الكلام في هذا النوع – توحيد الأسماء والصفات – أنه يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات على وجه الحقيقة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

٣ — وسُئِلَ : عن شِرْك المشركين ما هو ؟ وما أقسام التوحيد ؟

بالنسبة لِشرْك المشركين الذين بُعث فيهم النبيُّ ﷺ فإنه ليس شِرْكاً في الربوبية لأن القرآن الكريم يدلُّ على أنهم إنما كانوا يشركون في العبادة فقط .

أما في الربوبية فيؤمنون بانّ اللهَ وَحْدَه هو الربُّ ، وأنه مُجيبُ دعوة المضطرين ، وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذَكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله عزّ وجلّ وحده .

ولكنهم كانوا مشركين بالعبادة يعبدون غير الله معه ، وهذا شِرْك مُخْرِجٌ عن المِلَّة ، لأنَّ التوحيد هو عبارة – حسب دلالة اللفظ – عن جَعْل الشيءِ واحدا ، والله تبارك وتعالى له حقوق يجب أَنْ يُفرد بها ، وهذه الحقوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ –حقوق مِلْك .
٢ – حقوق عبادة .
٣ – حقوق أسماء وصفات .

ولهذا قسّم العلماء التوحيدَ إلى ثلاثة اقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد العبادة .

✵ فأما توحيد الربوبية : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بالخلْق والأمر ، كما قال الله تعالى ﴿ **ألاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ** ﴾[1] . فالخلق والأمر – وهو التدبير – هو الربوبية وهو مختص بالله عزّ وجلّ فلا خالقَ إلا اللهُ ، ولا آمِرَ ولا مُدَبّرَ إلا اللهُ عزّ وجلّ .

✵ وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته ، بحيث يؤمن العبد بما أثبت الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه الذي أراد الله ورسوله ﷺ ، وعلى الوجه اللائق به من غير إثبات مثيل له ، لأن إثبات المثيل لله تعالى شرك به .

✵ وأما توحيد العبادة : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة ، بمعنى أن تعبد اللهَ مخلصا له الدين ، لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ**

---

[1] الأعراف ٥٤

مُخْلِصاً له الدِّين ﴾(١) . فالمشركون إنما أشركوا في هذا القسم – قسم العبادة – حيث كانوا يعبدون مع الله غيرَه ، وقد قال الله تبارك وتعالى : **﴿ واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئاً ﴾**(٢) : أي في عبادته .

وقال تعالى : **﴿ إنَّه مَن يُشْرِك باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليه الجنةَ ومأواهُ النّارُ وما للظالمينَ مِنْ أنصَارٍ ﴾**(٣) .

وقال تعالى : **﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلك لمن يَشاءُ ﴾**(٤) .

وقال تعالى : **﴿ وقال رَبّكُمُ ادْعُوني أَستَجِبْ لَكُمْ إنَّ الذين يَستَكْبِرُنَ عَنْ عِبَادَتي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾**(٥) .

وقال تعالى في سورة الإخلاص : **﴿ قُلْ يا أيُّها الكافرونَ . لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ . ولا أَنْتُمْ عابدونَ ما أَعْبُدُ . ولا أنَا عابدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . ولا أَنْتم عَابِدُون ما أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ ﴾** .

وقولي في سورة الإخلاص يعني إخلاص العمل فهي سورة إخلاص العمل وإن كانت تسمى سورة « الكافرون » لكنها في الحقيقة سورة إخلاص عملي كما أن سورة **﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾** سورة إخلاص عِلْمي وعقيدة . والله الموفّق .

---

(١) الزمر ١١ .
(٢) النساء ٣٦
(٣) المائدة ٧٢
(٤) النساء ٤٨
(٥) غافر ٦٠

٤ سُئِلَ عن قول مَنْ يقول : « إن أحاديث الأحاد لا تثبت بها العقيدة » ؟

جوابنا على من يرى أن أحاديث الأحاد لا تثبت بها العقيدة لأنها تفيد الظنَّ والظنُّ لا تُبنى عليه العقيدة . أن نقول : هذا رأي غير صواب ؛ لأنه مبنيٌّ على غير صواب وذلك من عِدّة وجوه :

١ – القول بِأَنَّ حديث الأحاد لا يفيد إلا الظنّ ليس غلى إطلاقه بل في أخبار الأحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صِدْقه ، كما إذا تلقته الأمة بالقَبول ، مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ » فإنه خبر أحاد ومع ذلك فإننا نعلم أن النبيَّ ﷺ قاله ، وهذا ما حقّقه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حَجَر وغيرهما .

٢ – أنّ النبي ﷺ يرسل الآحاد بأصول العقيدة – شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله – وإرساله حُجَّة مُلْزِمة ، كما بعث مُعَاذا إلى اليمن ، واعتبر بَعْثَه حُجَّةً مُلْزِمَةً لأهل اليمن بقبوله .

٣ – إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الأحاد ، أمكن أن يُقال : والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الأحاد ، لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله تعالى أمر بهذا أو نهى عن هذا ، وإذا قُبل هذا القول تعطّل كثير من أحكام الشريعة ، وإذا رُدّ هذا القول فليردّ القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الأحاد إذ لا فرق كما بيّنا .

والحاصل أن خبر الآحاد إذا دلّتْ القرائن على صِدْقه أفاد العلمَ وثبتت به الأحكام العَملية والعِلْمية ، ولا دليل على التفريق بينهما ، ومَنْ نَسَبَ إلى أحدٍ من الأئمةِ التفريقَ بينهما فعليه إثباتُ ذلك بالسند الصحيح عنه . ثم بيان دليله المستَند إليه .

٤ – أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة : فقال تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إليهم فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . بالبيِّناتِ والزُّبُرِ ﴾**(١) . وهذا يشمل سؤال الواحدوالمتعدّد .

---

(١) النحل ٤٣ – ٤٤

توحيد الألوهية

٥ **في الكثير من البلاد الإسلامية مَنْ يعبد القبورَ ، بالطواف حولها ، ودعاء أصحابها ، وينذر لهم ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، نرجو من فضيلة الشيخ توجيه النصيحة لهم ؟**

هذا السؤال سؤال عظيم وجوابه يحتاج إلى بسط بعون الله عز وجل فنقول : إن أصحاب القبور ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : قسم تُوُفِّي على الإسلام ويُثني الناسُ عليه خيرا ، فهذا يُرجى له الخير ، ولكنه مفتقر إلى إخوانه المسلمين يدعون اللهَ له بالمغفرة والرحمة ، وهو داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا مِن بعدهم يقولون رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولإخوانِنا الذين سبقونا بالإيمانِ ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غلاًّ للذين آمنوا رَبَّنا إنك رَؤُفٌ رَحِيمٌ** ﴾(١) . وهو بنفسه لا ينفع

---

(١) الحشر ١٠

أحدا إذ أنه ميت جثة لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرّ ولا عن غيره ، ولا أن يجلب لنفسه النفع ولا لغيره فهو محتاج إلى نفع إخوانه غير نافع لهم .

القسم الثاني : من أصحاب القبور : من أفعاله تؤدي إلى فسقه الفسق المخرج من الملة كأولئك الذين يَدَّعُون أنهم أولياء ويعلمون الغيب ويشفون من المرض ويجلبون الخير والنفع بأسباب غير معلومة حسا ولا شرعا ، فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر لا يجوز الدعاء لهم ولا الترحم عليهم لقول الله تعالى : **﴿ ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قُرْبَى مِن بَعْدِ ما تَبيَّن لهَم أنهم أصحابُ الجَحيم . وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاه فلمَّا تبيَّن له أنه عَدُوٌّ لله تبرَّأ منه ، إنَّ إبراهيمَ لأوَّاهٌ حَلِيم ﴾**(١) . وهم لا ينفعون أحدا ولا يضرونه ولا يجوز لأحد أن يتعلق بهم ، وإن قُدِّر أن أحدا رأى كرامات لهم مثل أن يتراءى له أن في قبورهم نورا أو أنه يخرج منها رائحة طيبة أو ما أشبه ذلك وهم معروفون بأنهم ماتوا على الكفر فإن هذا من خداع إبليس وغروره ليفتن هؤلاء بأصحاب هذه القبور . وإنني أحذِّر إخواني المسلمين من أن يتعلّقوا بأحدٍ سوى الله عز وجل فإنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، ولا يجيب دعوة المضطر إلا الله ، ولا يكشف السوء إلا الله . قال تعالى : **﴿ وما بِكم مِن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثمّ إذا مَسَّكُم الضُّرُّ فإليه تَجْأَرُون ﴾**(٢) . ونصيحتي لهم أيضا أن لا يُقلِّدوا

---

(١) التوبة ١١٣ – ١١٤ .

(٢) النحل ٥٣

في دينهم ولا يتبعوا أحدا إلا رسولَ الله ﷺ لقول الله تعالى : ﴿ **لقدْ كان لكم في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذَكَرَ اللهَ كثيراً** ﴾(١) . ولقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إن كُنتم تحبون اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكم اللهُ** ﴾(٢) .

ويجب على جميع المسلمين أن يَزِنُوا أعمال مَنْ يَدَّعي الولاية بما جاء في الكتاب والسنة ، فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يُرْجَى أن يكون من أولياء الله ، وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله . وقد ذكر الله في كتابه ميزانا قِسْطا عدلا في معرفة أولياء الله حيث قال : ﴿ **ألاَ إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحزَنُون . الذين آمنوا وكانوا يَتَّقُون** ﴾(٣) . فمن كان مؤمنا تقيا ، كان لله وليا ، ومن لم يكن كذلك فليس بولي لله ، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء ولكننا نقول على سبيل العموم : كل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا . وليعلم أن الله عز وجل قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور . فقد يتعلق الإنسان بالقبر فيدعو صاحبه أو يأخذ من ترابه يتبرك به فيحصل مطلوبه ويكون ذلك فتنة من الله عز وجل لهذا الرجل ، لأننا نعلم أن هذا القبر لا يجيب الدعاء وأن هذا التراب لا يكون سببا لزوال ضرر أو جلب نفع ، نعلم ذلك لقول الله تعالى : ﴿ **ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ له إلى يَوْمِ القيامةِ وهم عَن دُعائِهم غافِلُون .**

---

(١) الأحزاب ٢١

(٢) آل عمران ٣١

(٣) يونس ٦٢ – ٦٣ .

وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتِهم كافرين ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **والذين يَدْعُون مِن دُون اللهِ لا يَخْلقُون شَيْئاً وهم يُخْلَقُون . أمواتٌ غَيْرُ أحياءٍ وما يَشْعُرُون أَيَّانَ يُبْعَثُون** ﴾(٢) . والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على أن كل مَن دُعِيَ من دون الله فلن يستجيب الدعاء ، ولن ينفع الداعي ، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحانا . ونقول : إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء – أي عند دعاء هذا الذي دُعي من دون الله – لا بدعائه ، وفرق بين حصول الشيء بالشيء ، وبين حصول الشيء عند الشيء . فإننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سببا لجلب النفع أو دفع الضرر بالآيات الكثيرة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ، ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحانا ، والله تعالى قد يبتلي الإنسان بأسباب المعصية ليعلم سبحانه وتعالى من كان عبداً لله ومن كان عبدا لهواه ، ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود حيث حَرَّم الله عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت فابتلاهم الله عز وجل فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة وفي غير يوم السبت تختفي ، فطال عليهم الأمد ، وقالوا : كيف نَحْرِمُ أنفسَنا هذه الحيتان ؟ ثم فكروا وقَدّروا ونظروا فقالوا : نجعل شبكة ونضعها يوم الجمعة ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد فأقدموا على هذا الفعل الذي هو حيلة على محارم الله فقلبهم الله قردة خاسئين . قال الله تعالى : ﴿ **واسْأَلْهم عَن القريةِ التي كانت حاضرة**

---

(١) الأحقاف ٥ – ٦

(٢) النحل ٢٠ – ٢١ .

البحرِ إذ يَعْدُون في السبتِ إِذْ تَأْتِيهم حيتانُهم يَوْمَ سَبْتِهم شُرَّعاً ويَوْمَ لا يَسْبِتُون لا تأتِيهم كذلك نَبْلُوهم بما كانوا يَفْسُقُون ﴾(١) . وقال عز وجل : ﴿ ولقَدْ عَلِمْتُمُ الذين اعْتَدَوْا مِنكم في السَّبْتِ فقُلْنا لهم كونوا قِرَدَةً خاسِئِين . فجَعَلْناها نَكَالاً لما بَيْنَ يَدَيْها وما خَلْفَها ومَوْعِظَةً للمتقين ﴾(٢) . فانظر كيف يَسّر الله لهم هذه الحيتان في اليوم الذي مُنِعُوا مِن صيدها فيه ، ولكنهم – والعياذ بالله – لم يصبروا فقاموا بهذه الحِيلة على محارم الله .

ثم انظر إلى ما حصل لأصحاب النبي ﷺ حيث ابتلاهم الله تعالى وهم مُحْرِمُون بالصُّيُودِ المحرّمة على المحْرِم فكانت في متناول أيديهم ولكنهم رضي الله عنهم لم يجرؤوا على شيء منها . قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بشيءٍ من الصيد تَنالُه أَيْديكم ورِماحُكم لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يخافُه بالغَيْبِ فمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلك فلَهُ عذابٌ أليمٌ ﴾(٣) كانت الصيود العادية الطائرة في متناول أيديهم يمسكون الصيد العادي باليد وينالون الصيد الطائر بالرماح فيسهل عليهم جدا ، ولكنهم رضي الله عنهم خافوا اللهَ عز وجل فلم يقدموا على أخذ شيء من الصيود .

وهكذا يجب على المرء إذا هُيِّئَتْ له أسباب الفعل المحرَّم أن يتقي الله عز وجل ، وأن لا يقدم على فعل هذا المحرم ، وأن يعلم أن تيسير أسبابه من باب الابتلاء والامتحان ، فلْيُحْجِمْ وليصبر فإنّ العاقبة للمتقين .

---

(١) الأعراف ١٦٣

(٢) البقرة ٦٥ – ٦٦

(٣) المائدة ٩٤ .

٦ ما حكم البناء على القبور ؟

البناء على القبور مُحرَّم ، وقد نهى عنه النبي ﷺ لما فيه من تعظيم أهل القبور ، وكونه وسيلة وذَرِيعة إلى أن تُعبد هذه القبور وتُتخذ آلهة مع الله ، كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بُنيت على القبور ، فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور ، ويدعونها مع الله تعالى . ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم لكشف الكُرُبات شرك أكبر و رِدّة عن الإسلام . والله المستعان .

٧ ما حكم دفن الموتى في المساجد ؟

الدفن في المساجد نهى عنه النبي ﷺ ، ونهى عن اتخاذ المساجد على القبور ، ولعن من اتخذ ذلك وهو في سياق الموت يحذّر أُمَّته ، ويذكر ﷺ أن هذا من فعل اليهود والنصارى ، ولأن هذا وسيلة إلى الشرك بالله عز وجل لأن إقامة المساجد على القبور ودفن الموتى فيها وسيلة إلى الشرك بالله عز وجل في أصحاب هذه القبور فيعتقد الناس أن أصحاب هذه القبور المدفونين في المساجد ينفعون أو يضرون ، أو أن لهم خاصية تستوجب أن يُتَقَرَّب إليهم بالطاعات من دون الله سبحانه وتعالى . فيجب على المسلمين أن يحذروا من هذه الظاهرة الخطيرة وأن تكون المساجد خالية من القبور مؤسسة على التوحيد والعقيدة الصحيحة

قال الله تعالى : ﴿ **وأَنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع اللهِ أَحَداً** ﴾(١) . فيجب أن تكون المساجد لله – سبحانه وتعالى – خالية من مظاهر الشرك ، تُؤَدَّى فيها عبادة الله وحده لا شريك له . هذا هو واجب المسلمين . والله الموفق .

٨ ما حكم الصلاة في المساجد الذي فيه قبر ؟

إذا كان هذا المسجد مبنيًا على القبر فإن الصلاة فيه محرّمة ويجب هدمه لأن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تحذيرا مما صنعوا ، وأما إذا كان المسجد سابقا على القبر فإنه يجب إخراج القبر من المسجد ويدفن فيما يدفن فيه المسلمون ، ولا حرج علينا في هذه الحال إذا نبشنا هذا القبر ، لأنه دُفن في مكان لا يحل أن يدفن فيه ، فإن المساجد لا يحل دفن الموتى فيها . والصلاة في المسجد إذا كان سابقا على القبر صحيحة بشرط ألا يكون القبر في ناحية القبلة فيصلي الناس إليه ، لأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور وبالإمكان إذا لم يتمكنوا من نبش القبر أن يهدموا سور المسجد

---

(١) الجن ١٨ .

٩

ما حكم إضاءة مقامات أولياء ونذر ذلك ؟

إضاءة مقامات الأولياء والأنبياء التي يريد بها السائل قبورهم هذه الاضاءة محرمة ، وقد ورد عن النبي ﷺ لَعْنُ فاعليها ، فلا يجوز أن تُضاء هذه القبور ، وفاعل ذلك ملعون على لسان رسول الله ﷺ . فعلى هذا إذا نذر الإنسان إضاءة هذا القبر فإن نذره محرّم ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِهِ » . فلا يجوز له أن يفي بهذا النذر ، ولكن هل يجب عليه أن يُكفِّرَ كفارةَ يمين لعدم وفائه بنذره أو لا يجب ؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم والاحتياط أن يكفر كفارة يمين عن عدم وفائه بهذا النذر . والله أعلم .

١٠

هل الحكمة في تقبيل الحجر التبرك به ؟

الحكمة من الطواف بَيّنها النبي ﷺ حين قال :

« إنّما جُعل الطوافُ بالبيت والصَّفا والمَرْوَة ورَمْيِ الجِمارِ لإقامةِ ذِكْرِ الله » . فالطائف الذي يدور على بيت الله تعالى يقوم بقلبه من تعظيم الله تعالى ما يجعله ذاكرا الله تعالى ، وتكون حركاته بالمشي والتقبيل واستلام الحَجَر والركن اليماني والإشارة إلى الحجر ذكرا لله تعالى ، لأنها من عبادته ، وكل العبادات ذكر لله تعالى بالمعنى العام ،

وأما ما ينطق به بلسانه من التكبير والذكر والدعاء فظاهر أنه من ذكر الله تعالى ، وأما تقبيل الحجر فإنه عبادة حيث يقبل الإنسان حجرا لا علاقة له به سوى التعبد لله تعالى بتعظيمه واتباع رسول الله ﷺ في ذلك ، كما ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حين قبَّل الحجر : « إنِّي لأَعْلَمُ أنّك حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبيَّ يُقَبِّلُك ما قَبَّلْتُك » . وأما ما يظنه بعض الجهال من أن المقصود بذلك التبرك به فإنه لا أصل له ، فيكون باطلا . وأما ما أورده بعض الزنادقة من أن الطواف بالبيت كالطواف على قبور أوليائهم وأنه وثنية فذاك من زندقتهم وإلحادهم ، فإن المؤمنين ما طافوا به إلا بأمر الله وما كان بأمر الله فالقيام به عبادة لله تعالى .

ألا ترى أن السجود لغير الله شرك أكبر ، ولما أمر اللهُ تعالى الملائكةَ أن يسجدوا لآدم كان السجود لآدم عبادة لله تعالى وكان ترك السجود له كفرا .

وحينئذ يكون الطواف بالبيت عبادة من أجلّ العبادات وهو ركن في الحج ، والحج أحد أركان الإسلام ولهذا يجد الطائف بالبيت إذا كان المطاف هادئا من لذة الطواف وشعور قلبه بالقرب من ربه ما يتبين به عُلُو شأنه وفضله . والله المستعان .

١١ فضيلة الشيخ نرجو منكم توجيه نصيحة لمن يزور القبور ويدعو الأموات وينذر لهم ويستغيث ، ويستعين بهم لأنهم كما يزعم أولياء الله ؟

نصيحتنا لهؤلاء وأمثالهم أن يرجع الإنسان إلى عقله وتفكيره فهذه القبور التي يُزعم أن فيها أولياء تحتاج :

أولا : إلى إثبات أنها قبور إذ قد يوضع شيء يشبه القبر ويقال هذا قبر فلان كما حدث ذلك ، مع أنه ليس بقبر .

ثانيا : إذ ثبت أنها قبور فإنه يحتاج إلى إثبات أن هؤلاء المقبورين كانوا أولياء لله لأننا ما ندري هل هم أولياء لله أم أولياء للشيطان .

ثالثا : إذا ثبت أنهم من أولياء الله فإنهم لا يُزارون من أجل التبرك بزيارتهم أو دعائهم أو الاستغاثة بهم والاستعانة بهم ، وإنما يُزارون كما يُزار غيرهم للعِبْرة والدعاء لهم فقط ، على أنه إن كان في زيارتهم فتنة أو خوف فتنة بالغلو فيهم فإنه لا تجوز زيارتهم دَفْعا للمحظور ودَرْءاً للمفسدة .

فأنت أيها الإنسان حَكِّمْ عقلَك ، فهذه الأمور الثلاثة التي سبق ذكرها لابد أن تتحقق وهي :

أ - ثبوت القبر .

ب – ثبوت أنه وليّ .

جـ – الزيارة لأجل الدعاء لهم . فهم في حاجة إلى الدعاء مهما كانوا فهم لا ينفعون ولا يضرون ، ثم إننا قلنا إن زيارتهم من أجل الدعاء لهم جائزة ما لم تستلزم محظورا .

أما من زارهم ونذر لهم وذبح لهم أو استغاث بهم فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة يكون صاحبه به كافرا مخلدا في النار .

توحيــــد الأسـماء والصفـات

١٢ ما حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله ؟ وقول وايْمُ الحق ، ولَعَمْرِ الحق ؟

إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة لا بأس به ، مثل أن نقول اقتضت حكمة الله أن يعذب الظالم ، أو أوجب القضاء والقدر أن يشقى فلان أو يسعد فلان . ويدل لذلك قولُ النبي ﷺ : « لَوْ سَبَقَ القضاءَ والقَدَرَ شيءٌ لسَبَقَتْه العَيْنُ » .

أما إذا أُضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأنَّ الصفة هي التي فعلت دون الموصوف فلا يجوز ، لأن المؤثر هو الله تعالى وهو الخالق المُدَبِّر لجميع الأمور . وأما قول الحالف : وايْمُ الحق ، ولَعَمْرِ الحق ، فلا بأس به لأن الحق هو الله سبحانه وتعالى فهو كقوله وايم الله ولعمر

الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام أحمد ومذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك وغيرهم من أهل العلم أنها قابلة لأن تكون خطأً وصواباً ، فإنّ كل أحد يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسولَ الله ﷺ ، وعلى هذا فإنه لا حَرَجَ عليه أن يفقّه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة ، بشرط

بالنواجذ ، وإيَّاكم ومحدثات الأمورِ ، فإنَّ كُلَّ بِدْعةٍ ضَلاَلَةٌ » . فهذا التعبد من الضلال المبين الذي يجب على العبد أن يُقْلع عنه ، وأن يتوب إلى الله ، وأن يرجع إلى ما كان عليه النبيُّ ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، فإنّ هَدْيَهم أكمل هَدْي ، وطريقَهم أحسنُ طريق . وقال الله تعالى : ﴿ **ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممن دَعَا إلى اللهِ وعَمِلَ صَالحاً وقال إنني مِن المسلمين** ﴾⁽¹⁾ .

ولا يكون العمل صالحا إلا بأمرين :

✲ الإخلاص لله ، والموافقة لشريعته التي جاء بها رسوله ﷺ . وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له ، وقول بعضهم إنه رجل وهابي وأن الوهابية لا يقرون المدائح النبوية وما إلى ذلك ، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية ولله الحمد كانوا من أشدّ الناس تمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن أشدّ الناس تعظيما لرسول الله ﷺ واتباعاً لسنته . ويدلّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائماً على اتباع سنة الرسول ﷺ ، والتقيد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة أو عمل قولي أو فعلي .

ويدلك على هذا أيضا أنهم جعلوا الصلاة على النبي ﷺ ركناً من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها ، فهل بعد هذا من شكٍّ في تعظيمهم لرسول الله ؟ !

وهم أيضا إنما قالوا بأنها ركن من أركان الصلاة لأن ذلك هو مقتضى الدليل عندهم ، فهم متبعون للدليل معظمون للرسول لا يغلون بالنبي ﷺ في أمر لم يشرعه الله ورسوله ثم إن حقيقة الأمر أن إنكارهم

---

(١) فصلت ٣٣ .

للمدائح النبوية المشتملة على الغلوّ في رسول الله ﷺ هو التعظيم الحقيقي لرسول الله ﷺ ، وهو سلوك الأدب مع الله ورسوله حيث لم يُقَدِّموا بين يَدَي الله ورسوله ، فلم يغلوا لأن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك فقال النبي ﷺ : « أيها الناسُ قُولُوا بقولِكم أوْ بعض قولِكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ » . ونهى عليه الصلاة والسلام عن الغلو فيه كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم . قال ﷺ : « لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصَارى عيسى ابنَ مريمَ ، إنّما أنَا عَبْدٌ ، فقولوا عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ » . والمهم أن طريق الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله وأتباعه وهو الإمام المجدّد ، طريقه هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لمن تتبعها بعلم وإنصاف . وأما من قال بجهل أو بظلم وجَوْر فإنه لا يمكن أن يكون لأقواله منتهى . فإن الجائر أو الجاهل يقول كلما يمكنه أن يقول من حق وباطل ولا انضباط لقوله . وإذا لم تستحي فاصنعْ ما شِئْتَ ، ومن أراد أن يعرف الحق في هذا فليقرأ ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله وأحفاده والعلماء من بعده حتى يتبين له الحق ، إذا كان منصفا ومريدا للحق .

✸ ثم إن المدائح النبوية المشتملة على الغُلُوِّ لا شك أن رسول الله ﷺ لا يرضى بها بل إنما جاء بالنهي عنها والتحذير منها ، فمن المدائح التي يحرصون عليها ويتغنون بها ما قاله الشاعر :

يا أكرمَ الخَلْق ما لي مَنْ ألوذُ به سواك عند حلول الحادثِ العَمَمِ
فإنّ من جُودكَ الدنيا وضَرَّتَهَا ومن علومك عِلْمُ اللَّوْحِ والقَلَمِ

وأشباه ذلك مما هو معلوم ، ومثل هذا بلا شك كُفْرٌ بالرسول ﷺ ، وإشراكٌ بالله عزّ وجلّ ، فإن رسول الله ﷺ بَشَر ، لا يعلم من الغيب

إلا ما أعلمه الله عزّ وجلّ ، والدنيا وضرّتها وهي الآخرة ليست من جُود رسول الله ﷺ بل هي من خلْق الله عزّ وجلّ فهو الذي خلق الدنيا والآخرة ، وهو الذي جاد فيهما بما جاد على عباده سبحانه وتعالى ، وكذلك علم اللوح والقلم ليس من علوم الرسول ﷺ ، بل إن علم اللوح والقلم إلى الله عزّ وجلّ ، ولا يعلم منه رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه ، وهذا هو حقيقة الأمر ، وهذا وأمثاله هي المدائح التي يتغنى بها هؤلاء الذين يدّعون أنهم مُعظّمون لرسول الله ﷺ ، ومن العجائب أن هؤلاء المغالين يدّعون أنهم معظّمون لرسول الله ﷺ تجدهم معظّمين له كما زعموا في مثل هذه الأمور وهم في كثير من سننه فاترون معرضون والعياذ بالله .

✵ فأنصح القائل وغيره بأن يعود إلى الله عزّ وجلّ ، وأن لا يطري رسول الله ﷺ كما أطرى النصارى عيسى ابنَ مريم ، وأن يعلم أن رسول الله ﷺ بشر يمتاز عن غيره بالوحي الذي أوحاه الله إليه ، وما خَصّه الله به من المناقب الحميدة والأخلاق العالية ولكن ليس له من التصرف في الكون شيء وإنما التصرف في الكون والذي يُدعى ويُرجى ويُؤلّه هو الله عزّ وجلّ وحده لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمّا يشركون .

٢٢٩ وسئل حفظه الله تعالى : عن افتراق أمة النبي محمد ﷺ بعد وفاته ؟

فأجاب بقوله : أخبر النبي ﷺ فيما صح عنه أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وهذه الفرق كلها في النار إلا واحدة ، **وهي من كان على مثل ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه** ، وهذه الفرقة هي الفرقة الناجية التي نجت في الدنيا من البدع وتنجو في الآخرة من النار ، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي لاتزال ظاهرة قائمة بأمر اللّٰه عز وجل ، وهذه الفرق الثلاث والسبعون التي واحدة منها على الحق والباقي على الباطل . قد حاول بعض الناس أن يعدّدها ، وشَعَّبَ أَهْلَ البدع إلى خمس شُعَب ، وجعل من كل شُعْبة فروعًا ليصلوا إلى هذا العدد الذي عَيَّنه النبي ﷺ ، ورأى بعض الناس أن الأَوْلَى الكَفّ عن التعداد لأن هذه الفرق ليست وحدها هي التي ضلت بل قد ضل أناس ضلالا أكثر مما كانت عليه من قبل ، وحدثت بعد أن حُصرت هذه الفرق باثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا إن هذا العدد لا ينتهي ولا يمكن العلم بانتهائه إلا في آخر الزمان عند قيام الساعة ، فالأَوْلَى أن نُجْمِلَ ما أجمله النبي ﷺ ونقول إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ثم نقول كل من خالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابة فهو داخل في هذه الفرق ، وقد يكون

الرسول ﷺ أشار إلى أصول لم نعلم منها الآن إلا ما يبلغ العشرة وقد يكون أشار إلى أصول تتضمن فروعًا كما ذهب إليه بعض الناس فالعلم عند الله عز وجل .

٢٣٠ ـــــــ سُئل الشيخُ : عما يتعلّمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلامية من أن مذهب أهل السنة هو : « الإيمان بأسماء الله تعالى ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل » . وهل تقسيم أهل السنة إلى قسمين : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، ومدرسة الأشاعرة والماتريدية تقسيم صحيح؟ وما موقف المسلم من العلماءِ المُؤَوِّلينَ ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن ما يتعلمه الطلبة في المدارس من أن مذهب أهل السنة هو : (الإيمان بأسماء الله تعالى ، وصفاته ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل) . هو المطابق للواقع بالنسبة لمذهب أهل السنة ، كما تشهد بذلك كتبهم المطولة والمختصرة ، وهو الحق الموافق لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وهو مقتضى النظر

الصحيح ، والعقل الصريح ، ولسنا بصدد سَرْد أفراد الأدلة في ذلك ، لعدم طلبه في السؤال ، وإنما نجيب على ما طلب وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين :

إحداهما : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها .

الثانية : مدرسة الأشاعرة والماتريدية الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته .

فنقول : من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافًا بَيِّنًا في المنهاج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، فالمدرسة الأولى يقرر مُعَلِّمُوها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، مع نفي ما يجب نفيه عن الله تعالى ، من التمثيل أو التكييف ، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته .

وهذان المنهاجان متغايران تمامًا ، ويظهر تغايرهما بالمثال التالي :

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(١) . وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أبَى أن يسجد لآدم بأَمْرِ الله : ﴿ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(٢) . فقد اختلف

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) ص : ٧٥ .

معلمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالى لنفسه ، فقال أهل المدرسة الأولى : يجب إبقاء معناهما على ظاهره ، وإثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، على وجه يليق به . وقال أهل المدرسة الثانية : يجب صرف معناهما عن ظاهره ، ويحرم إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، ثم اختلفوا في المراد بهما هل هو القوة أو النعمة .

وبهذا المثال يتبين أن مِنهاجَيْ أهل المدرستين مختلفان متغايران ، ولا يمكن بعد هذا التغاير أن يجتمعا في وصف واحد ، هو أهل السنة ، إذن فلابد أن يختص وصف أهل السنة بأحدهما دون الآخر ، فلنحكم بينهما بالعدل ، ولنعرضهما على ميزان القسط وهو كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ﷺ ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان من سلف الأمة وأئمتها . وليس في هذا الميزان ما يدل بأي وجه من وجوه الدلالة ، المطابقة ، أو التضمن ، أو الالتزام صريحًا أو إشارة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الثانية ، بل في هذا الميزان ما يدل دلالة صريحة أو ظاهرة أو إشارية على ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولى ، وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصًا بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية ، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جَوْر ، وجَمْع بين الضِّدَّيْنِ ، والجَوْر ممتنع شرعًا ، والجمع بين الضدين ممتنع عقلًا .

وأما قول أهل المدرسة الثانية ، (المُؤَوِّلِينَ) لا مانع من تأويل أسماء الله وصفاته إذا لم يتعارض هذا مع نص شرعي .

فنقول : مجرد صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل شرعي مخالف للدليل ، وقَوْل على الله تعالى بلا عِلْم ، وقد حَرّم الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ **قُلْ إنّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ والْإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَالَا تَعْلَمُونَ** ﴾(١) . وقوله : ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم إنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾(٢) . وهؤلاء المؤَوِّلون لأسماء الله تعالى وصفاته ليس لهم عِلْم مأثور فيما أَوَّلُوها إليه ، ولا نظر معقول سوى شُبَه يَحْتَجُّون بها يناقض بعضُها بعضًا ، ويلزم عليها من النقص في ذات الله تعالى وصفاته ووَحْيه ، أكثر مما زعموه من النقص في إثباتها على ظاهرها ، وليس هذا موضع البسط في ذلك .

وإنما المقصود بيان أن وصف (أهل السنة) لا يمكن أن يُعْطَى لطائفتين يتغاير منهاجهما غاية التغاير وإنما يستحقه من كان قوله موافقًا للسنة فقط ، ولا ريب أنّ أهل المدرسة الأولى (غير المؤولين) أحق بالوصف المذكور من أهل المدرسة الثانية (المؤولين) لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف فلا يصح تقسيم أهل السنة إلى الطائفتين بل هم طائفة واحدة .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

وأما احتجاجهم بقول ابن الجَوْزِي في هذا الباب فنقول : أقوال أهل العلم يُحْتَجّ لها ولا يحتج بها ، فليس قول واحد من أهل العلم بحجة على الآخرين .

وأما قولهم إن الإمام أحمد أَوَّلَ في حديث : « قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » ، وحديث : « الْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ » . وقوله تعالى : ﴿ وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾⁽¹⁾ .

فنقول : لا يصح عن الإمام أحمد يرحمه الله أنه تأَوّل الحديثين المذكورين ، قال في الفتاوى ص٣٩٨ ج٥ من مجموع الفتاوى ابن تيمية ، جمع ابن القاسم : وأما ما حكاه أبو حامد الغَزَّالي من أن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » و« قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » . و« إني أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِن قِبَلِ الْيَمَنِ » ، فهذه الحكاية كذب على أحمد ، لم ينقلها أحد عنه بإسناد ، ولا يعرف أحد من أصحابه نَقْلَ ذلك عنه . أ . هـ .
وأما قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ . فإن الإمام أحمد لم يتأولها وإنما فسّرها ببعض لوازمها وهو العلم ، رَدًّا على الجهمية الذين فسّروها بخلاف المراد بها ، حيث زعموا أنها تقتضي كون الله تعالى في كل مكان بذاته – تعالى الله عن قولهم – فبيّن يرحمه الله تعالى – أن المعية هنا بمعنى الإحاطة بالخلْق التي من جملتها العلم بهم . وذلك أن المعية لا تقتضي

---

(١) الحديد : ٤ .

الحلول والاختلاط بل هي في كل موضع بحسبه ، ولهذا يقال : سقاني لبنا معه ماء . ويقال : صليت مع الجماعة . ويقال فلان مع زوجته .

ففي المثال الأول : اقتضت المزج والاختلاط ، وفي الثاني اقتضت المشاركة في المكان والعمل بدون اختلاط ، وفي الثالث اقتضت المصاحبة وإن لم يكن اشتراك في مكان أو عمل ، وإذا تبين أن معنى المعية يختلف بحسب ما تضاف إليه فإن معية الله تعالى لخلقه تختلف عن معية المخلوقين لمثلهم ، ولا يمكن أن تقتضي المَزْج والاختلاط أو المشاركة في المكان ؛ لأن ذلك ممتنع على الله عز وجل لثبوت مباينته لخلقه وعلوه عليهم . وعلى هذا يكون الله معنا وهو على العَرْش فوق السموات لأنه محيط بنا علما وقدرة وسلطانا وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا ، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته ، فإذا فسرَّها مُفَسِّر بالعِلْم لم يخرج بها عن مقتضاها ، ولم يكن متأولًا إلا عند من يفهم من المعيّة المشاركة في المكان أو المزج والاختلاط على كل حال . وقد سبق أن هذا ليس بمتعين في كل حال .

هذا بالنسبة لما نُقل عن الإمام أحمد في تأويل هذه النصوص الثلاثة .

أما بالنظر لها من حيث هي فقد تقدّم قريبا أنه لا تأويل في الآية الكريمة إذا فسّرها مفسر بالعلم ، لأنه تفسير لها ببعض مقتضياتها لا نقل لها عن المعنى الذي تقتضيه .

وأما حديث : « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرحمنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » . فقد رواه مُسْلِم في صَحِيْحِهِ في كتاب القَدَر في الباب الثالث منه رقم ١٧ ص٢٠٤٥ ،

وليس فيه تأويل عند أهل السنة والجماعة حيث يؤمنون بما دلَّ عليه من إثبات الأصابع لله تعالى على الوجه اللائق به ، ولا يلزم من كون قلوبنا بين أصبعين منها أن تماس القلب فإن السحاب مسخر بين السماء والأرض ولا يمس السماء ولا الأرض فكذلك قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ولا يستلزم ذلك المماسة .

وأما حديث : « الحَجَرُ يَمِينُ اللهِ في الأَرْضِ » . فقد قال فيه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَةَ في الفتاوي ص٣٩٧ ج٦ من مجموع ابن قاسم : قد رُوِيَ عن النبيِّ ، ﷺ ، بإسناد لا يثبت ، والمشهور إنما هو عن ابن عباس . قال : « الحجرُ الأسودُ يَمِينُ اللهِ في الأَرْضِ ، فَمَنْ صَافَحَه وقَبَّلَه فكأنَّما صافح اللهَ وقَبَّلَ يَمِينَه » . وفي ص٤٤ ج٣ من المجموع المذكور : صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة الله ولا نَفْس يمينه ، لأنه قال يمين الله في الأرض (فقيّده في الأرض ولم يُطْلِق ، فيقول يمين الله ، وحكم اللفظ المُقَيَّد يخالف المُطْلَق) . وقال : فمن قَبَّلَه وصافحه فكأنَّما صافح الله وقَبَّل يمينَه ، ومعلوم أنَّ المُشَبَّهَ غير المُشَبَّهِ بِهِ » . أ . هـ .

قلت وعلى هذا فلا يكون الحديث من صفات الله تعالى التي أُوِّلَتْ إلى معنى يخالف الظاهر فلا تأويل فيه أصلًا .

وأما قولهم إن هناك مدرستين : إحداهما مدرسة ابن تيمية فيقال نسبة هذه المدرسة إلى ابن تيمية تُوهِمُ أنه لم يُسبق إليها ، وهذا خطأٌ فإن ما ذهب إليه ابن تيمية هو ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الأمة ،

فليس هو الذي أحدث هذه المدرسة كما يُوهمه قول القائل الذي يريد أن يقلل من شأنها ، والله المستعان .

وأما موقفنا من العلماء المؤولين فنقول : مَنْ عُرِفَ منهم بحُسْن النية وكان لهم قَدَمُ صِدْق في الدين واتباع السنة فهو معذور بتأويله السائغ ، ولكن عُذْره في ذلك لا يمنع من تخطئة طريقته المخالفة لما كان عليه السلف الصالح من إجراء النصوص على ظاهرها واعتقاد ما دل عليه ذلك الظاهر من غير تكييف ولا تمثيل ، فإنه يجب التفريق بين حكم القول وقائله ، والفعل وفاعله فالقول الخطأ إذا كان صادرًا عن اجتهاد وحُسْن قَصْد لا يُذَمُّ عليه قائلُه ، بل يكون له أَجْر على اجتهاده ، لقول النبيّ ﷺ : « إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فاجْتَهدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر » . متفق عليه ، وأما وَصْفه بالضلال فإنْ أُريد بالضلال الضلال المطلق الذي يُذمُّ به الموصوف ، ويُمْقَت عليه ، فهذا لا يُتَوَجَّه في مِثْل هذا المجتهد الذي عُلِمَ منه حُسْن النية ، وكان له قَدَمُ صِدْق في الدين واتباع السنة ، وإن أُريد بالضلال مخالفة قوله للصواب من غير إشعار بذم القائل فلا بأس بذلك ، لأن مثل هذا ليس ضلالا مطلقًا ، لأنه من حيث الوسيلة صواب ، حيث بذل جهده في الوصول إلى الحق لكنه باعتبار النتيجة ضلال حيث كان خلاف الحق .

وبهذا التفصيل يزول الإشكال والتهويل ، والله المستعان .

٢٣١ سُئل الشيخ : هَلْ يُعتبر الشّيعةُ في حُكْم الكافرين ؟ وهل يدعو المسلمُ الله تعالى أن ينصر الكفارَ عليهم ؟

فأجاب بقوله : الشيعة ، والصواب أن يقال الرافضة لأن تشيعهم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تشيع متطرف غالٍ لا يقبله عليّ – رضي الله عنه – . فالرافضة كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى – في كتابه : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » حيث قال ص٣٩١ : إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شِرْكًا ، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد ، حتى إنهم يخرّبون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه ، فيعطلونها عن الجمعة والجماعات ، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها . وقال ص٤٣٩ من الكتاب المذكور : « الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ولا دين مقبول ، ولا دنيا منصورة » وقال في الفتاوى ص٣٥٦ ج٣ من مجموع ابن قاسم : « وأصل قول الرافضة أن النبي ﷺ نَصَّ على عليٍّ نَصًّا قاطعًا للعذر وأنه إمام معصوم ، ومَنْ خالفه كفر ، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم ، واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيّروا الشريعة وظلموا واعتدوا بل كفروا إلا نفرًا قليلًا إما بضعة عشر أو أكثر ، ثم يقولون : إن أبا بكر وعمر ونحوهما

ما زالا منافقين ، وقد يقولون : بل آمنوا ثم كفروا . وأكثرهم يُكَفِّر مَنْ خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ، ومن خالفهم كفارًا إلى أن قال ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم » .

وانظر قوله فيهم أيضًا ص٤٢٨ -٤٢٩ ج٤ من الفتاوى المذكورة .

وإذا شئت أن تعرف ما كان الرافضة عليه من الخبث فاقرأ كتاب « الخطوط العريضة » لمحب الدين الخطيب ، فقد ذكر عنهم ما لم يذكر عن اليهود والنصارى في أعظم خلفاء هذه الأمة أبي بكر وعمر ، وكان من دعائهم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والعن صنمي قريش وجِبْتَيْهم وطاغوتَيْهِم وابنتيهما - يعنون أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة - رضي الله عنهم أجمعين - .

وأما خطر الرافضة على الإسلام فكبير جدًّا وقد كانوا هم السبب في سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد ، وإدخال التتر عليها ، وقتل العدد الكثير من العلماء ، كما هو معلوم في التاريخ .

وخطرهم يأتي من حيث إنهم يدينون بـ(التّقية) التي حقيقتها النفاق وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطنًا ، والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح ، وقد حصر الله تعالى العداوة فيهم ، وأنزل فيهم سورة كاملة ، فقال تعالى في سورة المنافقين : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾(١) .

---

(١) المنافقون : ٤ .

وأما كوننا ندعو الله تعالى أن ينصر الكفار عليهم فلا حاجة إليه ، وإنما ندعو الله تعالى أن ينصر المسلمين الصادقين الذين يقولون بقلوبهم وألسنتهم : **﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**(١) الذين يُحَكِّمُون شريعة الله تعالى ظاهرًا وباطنًا ، ويتولَّوْن أصحابَ رسول الله ﷺ من غير إفراط ولا تفريط ، منزلين كل واحد منزلته ، ندعو الله تعالى أن ينصر المسلمين المتصفين بذلك على أعدائهم من الروافض وغيرهم .

٢٣٢ ـــ سئل الشيخ : عن إطلاق المسيحية على النصرانية ، والمسيحي على النصراني ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن انتساب النصارى إلى المسيح بعد بعثة النبي ﷺ انتساب غير صحيح لأنه لو كان صحيحًا لآمنوا بمحمد ﷺ فإن إيمانهم بمحمد ﷺ إيمان بالمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال : **﴿ وإذْ قال عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إسْرَائِيلَ إنِّي رَسُولُ الله إلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾**(٢) . ولم يبشرهم المسيح عيسى ابن مريم بمحمد ﷺ إلا من

---

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) الصف : ٦ .

أجل إن يقبلوا ما جاء به ، لأن البشارة بما لا ينفع لَغْو من القول لا يمكن أن تأتي من أدنى الناس عقلًا فضلًا من أن تكون صدرت من عند أحد الرسل الكرام أولي العزم عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهذا الذي بَشّر به عيسى ابن مريم بني إسرائيل هو محمد ﷺ وقوله : **﴿ فلمّا جَاءهم بالبينات قالوا هذا سِحْرٌ مُّبين ﴾** . وهذا يدل على أن الرسول الذي بشر به قد جاء ولكنهم كفروا به وقالوا هذا سحر مبين ، فإذا كفروا بمحمد ﷺ فإن هذا كُفْر بعيسىٰ ابن مريم الذي بشّرهم بمحمد ﷺ وحينئذٍ لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا أنهم مسيحيون إذ لو كانوا حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم ، لأن عيسىٰ ابن مريم وغيره من الرسل قد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بمحمد ﷺ كما قال الله تعالى : **﴿ وإذْ أَخذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءاتَيْتُكم مِّن كِتَاب وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رسـول مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكم لَتُؤْمِنُنّ به ولَتنصُرُنّهُ ﴾**⁽¹⁾ . ثم قال : **﴿ وأَخذْتُم عَلى ذَلِكُمْ إصْري قَالُوا أَقْرَرْنَا قال فاشْهدُوا وأَنَاْ مَعَكم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾**⁽²⁾ . والذي جاء مصدقًا لما معهم هو محمدٌ ﷺ لقوله تعالى : **﴿ وأَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بيْن يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾**⁽³⁾ . وخلاصة القول أن نسبة النصاري إلى المسيح عيسىٰ ابن مريم نسبة يكذّبها الواقع ، لأنهم كفروا ببشارة المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهو محمد ﷺ ، وكُفْرُهم به كُفْر بعيسىٰ .

---

(١) آل عمران : ٨١ (٢) آل عمران : ٨١ . (٣) المائدة : ٤٨ .

القبر وما يتعلق به من أحكام مختلفة

٢٣٣ هل عذاب القبر يشمل المؤمنَ العاصي أم أنه خاصٌّ بالكفار ؟

عذاب القبر المستمر يكون للمنافق والكافر . وأما المؤمن العاصي فإنه قد يعذب في قبره لأنه ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : « إنَّهما لَيُعَذَّبَانِ ، وَما يعَذَّبَان في كَبِير ، أمَّا أحدهما فكان لا يَسْتَتِرُ مِنْ البَوْل ، وأمَّا الآخَرُ فكان يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ » وهذا معروف أنهما كانا مسلمين .

٢٣٤ ما حكم إهداء القراءة للميت ؟

هذا الأمر يقع على وجهين :

أحدهما : أن يأتي إلى قبر الميت فيقرأ عنده ، فهذه لا يستفيد منه الميت لأن الاستماع الذي يفيد من سمعه إنما هو في حال الحياة حيث يُكتب للمستمع ما يكتب للقارىء ، وهنا الميت قد انقطع عمله كما قال

النبي ﷺ : « إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عملُه إلاّ مِن ثلاثٍ : صَدَقةٌ جاريةٌ ، أو عِلْمٌ يُنتفعُ به ، أو وَلَدٌ صالحٌ يَدْعُو له » .

والوجه الثاني : أن يقرأ الإنسان القرآن الكريم تقربا إلى الله سبحانه وتعالى ويجعل ثوابه لأخيه المسلم أو قريبه . فهذه المسألة مما اختلف فيها أهل العلم : فمنهم من يرى أن الأعمال البدنية المَحْضَة لا ينتفع بها الميت ولو أُهديت له ، لأن الأصل أن العبادات مما يتعلق بشخص العابد ، لأنها عبارة عن تذلل وقيام بما كُلِّف به ، وهذا لا يكون إلا للفاعل فقط إلا ما ورد النص في انتفاع الميت به فإنه حسب ما جاء في النص يكون مخصِّصا لهذا الأصل .

ومن العلماء من يرى أن ما جاءت به النصوص من وصول الثواب إلى الأموات في بعض المسائل يدل على أنه يصل إلى الميت من ثواب الأعمال الأخرى ما يهديه إلى الميت . ولكن يبقى النظر هل هذا من الأمور المشروعة أو من الأمور الجائزة يعني هل نقول إن الإنسان يطلب منه أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بقراءة القرآن الكريم ثم يجعلها لقريبه أو أخيه المسلم أو أن هذا من الأمور الجائزة التي لا يندب إلى فعلها ؟

الذي نرى أن هذا من الأمور الجائزة التي لا يندب إلى فعلها ، وإنما يندب إلى الدعاء للميت والاستغفار له وما أشبه ذلك مما نسأل الله تعالى أن ينفعه به ، وأما فعل العبادات وإهداؤها فهذا أقل ما فيه أن يكون جائزا فقط وليس من الأمور المندوبة . ولهذا لم يندب النبي ﷺ أمته إليه بل أرشدهم إلى الدعاء للميت ، فيكون الدعاء أفضل من الإهداء .

٢٣٥ سُئِلَ فضيلة الشيخ : عن حكم التلاوة لروح الميت ؟

فأجاب قائلًا : التلاوة لروح الميت يعني أن يقرأ القرآن وهو يريد أن يكُون ثَوَابُهُ لميت من المسلمين هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم على قولين :

القول الأول : أن ذلك غير مشروع وأن الميت لا يَنتَفِعُ بِهِ أي لاينتفع بالقرآن في هذه الحال .

القول الثاني : أنه ينتفع بذلك وأنه يجوز للإنسان أن يَقْرَأَ القرآن بِنِيَّةِ أنه لفلان أو فلانة من المسلمين سواءً كان قريبًا أو غير قريب .

والراجح : القول الثاني لأنه ورد في جنس العبادات جواز صرفها للميت ، كما في حديث سعد بن عُبَادَةَ رضي الله عنه حين تصدق ببستانه لأُمِّهِ ، وكما في قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ لَتَصَدَّقَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا ؟ قال النبي ﷺ : « نَعَم » وهذه قضايا أعيان تدل على أن صرف جنس العبادات لأحد من المسلمين جائز وهو كذلك ، ولكن أفضل من هذا أن تدعو للميت وتجعل الأعمال الصالحة لنفسك لأن النبي ﷺ قال : « إذَا مَاتَ ابْنِ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلاَثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَد صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » ولم يَقُلْ أو ولد صالح يتلو له أو يصلي له أو يصوم له أو يتصدق عنه بل قال : –

« أَوْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ » والسياق في سياق العمل ، فَدَلَّ ذلك على أن الأفضلَ أن يدعو الإنسان للميت لا أن يجعل له شيئًا من الأعمال الصالحة ، والإنسان محتاج إلى العمل الصالح أن يجد ثوابَهَ له مُدَّخرًا عند اللَّه عز وجل .

أما ما يفعله بعض الناس من التلاوة للميت بعد موته بأجرة مثل أن يُحْضِرُوا قارئا للقرآن بأجرة ليكون ثوابُهُ للميت فإنه بدعة ولا يصل إلى الميت ثوابٌ ؛ لأن هذا القارىء إنما قرأ لأجل الدنيا ومن أتى بعبادة من أجل الدنيا فإنه لاحَظَّ له منها في الآخرة كما قال اللَّه تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

وإني بهذه المناسبة أوجه نصيحة لإخواني الذين يعتادون مثل هذا العمل أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم أو لورثة الميت وأن يعلموا أن هذا العمل بدعة في ذاته وأن الميت لا يصل إليه ثوابه وحين إذن يكون أكلًا للأموال بالباطل ولم ينتفع الميت بذلك .

---

(١) هود : ١٥ -١٦ .

٢٣٦ هل ترد أرواح الموتى إليهم يومي الاثنين والخميس ليردّوا السلام على الزوّار ؟

هذا لا أصل له ، وزيارة المقابر مشروعة كل وقت لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « زُورُوا القبورَ فإنَّها تُذَكِّرُكم الآخرة » . وينبغي للزائر أن يفعل ما كان يفعله النبي ﷺ من السلام عليهم دون القراءة فقد كان مما يقوله عليه الصلاة والسلام : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم للاحقون يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسألُ اللهَ لنا ولكم العافية ، اللهم لا تَحْرِمْنا أجرَهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم » . ولا تنبغي القراءة على القبر لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ وما لم يرد عنه فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يعمله .

واعلم أن المقصود بالزيارة أمران :

أحدهما : انتفاع الزائر بتذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، فإن هؤلاء القوم الذين هم الآن في بطن الأرض كانوا بالأمس على ظهرها وسيجرى لهذا الزائر ما جرى لهم فيعتبر ، ويغتنم الأوقات والفرص ويعمل لهذا اليوم الذي سيكون في هذا المثوى الذي كان عليه هؤلاء .

وثانيهما : الدعاء لأهل القبور بما كان الرسول ﷺ يدعو به من السلام وسؤال الرحمة ، وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فإن هذا محرّم ومن الشرك ، ولا فرق في هذا بين قبر النبي ﷺ وقبر غيره ، فإنه

لا يجوز أن يتوسل أحد بقبر النبي عليه الصلاة والسلام، أو بالنبي ﷺ بعد موته، فإن هذا من الشرك لأنه لو كان هذا حقا لكان أسبق الناس إليه الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك فإنهم لا يتوسلون به بعد موته، فقد استسقى عمر رضي الله عنه ذات يوم فقال: «اللهمّ إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». ثم قام العباس رضي الله عنه فدعا. وهذا دليل على أنه لا يتوسل بالميت مهما كانت درجته ومنزلته عند الله تعالى وإنما يتوسل بدعاء الحي الذي ترجى إجابة دعوته لصلاحه واستقامته في دين الله عز وجل، فإذا كان الرجل ممن عرف بالدين والاستقامة وتوسل بدعائه فإن هذا لا بأس به كما فعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وأما الأموات فلا يتوسل بهم أبدا، ودعاؤهم شرك أكبر مخرج عن الملة قال الله تعالى: **﴿وقال رَبُّكم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**(١).

٢٣٧ وسئل الشيخ: ما المراد بقول النبي ﷺ «لاتَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»؟

فأجاب بقوله: اختلف في المعنى المراد بقول النبي ﷺ «لاتَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» على قولين: –

---

(١) غافر ٦٠

القول الأول : أن المعنى لا تَدْفِنُوا فيها موتَاكُم وهذا ظاهر اللفظ ، ولكنه أورد على ذلك دفن النبي ﷺ في بيته . وأجيب بأنه من خصائصه .

القول الثاني : أن المعنى لاتجعلوا البيوت مثل المقابر لا تُصَلُّونَ فيها ؛ لأنه من المتقرر عندهم أن المقابر لا يُصَلَّى فيها ويؤيده ما جاء في بعض الطُّرُقِ « اجْعَلُوا مِن صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلاَ تَجْعَلُوهَا قُبُورًا » .

وكِلاَ المَعْنَيَيْنِ صحيح فإن الدفن في البيوت وسيلة إلى الشرك ، ولأن العادة المتبعة من عهد النبي ﷺ إلى يومنا أن الدفن مع المسلمين ، ولأنه يضيق على الورثة وربما يستوحشون منه ، وقد يحدث عنده من الأفعال المحرمة ما يتنافى مع مقصود الشارع وهو تذكير الآخرة .

وفي هذا الحديث دليل على أن المقابر ليست محلًا للصلاة ؛ لأن اتخاذ المقابر مكانًا للصلاة سبب للشرك .

والحديث يدل أيضًا على أن الأفضل أن المرء يجعل من صلاته في بيته ، وذلك جميع النوافل لقوله ﷺ « أَفْضَلُ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ » إلا ما ورد الشرع أن يفعل في المسجد مثل صلاة الكسوف ، وقيام الليل في رمضان ، حتى ولو كنت في مكة أو المدينة فإن صلاة النافلة في بيتك أفضل لعموم الحديث ، ولأن النبي ﷺ قال ذلك وهو في المدينة .

٢٣٨ سئل فضيلة الشيخ : هل استجاب الله دعوة نبيه ﷺ بأن لا يَجْعَلَ قبره وَثَنًا يُعْبَدُ أم اقتضت حكمَتُه غير ذلك ؟

فأجاب : يقول ابن القَيِّم : إن الله استجاب له فلم يذكر أن قبره ﷺ جُعِلَ وثنًا ، بل أنه حمى قبره بثلاثة جدران فلا أحد يصل إليه حتى يجعله وثنًا يعبد من دون الله ، ولم نسمع في التاريخ أنه جُعِلَ وثنًا .

صحيح أنه يوجد أناس يغلون فيه ، ولكن لم يصلوا إلى جعل قبره وثنًا . ولكن قد يعبدون الرسول ﷺ ولو في مكان بعيد .

٢٣٩ سئل الشيخ : عن حكم إسراج المقابر ؟

فأجاب قائلًا : المقبرة التي لايحتاج الناس إليها كما لو كانت المقبرة واسعة ، وفيها موضع قد انتهى الناس من الدفن فلا حاجة إلى إسراجه ، أما الموضع الذي يُقْبَرُ فيه فَيُسْرَجُ ما حوله فقد يقال بجوازه لأنها لاتسرج إلا بالليل فليس في ذلك مايدل على تعظيم القبر بل اتخذت للحاجة . ولكن الذي نرى المنع مطلقًا للأسباب الآتية : -

السبب الأول : - أنه ليس هناك ضرورة .

السبب الثاني : – أن الناس إذا وجدوا ضرورة لذلك فيمكنهم أن يحملوا سراجًا معهم .

السبب الثالث : – أنه إذا فتح هذا الباب فإن الشرَّ سَيَتَّسِعُ في قلوب الناس ولا يمكن ضَبْطُهُ فيما بعد .

أما إذا كان في المقبرة حجرةٌ يوضع فيها اللبن ونحوه ، فلا بأس بإضائتها لأنها بعيدة عن القبور ، والإضاءة داخله لا تشاهد .

٢٤٠ سئل الشيخ كيف نُجِيبُ عُبَّادَ القبور الذي يَحْتَجُّونَ بدفن النبي ﷺ في المسجد النبوي ؟

فأجاب بقوله : الجواب عن ذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن المسجد لم يُبْنَ على القبر بل بُنِيَ في حياة النبي ﷺ .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ لم يُدْفَنْ في المسجد حتى يقال إن هذا مِن دَفْنِ الصالحين في المسجد ؛ بل دُفِنَ ﷺ في بيته .

الوجه الثالث : أن إدخال بيوت الرسول ﷺ ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق الصحابة ، بل بعد أن انقرض أكثرهم ، وذلك في عام أربعة وتسعين هجرية تقريبًا ، فليس مما أجازه الصحابة ؛ بل أن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب .

الوجه الرابع :أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله ، لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد مَبْنِيًّاعليه ، ولهذا جُعِلَ هذا المكانُ محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران ، وجُعِلَ الجِدَارُ في زاوية منحرفة عن القبلة أي أنه مُثَلَّثٌ ، والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه مُنْحَرِفٌ ، وبهذا يَبْطُلُ احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة .

٢٤١ هل يَشْرُعُ للإنسان أن يقول « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لِقَبْرِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الزَّائِرِينَ » أو يقول : « لِمَسْجِدِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الزَّائِرِينَ » ؟

فأجاب قائلًا : المشروع أن يقول لمسجده ﷺ من الزائرين ؛ لأن مسجده هو الذي تُشَدُّ إليه الرِّحَالُ وليس قبره ، قال النبي ﷺ : – « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثلاثة مَسَاجِدَ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِي هَذَا والمسجد الأقصى » .

وها هنا نقطة أحب أن أُنَبِّهَ عليها وهي : أن كثيرًا من الناس يتشوقون إلى زيارة قبر النبي ﷺ أكثر مما يتشوقون إلى زيارة مسجده ، بل أكثر مما يتشوقون إلى زيارة الكعبة ، بيتِ اللَّهِ عز وجل ، وهذا من الضلال البَيِّنِ ، فإن حق النبي عليه الصلاة والسلام ولايشك أحد أنه دون حق اللَّه تعالى ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بَشَرٌ مُرْسَلٌ من عند الله ، ولولا أن اللَّه اجتنباه برسالته ، لم يكن له من الحق هذا الحق

الذي يَفُوقُ حقَّ كُلِّ بشر ، أما أن يكون مساويًا لحقِّ اللَّهِ عز وجل ، أو يكون في قلب الإنسان مَحَبَّةٌ لرسول اللَّه ﷺ تزيد على محبة اللَّه ، فإن هذا خطأ عظيم ، فمحبة الرسول ﷺ تَابِعَةٌ لمحبة اللَّه ، وتعظيمنا له ﷺ تابعٌ لتعظيم اللَّه عز وجل ، وهو دون تعظيم اللَّه تعالى ، ولهذا نهى النبي ﷺ أن نَغْلُوا فيه وأن نجعل له حقًّا مساويًا لحقِّ اللَّه عز وجل ، فقد قال له رجل مرة : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ . فقال النبي ﷺ : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » .

والخلاصة : أنه يجب على الإنسان أن يكون تعظيمُ اللَّه تعالى ومحبتُه في قلبه أعظمَ من محبةِ وتعظيمِ كُلِّ أَحَدٍ ، وأن تكون محبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلبه أعظم من محبة وتعظيم كل مخلوق ، وأما أن يسواي بين حق الرسول ﷺ وحق اللَّه تعالى فيما يختص اللَّه به فهذا خطأ عظيم .

٢٤٢ ــــــ سئل فضيلة الشيخ : عن رجل بَنَى مسجدًا وأَوْصَى أن يُدْفَنَ فيه فَدُفِنَ فما العمل الآن ؟

فأجاب : هذه الوصية أعني الوصية أن يدفن في المسجد غير صحيحة ، لأن المساجد ليست مقابر ، ولا يجوز الدفن في المسجد ، وتنفيذا هذه الوصية محرم ، والواجب الآن نَبْشُ هذا القبر وإخراجه إلى مقابر المسلمين .

٢٤٣ وسئل فضيلته : عن رجل تُوُفِّي وبعد مدة رآه رجل في المنام وطلب منه أن يخرجه من القبر ويَبْنِي له مقامًا ففعل فما حكم هذا أفتونا مغفورًا لكم ؟

فأجاب قائلًا : الحكم في هذا أنه فعل محرم ، وأن المَرَائِي التي تُرَى في المنام إذا كانت مخالفة للشرع فإنها باطلة ، وهي من ضرب الأمثلة التي يضربها الشيطان ومن وحي الشيطان فلا يجوز تنفيذها أبدًا ، لأن الأحكام الشرعية لا تتغير بالمَنَامَاتِ ، والواجب عليهم الآن أن يهدموا هذا المقام الذي بَنَوهُ له وأن يردوه إلى مقابر المسلمين .

ونصيحتي لهؤلاء وأمثالهم أن يعرضوا كل ما رَأَوْهُ في المنام على الكتاب والسنة ، فما خالف الكتاب والسنة فَمُطَّرَح مَرْدُوُد ولا عِبْرَةَ بِهِ ، ولا يجوز للإنسان أن يعتمد في أمور دينه على هذه المرائي الكاذبة ؛ لأن الشيطان أقسم بعزة الله عز وجل أن يُغْوِيَ بني آدم إلا عباد الله المخلصين ، فمن كان مخلصًا لله ومخلصًا له ، متبعًا لدينه مبتغيًا لدينه فإنه يسلم من إغواء الشيطان وشره ، وأما من كان على خلاف ذلك فإن الشيطان يتلاعب به في عبادته ، وفي اعتقاداته وفي أفكاره ، وفي أعماله ، فليحذره يقول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾(١) .

---

(١) فاطر : ٦ .

٢٤٤ سئل فضيلة الشيخ : عن مقبرة قديمة أصبحت طريقًا للناس والبهائم كيف يُعْمَلُ بها ؟

فأجاب بقوله : أود أن أُبَيِّنَ بهذه المناسبة : أن لأصحاب القبور حقوقًا لأنهم مسلمون ، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يُوطَأَ على القبر وأن يُجْلَسَ عليه وقال : « لأَن يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَمْضِيَ إِلَى جِلْدِهِ خيرٌ لَهُ مِنْ أَن يُجْلِسَ عَلَى الْقَبْرِ » وكما نهى النبي ﷺ عن امْتِهَانِ القبور فإنه نهى أيضًا عن تعظيمها بما يفضي إلى الغلو والشرك ، فنهى أن يُجَصَّصَ القبرُ وأن يُبْنَى عليه ، وأن يُكْتَبَ عليه .

وهذه القضية التي ذكرت في السؤال المقبرة القديمة التي أصبحت ممرًا وطريقًا للمشاة والسيارات ومَرْعَى للبهائم يجب عليهم أن يرفعوا أمرها إلى ولاة الأمور لاتخاذ اللازم في حمايتها وصيانتها وفتح طرق حولها يعبر الناس منها إلى الجهات الأخرى .

٢٤٥ وسئل غفر الله له : عن رجل حَفَرَ لتأسيسِ بيتهِ فوجد عظامًا فأخرجها فما حكم عَمَلِهِ هذا ؟

فأجاب قائلًا : إذا تَيَقَّنَ أو غلب على ظَنِّهِ أنها عظام موتى مسلمين فإنه لا يجوز نقلُ العظام ، وأصحاب القبور أَحَقُّ بالأرض منه لأنهم لَمَّا دُفِنُوا فيها مَلَكُوهَا ، ولا يحل له أن يبني بيته على قبور المسلمين ، ويجب

عليه إذا تيقن أن هذا المكان فيه قبور أن يزيل البناء ، وأن يَدَعَ القبور لا بناء عليها . وفي مثل هذه الحال الواجب مراجعة ولاة الأمور .

٢٤٦ وسئل الشيخ : ما المراد بالقبر هل هو مدفن الميت أو البَرْزَخُ ؟

فأجاب : أصل القبر مدفن الميت قال الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ** ﴾(١) . قال ابن عباس : أي أكرمه بدفنه . وقد يراد به البرزخ الذي بين موت الإنسان وقيام الساعة وإن لم يدفن كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾(٢) يعني من وراء الذين ماتوا ؛ لأن أول الآية يدل على هذا ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كلمةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾(٣) .

ولكن هذا الداعي إذا دعى « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ » يريد من عذاب مدفن الموتى ، أو من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام الساعة ؟

الجواب : يريد الثاني لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويدفن أو يموت وتأكله السباع ، أو يحترق ويكون رمادًا ما يدري ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾(٤) فاستحضر أنك إذا قلت

---

(١) عبس : ٢١ .

(٢) المؤمنون . ١٠٠ .

(٣) المؤمنون : ١٠٠

(٤) لقمان : ٣٤ .

من عذاب القبر أي من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة .

٢٤٧ وسئل هل عذاب القبر ثابت ؟

فأجاب بقوله : عذاب القبر ثابت بصريح السنة وظاهر القرآن وإجماع المسلمين هذه ثلاثة أدلة :

أما صريح السنة فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .

وأما إجماع المسلمين فلأن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » حتى العَامَّة الذين ليسوا من أهل الإجماع ولا من العلماء .

وأما ظاهر القرآن فمثل قوله تعالى في آل فرعون : **﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾**(١) .

قال : **﴿ النَّارُ يُعْرَضُون عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾** ثم قال : **﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾** ولا شك أن عرضهم على النار ليس من أجل أن يتفرجوا عليها ، بل من أجل من أن يصيبهم من عذابها ، وقال تعالى : **﴿ وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوتِ والملائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرِجُوا أنفسكم ﴾**(٢) الله أكبر إنهم لشحيحون

---

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) الأنعام : ٩٣ .

بأنفسهم ما يريدون أن تخرج : ﴿ الْيَوْمَ تُجزَونَ عَذَابَ الْهونِ بِمَا كُنتُمْ تَقولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١) . فقال : ﴿ الْيَوْمَ ﴾ وَ « ال » هنا للعهد الحضوري اليوم يعني اليوم الحاضر الذي هو يوم وفاتهم ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

إذن فعذاب القبر ثابت بصريح السنة ، وظاهر القرآن ، وإجماع المسلمين ، وهذا الظاهر من القرآن يكاد يكون كالصريح لأن الآيتين اللتين ذكرناهما كالصريح في ذلك .

٢٤٨ وسئل الشيخ : هل عذاب القبر على البدن أو على الروح ؟

فأجاب بقوله : الأصل أنه على الروح لأن الحكم بعد الموت للروح ، والبدن جثة هامدة ، ولهذا لا يحتاج البدن إلى إمداد لبقائه فلا يأكل ولا يشرب ، بل تأكله الهوام ، والأصل أنه على الروح لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية إن الروح قد تتصل بالبدن فيعذب أو ينعم معها ، وأن لأهل السنة قولاً آخر بأن العذاب أو النعيم يكون للبدن دون الروح واعتمدوا في ذلك على أن هذا قد رؤي حسًا في القبر فقد فتحت بعض القبور ورؤي أثر العذاب على الجسم ، وفتحت بعض القبور ورؤي أثر النعيم على الجسم .

---

(١) الأنعام : ٩٣

وقد حدثني بعض الناس أنهم في هذا البلد هنا في عنيزة كانوا يحفرون لسور البلد الخارجي فمروا على قبر فانفتح اللحد فوجد فيه ميتًا قد أكلت كَفَنَهُ الأرضُ وبقي جسمه يابسًا لكن لم تأكل منه شيئًا حتى إنهم قالوا إنهم رأوا لحيته وفيها الحنا وفاح عليهم رائحة كأطيب ما يكون من المسك فتوقفوا وذهبوا إلى الشيخ وسألوه فقال دعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه ، واحفروا من يمين أو من يسار .

فبناء على ذلك قال العلماء إن الروح قد تتصل في البدن فيكون العذاب على هذا وهذا ، وربما يستأنس لذلك بالحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « إنَّ القَبْرَ لَيُضَيِّقُ عَلَى الْكَافِرِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ » فهذا يدل على أن العذاب يكون على الجسم لأن الأضلاع في الجسم والله أعلم .

٢٤٩ وسئل الشيخ : إذا لم يدفن الميت فأكلته السباع أو ذرته الرياح فهل يُعَذَّبُ عذاب القبر ؟

فأجاب قائلا : نعم ويكون العذاب على الروح لأن الجسد قد زال وتلف وفني وإن كان هذا أمرًا غيبيًا لا أستطيع أن أجزم بأن البدن لا يناله من هذا العذاب ولو كان قد فنى واحترق لأن الأمر الأخروي لا يستطيع الإنسان أن يقيسه على المشاهد في الدنيا .

٢٥٠ سئل الشيخ : كيف نجيب من ينكر عذاب القبر ويحتج بأنه لو كشف القبر لوجد لم يتغير ولم يَضِقْ ولم يتسع ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : يجاب من أنكر عذاب القبر بحجة أنه لو كشف القبر لوجد أنه لم يتغير بعدة أجوبة منها :

أولًا : أن عذاب القبر ثابت بالشرع قال الله تعالى في آل فرعون ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾(١) وقوله ﷺ : « فلولا أن لا تدافنوا لَدَعَوْتُ الله أَن يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » وقول النبي ﷺ في المؤمن : « وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ » إلى غير ذلك من النصوص فلا يجوز معارضة هذه النصوص بوهم من القول بل الواجب التصديق والإذعان .

ثانيًا : أن عذاب القبر على الروح في الأصل ، وليس أمرًا محسوسًا على البدن فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن لم يكن من الإيمان بالغيب ولم يكن للإيمان به فائدة لكنه من أمور الغيب ، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا .

---

(١) غافر : ٤٦ .

ثالثًا : أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه ، إنما يدركه الميت دون غيره والإنسان قد يرى في المنام هو نائم على فراشه أنه قائم وذاهب وراجع ، وضارب ومضروب ، ويرى أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به .

والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يقول سمعنا وأطعنا ، وآمنا وصدقنا .

٢٥١ وسئل هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟

فأجاب بقوله : أما إن كان الإنسان كافرًا والعياذ بالله فإنه لا طريق إلى وصول النعيم إليه أبدًا ويكون عذاب مستمرًا .

وأما إن كان عاصيًا وهو مؤمن ، فإنه إذا عُذِّبَ في قبره يُعَذَّبُ بقدر ذنوبه وربما يكون عذاب ذنوبه أقل من البرزخ الذي بين موته وقيام الساعة وحينئذٍ يكون منقطعًا .

٢٥٢ وسئل الشيخ : هل يُخَفَّفُ عَذَابُ القبر عن المؤمن العاصي ؟

فأجاب قائلًا : نعم قد يخفف لأن النبي ﷺ مَرَّ بقبرين فقال : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ... بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَبْرِءُ » أو قال : « لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة

وقال « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا » وهذا دليل على أنه قد يخفف العذاب ، ولكن ما مناسبة هاتين الجريدتين لتخفيف العذاب عن هذين المُعَذَّبَيْنِ ؟

(١) **قيل** : لأنهما أي الجريدتين تسبحان ما لم ييبسا ، والتسبيح يخفف من العذاب على الميت ، وقد فَرَّعُوا على هذه العلة المستنبطة - التي قد تكون مستبعدة أنه يُسَنُّ للإنسان أن يذهب إلى القبور ويسبح عندها من أجل أن يخفف عنها .

(٢) **وقال بعض العلماء** : هذا التعليل ضعيف لأن الجريدتين تُسبحان سواء كانتا رطبتين أم يابستين لقوله تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾⁽¹⁾ وقد سُمع تسبيح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ مع أن الحصى يابس ، إذن ما العلة ؟

العلة : أن الرسول ﷺ ترجى من الله عز وجل أن يخفف عنهما من العذاب ما دامت هاتان الجريدتان رطبتين ، يعني أن المدة ليست طويلة وذلك من أجل التحذير عن فعلهما ، لأن فعلهما كبير كما جاء في الرواية « بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ » أحدهما لا يستبرىء من البول ، وإذا لم يستبرء من البول صلى بغير طهارة ، والآخر يمشي بالنميمة يفسد بين عباد الله والعياذ بالله ويلقي بينهم العداوة والبغضاء ، فالأمر كبير ، **وهذا هو الأقرب أنها شفاعة مؤقتة تحذيرًا للأمة لا بخلًا من الرسول ﷺ بالشفاعة الدائمة .**

---

(١) الإسراء : ٤٤ .

ونقول استطرادًا : إن بعض العلماء – عفا الله عنهم – قالوا : يسن أن يضع الإنسان جريدة رطبة ، أو شجرة ، أو نحوها على القبر ليخفف عنه ، لكن هذا الاستنباط بعيد جدًا ولا يجوز أن نصنع ذلك لأمور :

أولًا : أننا لم يكشف لنا أن هذا الرجل يعذب بخلاف النبي ﷺ .

ثانيًا : أننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت ، لأننا ظننا به ظن سوء أنه يعذب وما يدرينا فلعله يُنَعَّم ، لعل هذا الميت ممن منَّ الله عليه بالمغفرة قبل موته لوجود سبب من أسباب المغفرة الكثيرة فمات وقد عفا رب العباد عنه ، وحينئذ لا يستحق عذابًا .

ثالثا : أن هذا الاستنباط مخالف لما كان عليه السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بشريعة الله فما فعل هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم فما بالنا نحن نفعله .

رابعًا : أن الله تعالى قد فتح لنا ما هو خير منه فكان النبي – عليه الصلاة والسلام – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يسْأَلُ » .

ـــــــــــ ٢٥٣ وسئل : هل عذاب القبر من أمور الغيب ، أو من أمور الشهادة ؟

فأجاب قائلاً : عذاب القبر من أمور الغيب ، وكم من إنسان في هذه المقابر يعذب ونحن لا نشعر به ، وكم جار له مُنَعَّمٌ مفتوح له باب إلى الجنة ونحن لا نشعر به ، فما تحت القبور لا يعلمه إلا علام الغيوب ،

فشأن عذاب القبر من أمور الغيب ، ولولا الوحي الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ما علمنا عنه شيئًا ولهذا لما دخلت امرأة يهودية إلى عائشة وأخبرتها أن الميت يعذب في قبره فزعت حتى جاء النبي ﷺ وأخبرته وأقر ذلك عليه الصلاة والسلام ، ولكن قد يُطْلِعُ الله تعالى عليه من شاء من عباده ، مثل ما أطلع نبيه ﷺ على الرجلين اللذين يعذبان أحدهما يمشي بالنميمة ، والآخر لا يستنزه من البول .

والحكمة من جعله من أمور الغيب هو :

أولًا : أن الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين فلو كنا نطلع على عذاب القبور لتنكد عيشنا لأن الإنسان إذا اطلع على أن أباه أو أخاه أو ابنه أو زوجه أو قريبه يعذب في القبر ولا يستطيع فِكَاكَهُ فإنه يقلق ولا يستريح وهذه من نعمة الله سبحانه .

ثانيًا : أنه فضيحة للميت فلو كان هذا الميت قد ستر الله عليه ولم نعلم عن ذنوبه بينه وبين ربه عز وجل ثم مات وأطلعنا الله على عذابه صار في ذلك فضيحة عظيمة له ، ففى ستره رحمة من الله بالميت .

ثالثًا : أنه قد يصعب على الإنسان دفن الميت كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام : « لَوْلاَ أَلَّا تَدَفَنُوا لَسَأَلْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » ، ففيه أن الدفن ربما يصعب ويشق ولا ينقاد الناس لذلك وإن كان من يستحق عذاب القبر عُذِّبَ ولو على سطح الأرض لكن قد يتوهم الناس أن العذاب لا يكون إلا في حال الدفن فلا يدفن بعضهم بعضا .

رابعا : أنه لو كان ظاهرا لم يكن للإيمان فيه مزيةٌ لأنه يكون مشاهدًا لا يمكن إنكاره ثم إنه قد يحمل الناس على أن يؤمنوا كلهم لقوله تعالى : **﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِالله وَحْدَهُ ﴾**(١) فإذا رأى الناس هؤلاء المدفونين وسمعوهم يتصارخون لآمنوا وما كفر أحد لأنه أيقن بالعذاب ، ورآه رأى العين فكأنه نزل به ، وحِكَمُ الله سبحانه وتعالى عظيمة ، والإنسان المؤمن حقيقة هو الذي يجزم بخبر الله أكثر مما يجزم بما شاهده بعينه ؛ لأن خبر الله عز وجل لا يتطرق إليه احتمال الوهم ولا الكذب ، وما تراه بعينك يمكن أن تتوهم فيه ، فكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال ، وإذا هي نجمة ، وكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال وإذا هي شعرة بيضاء على حاجبه وهذا وهم ، وكم من إنسان يرى شبحًا ويقول هذا إنسان مقبل وإذا هو جذع نخلة ، وكم من إنسان يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا ، لكن خبر الله لا يتطرق إليه الاحتمال أبدًا نسأل الله لنا ولكم الثبات ، فخبر الله بهذه الأمور أقوى من المشاهدة مع ما في الستر من المصالح العظيمة للخلق .

٢٥٤ وسئل : هل سؤال الميت في قبره حقيقي وأنه يجلس في قبره ويُنَاقَشُ أو أنه خيال ؟

فأجاب بقوله : سؤال الميت في قبره حقيقي بلاشك والإنسان في قبره يجلس ويُنَاقَشُ ويُسأل .

---

(١) غافر : ٨٤ .

فإن قال قائل : إن القبر ضيق فكيف يجلس ؟ ! فالجواب :

أولًا : أن الواجب على المؤمن في الأمور الغيبية أن يقبل ويصدق ، ولا يسأل كيف ؟ ولم ؟ لأنه لا يسأل عن كيف ولِمَ إلا من شك ، وأما من آمن وانشرح صدره لأخبار الله ورسوله فيسلم ويقول الله أعلم في كيفية ذلك .

ثانيًا : أن تعلق الروح بالبدن في الموت ليس كتعلقها به في حال اليقظة ، فللروح مع البدن شئون عظيمة لا يدركها الإنسان ، وتعلقها بالبدن بعد الموت لا يمكن أن يقاس بتعلقها به في حال الحياة ، وهاهو الإنسان في منامه يرى أنه ذهب ، وجاء ، وسافر ، وكلم أُناسًا ، والتقى بأناس أحياء وأموات ، ويرى أنه له بستانًا جميلًا ، أو دارًا موحشة مظلمة ، ويرى أنه راكب على سيارة مريحة ويرى مرة أنه راكب على سيارة مقلقة كل هذا يمكن مع أن الإنسان على فراشه ما تغير حتى الغطاء الذي عليه لم يتغير ومع ذلك فإننا نحس بهذا إحساسًا ظاهرًا فتعلق الروح بالبدن بعد الموت يخالف تعلقها به في اليقظة أو في المنام ولها شأن آخر لا ندركه نحن ، فالإنسان يمكن أن يجلس في قبره ويسأل ولو كان القبر محدودًا ضيقًا .

هكذا صح عن النبي ﷺ فمنه البلاغ ، وعلينا التصديق والإذعان قال الله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(١)

---

(١) النساء : ٦٥

٢٥٥ **عندنا عدد من المساجد بأسماء الأنبياء مثل جامع النبي يونس وغيرها من الجوامع ويوجد داخل المسجد مرقد ذلك النبي ويذهب الناس ويصلون في داخل هذه المساجد وفي الحديث ما معناه «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُواْ قُبُورَ أَنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ» ما حكم عملهم هذا ؟**

تسمية المساجد بأسماء الأنبياء لا ينبغي لأن هذا إنما يتخذ على سبيل التَّقرب إلى الله عزَّ وجلَّ أو التَّبرك بأسماء الأنبياء ، والتقرب إلى الله بما لم يَشْرَعه والتَّبرك بما لم يجعله الله سببًا للبركة لا ينبغي ، بل هو نوع من البِدع وأما كون قُبور الأنبياء في هذه المساجد فإنه كذب لا أصل له فلا يعلم قبر أحد من الأنبياء سوى قبر النبي ﷺ .

وقبور الأنبياء كلها مجهولة فمن زعم أن مسجد النبي يونس كان مرقد يونس أو كان قبر يونس فإنه قد قال قولًا بلا علم ، وكذلك بقيَّة المساجد أو الأماكن التي يقال عنها أن فيها شيئًا من قبور الأنبياء فإن هذا قول بلا علم وأما صِحَّة الصلاة في المساجد التي بنيت على القبور فإن كان القبر سابقًا على المسجد بأن بني المسجد على القبر فإن الصلاة لا تصح ويجوز هدم المسجد لأن النبي ﷺ قال «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ

والنَّصارَى ، اتَّخَذُواْ قُبُورَ أَنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» وأما إذا كان المسجد سابقًا على القبر بأن كان المسجد قائمًا مبنيًا ثم دفن فيه أحد فإنَّه يجب أن ينبش القبر وأن يدفن فيما يدفن فيه الناس .

والصلاة في هذا المسجد السابق على القبر صحيحة إلا إذا كان القبر تجاه المصلين فإن الصلاة إلى القبور لا تصح – كما في صحيح مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي – أن النبي ﷺ قال : «لا تَجْلِسُواْ عَلَى القُبُورِ ولا تُصَلُّواْ إلَيْهَا» .

٢٥٦ ——— هل استطيع أن أزور قبر ابني حيث أنه مات وقد سمعت من بعض النَّاس أنَّهم يقولون إنَّ الوالدة إذا ذهبت إلى القبر قبل طلوع الشمس ولم تَبْك وقَرأت سورة الفاتحة يمكن لولدها أنْ يراها بحيث تكون المسافة بينهما مثل ثُقُوب المَنْخُل وإذا بَكَتْ عليه حُجِبتْ عنه ما صِحَّة هذا وما حكم زيارة النِّساء للقُبور ؟

هذا الَّذي ذكرت من عمل المرأة إذا زارت قبر ابنها يوم الجمعة قبل طلوع الشَّمس وقرأت الفاتحة و لم تَبْكِ فإنه يُكْشَفُ لها عنه حتى تراه

كأنما تراه من خلال المَنْخُل . . نقول إن هذا القول ليس بصحيح وهو قول باطلٌ لا يُعَوَّل عليه .

وأما حكم زيارة النِّساء للقبور فقد اختلف العلماء فيه : فمنهم من كَرَّهها ، ومنهم من أبَاحَها إذا لم تشتمل على مَحْظُور ومنهم من حرَّمها والصحيح الرَّاجح عندي من أقوال أهل العلم أن زيارة النِّساء للقبور حَرَام لأن النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِرَاتِ القُبُور والمُتَّخِذين عَلَيْهَا المسَاجِدَ والسُرج» ، واللعن لا يكون على فِعل مباحٍ ، ولا يكون على فِعْل مَكْروهٍ بل يكون اللَّعن على فِعْلٍ محرم ، بل إنَّ القاعدة المعروفة عند أهل العلم تقتضي أنْ تكون زيارة النِّساء للقبور من كبائر الذُّنوب لأنَّه ترتب عليها اللَّعنة ، والذَّنب إذا رُتِّبت عليه اللَّعنة صار من كبائر الذُّنوب كما هو الأصل عند كثير من أهْل العلم أو أكثرهم ، وعلى هذا فإن نَصِيحَتي لهذه المرأة التي توفِّي ولدها أنْ تُكْثِرِ من الاستغفار والدُّعاء له في بيتها وإذا قَبِل الله تعالى ذلك منها فإنَّه ينتفع الولد وإن لم تَكُنْ عند قبره .

٢٥٧ ـــ ما حكم الدين في بناء المقابر بالطوب والأسمنت فوق ظهر الأرض ؟

أولًا أنَا أكره أن يوجه للشَّخص مِثْل هذا السؤال بأن يُقال : ما حكم الدين ما حكم الإسلام وما أشبه ذلك لأن الواحد من الناس لا يُعَبِّر عن الإسلام إذ قد يُخْطيء ويصيب ونحن إذا قلنا إنه يعبر عن الإسلام

معناه أنه لا يخطىء لأن الإسلام لا خطأ فيه ، فالأولى في مثل هذا التعبير أن يقال ما ترى في حُكم من فعل كذا وكذا أو ما ترى فيمن فعل كذا وكذا ، أو ما ترى في الإسلام هل يكون كذا وكذا حكمه ، المهم أن يُضَاف السؤال إلى المَسْئول فقط .

أمَّا بالنسبة لما أراه في هذه المسألة أنَّه لا يجوز أنْ يُبنى على القُبور فقد ثبت عن النبي ﷺ «أنَّه نَهَى عن البناء على القبور ونَهى ان يُجصص القبْر وأنْ يُبْنى عَليْه» ، فالبناءُ على القبور محرَّم لأنَّه وسيلة إلى أن تُعْبد ويُشْرَك بها مع الله عزَّ وجلَّ .

ـــــــــــــ ٢٥٨ ما رأيكم فيما ظهر هذه الأيام من الوعظ عند القبور عند دفن الميت ؟

الذي أرى في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يُشْرَع ، ولا ينبغي أن يُتَّخَذَ هذا سنة دَائمة ، فإن وجد له سبب فقد يُشْرَع ، مثل أن يرى أناسًا في المقبرة عند الدفن يَضْحَكُون ويَلْعَبُون ويَتمازَحون فهنا لا شك أن الموعظة حسنة وطيبة ، لأنه وجد لها سبب يقتضيها ، أما مجرد أن يقوم الإنسان خَطيبًا عند الناس وهم يدفنون الميت ، فهذا لا أصل له في هدي النبي ﷺ ، ولا يَنْبَغي أن يفعل .

صحيح أن النبي ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ولما يلحد القبر ، فجلس عليه الصلاة والسلام وجلس أصحابه كأن على رءوسهم

الطَّير من الهيبة والعَظَمة ، وكان مع الرسول ﷺ قضيب ينكت به الأرض ، فجعل يحدثهم عليه الصَّلاة والسَّلام عن حال الرجل عند موته وبعد وفاته ، فهذا واضح أنه لم يكن خطيبًا يخطب النَّاس ويَعِظُهم ، لكنه جالس وحوله أصحابه ينتظرون متى يلحد هذا القبر فحدَّثَهم ، كما لو كنت أنت وأصحابك تنتظرون دفن الميت ، فجعلت تحدثهم بهذا الشيء ، وفرق بين الحديث الخاص الذي يكون بين الجلساء ، وبين ما يفعل على سبيل الخطبة ، كذلك كان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف عليه وقال «اسْتَغْفِرُواْ لأخيكُم واسْأَلُواْ لَهُ التَّثْبِيتَ فانهُ الآنَ يُسْأَل» فهذه أيضاً مسألة خاصة وليست خطبة .

كذلك وقوفه عند قبر أحد أصحابه ، فجعل يُحَدِّثُ أصْحَابه ، وعيناه تَذْرِفَان ، ويقول : «مَا مِنْكُم مِن أَحَد إلَّا وقد كُتِبَ مَقْعَده مِنَ الجَنَّة والنَّارِ» هذا الحديث أو معناه ، كل هذا لا يَدُلُّ على مَشْرُوعية الخُطْبة عند الدَّفن على سبيل الأمر الذي يكون عادة مُتَّبعة ، ومثل هذه المَسَائل يَنْبَغي لنا أنْ نتحرى فيها .

٢٥٩ — هل المُسلم إذا ألْقَى السَّلام على قبرٍ يَرُدُّ اللهُ عليه روحَهُ ويَرُدُّ عَلَيْه السَّلام ما صِحَّة هذا ؟

هذا الذي ذَكَره السَّائل جاء فيه حديث مَرْفوع صححه ابن عبد البر وهو أنَّه «مَا مِنْ مُسْلم يَمُرُّ بقبر رَجُلٍ مُسْلمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيا فَيُسَلم عَلَيْه إلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيْه روحَه فَرَدَّ عَلَيْه السَّلام» .

٢٦٠ ما حكم زيارة المقابر ؟

زيارة القبور سُنَّة أمر بها النبي ﷺ بعد أن نهى عنها ، كما ثبت ذلك عنه ﷺ في قوله : « كُنتُ نَهَيْتُكم عَن زيارةِ القبورِ ألاَ فزوروها فإنَّها تُذَكِّرُكم الآخرةَ » . رواه مسلم . فزيارة القبور للتذكر والاتعاظ سنّة ، فإن الإنسان إذا زار هؤلاء الموتى في قبورهم ، وكان هؤلاء بالأمس معه على ظهر الأرض يأكلون كما يأكل ويشربون كما يشرب ويتمتعون بدنياهم وأصبحوا الآن رَهْنا لأعمالهم إنْ خيرا فخير وإن شرا فشر ، فإنه لابد أن يتعظ ويلين قلبه ويتوجه إلى الله عز وجل وبالإقلاع عن معصيته إلى طاعته ، وينبغي لمن زار المقبرة أن يدعو بما كان النبي ﷺ يدعو به وعلّمه أمته : « السلامُ عليكم دار قَوْمٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحقون ، يرحم اللهُ المستقدمين مِنّا ومنكم والمستأخرين ، نسأَلُ اللهَ لنا ولكم العافيةَ . اللهمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهم ، ولا تَفْتِنا بَعْدَهم ، واغْفِرْ لنا ولهم » . يقول هذا الدعاء ، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور ، وعلى هذا فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي ﷺ .

وأما زيارة القبور للنساء فإن ذلك محرّم ، لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج ، فلا يحل للمرأة أن تزور المقبرة هذا إذا خرجت من بيتها لقصد الزيارة ، أما إذا مرت بالمقبرة بدون قصد الزيارة فلا حرج عليها أن تقف وأن تسلّم على أهل المقبرة بما علّمه النبيُّ ﷺ أمّته ، فيفرق بالنسبة للنساء بين من خرجت من بيتها لقصد الزيارة ومن مرت بالمقبرة بدون قصد فوقفت وسلّمت .

الفتن وأشراط الساعة

٢٦١ سئل الشيخ : عن أحاديث خروج المهدي هل هي صحيحة . أو لا ؟

فأجاب بقوله : أحاديث المهدي تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : أحاديث مكذوبة .

القسم الثاني : أحاديث ضعيفة .

القسم الثالث : أحاديث حسنة لكنها بمجموعها تصل إلى درجة الصحة ، على أنها صحيح لغيره .

وقال بعض العلماء إن فيها ما هو صحيح لذاته وهذا هو **القسم الرابع** .

ولكنه ليس المهدي المزعوم الذي يقال إنه في سرداب في العراق ، فإن هذا لا أصل له وهو خرافة لا حقيقة له ، ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم يخلق ويولد في وقته ويخرج إلى الناس في وقته ، فهذه هي قصة المهدي ، وإنكاره مطلقًا خطأ ، وإثباته مطلقًا خطأ . كيف ذلك ؟

إثباته على وجه يشمل المهدي المنتظر الذي يقال إنه في السرداب هذا خطأ ؛ لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خَبَلٌ في العقل ، وضلال في الشرع وليس له أصل ، وإثبات المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ وتكاثرت فيه الأحاديث والذي سيولد في وقته ويخرج في وقته هذا حق .

٢٦٢ وسئل الشيخ : عن الدَّجَّال ؟ ولماذا حذر الأنبياءُ أقوامهم منه مع أنه لا يخرج إلا في آخر الزمان ؟

فأجاب قائلًا : أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خُلِقَ آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال كما قال ذلك النبي ﷺ ، ولهذا ما من نبي من نوح إلى محمد صلوات الله عليهم وسلامه إلا أنذر قومه به تنويها بشأنه وتعظيمًا له وتحذيرًا منه ، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان ، ولكن أمر الرسل أن ينذروا قومهم إياه من أجل أن تتبين عظمته وفداحته ، وقد صح ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « إن يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ – صلوات الله وسلامه عليه يعني أكفيكم إياه – وإِلَّا فَامْرُؤٌ حَجِيج نَفْسِهِ وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِم » نَعْمَ الخليفة ربنا جل وعلا .

فهذا الدجال شأنه عظيم بل هو أعظم فتنة كما جاء في الحديث منذ خُلِقَ آدم إلى أن تقوم الساعةُ فكان حَرِيًّا بأن يُخصَّ من بين فتن المحيا

في التعوذ من فتنته في الصلاة : « أَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ومِن فِتْنَة الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِن فِتْنَة الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » .

وأما الدجال فهو مأخوذ من الدَّجَل وهو التمويه لأن هذا مموه بل أعظم مموه وأشد الناس دجلًا والبحث فيه في أمور :

أولًا : خروج هذا المسيح الدجال من علامات الساعة ولكنه غير محدد لأنه لا يعلم متى تكون الساعة إلا الله فكذلك أشراطها ما نعلم منها إلا ما ظهر ، فوقت خروجه غير معلوم لنا لكننا نعلم أنه من أشراط الساعة .

ثانيا : مكانه . فإنه يخرج من المشرق من جهة الفتن والشر كما قال النبي ﷺ : « الْفِتْنَة هَا هُنَا » وأشار إلى المشرق ، فالمشرق منبع الشر والفتن يخرج من المشرق من خراسان مارًا بأصفهان داخلًا الجزيرة من بين الشام والعراق ليس له همٌّ إلا المدينة ، لأن فيها البشير النذير عليه الصلاة والسلام فيحب إن يقضي على أهل المدينة ، ولكنها محرمة عليه كما ثبت عن النبي ﷺ « عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةٌ يَحْفَظُونَهَا » هذا الرجل يخرج خلة بين الشام والعراق ، ويتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا ؛ لأنهم جنوده اليهود من أخبث عباد الله وهو أضل عباد الله فيتبعونه ويؤونه وينصرونه ويكونون مسالح له أي جنودًا مجندين هم وغيرهم ممن يتبعهم قال النبي عليه الصلاة والسلام : « يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا » يثبتنا عليه الصلاة والسلام لأن الأمر خطير وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْأَعَنْهُ فَوَالله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَبَعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » يأتيه الإنسان

ويقول لن يضلني ولن أتأثر به ، ولكن لا يزال يلقى فيه من الشبهات حتى يتبعه والعياذ بالله .

ثالثًا : دعوته : فقد ذكر أنه أول ما يخرج يدعو إلى الإسلام ويقول إنه مسلم وينافح عن الإسلام ، ثم بعد ذلك يدعي النبوة وأنه نبي ، ثم بعد ذلك يدَّعي أنه إله فهذه دعوته نهايتها بداية فرعون وهي إدعاء الربوبية .

رابعًا : فتنته : من حكمة الله عز وجل أن الله سبحانه وتعالى يعطيه آيات فيها فتن عظيمة فإنه يأتي إلى القوم يدعوهم فيتبعونه فيصبحون وقد نبتت أراضيهم وشبعت مواشيهم فتعود إليهم أطول ما كانت ذرى وأسبغ ضروعًا وأمد خواصر يعني أنهم يعيشون برغد لأنهم اتبعوه .

ويأتي القوم فيدعوهم فلا يتبعونه فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم وهذه فتنة عظيمة لا سيما في الأعراب ، ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه كيعاسيب النحل من ذهب وفضة وغيرها بدون آلات وبدون أي شيء ، فتنة من الله عز وجل فهذه حاله ومعاملته مع أهل الدنيا لمن يريد التمتع بالدنيا أو ييأس فيها .

ومن فتنته أن الله تعالى جعل معه جنة ونار بحسب رؤيا العين لكن جنته نار وناره جنة ، فمن أطاعه أدخله هذه الجنة فيما يرى الناس ولكنها نار محرقة والعياذ بالله ، ومن عصاه أدخله النار فيما يرى الناس ولكنها جنة وماء عذب طيب .

إذن يحتاج الأمر إلى تثبيت من الله عز وجل إن لم يثبت الله المرء هلك وضل فيحتاج إلى أن يثبت الله المرء على دينه ثباتًا قويًا . ومن فتنته أنه

يخرج إليه رجل من الناس ممتلىء شابًا فيقول له : أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ فيدعوه فيأبى أن يتبعه فيضربه ويشجه في المرة الأولى ثم يقتله ويقطعه قطعتين ويمشي بينهما تحقيقًا للمباينة بينهما ، ثم يدعوه فيقوم يتهلل وجهه ويقول أنت الدجال التي ذكر لنا رسول الله ﷺ ثم يأتي ليقتله فلا يسلط عليه يعجز عن قتله ولم يسلط على أحد بعده ، فهذا من أعظم الناس شهادة عند الله لأنه في هذا المقام العظيم الرهيب الذي لا نتصوره نحن في هذا المكان لا يتصور رهبته إلا من باشره ومع ذلك يصرح على الملأ إعذارًا وإنذارًا بأنك أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ هذه حاله وما يدعو إليه .

خامسًا : مقدار لبثه في الأرض : أربعون يومًا فقط ، لكن يومًا كسنة ، ويومًا كشهر ، ويوما كجمعة ، وسائر أيامه كأيامنا ، هكذا حدث النبي ﷺ قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول ، هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم الواحد ؟ قال : « لاَ اقدرُوا لَهُ قَدْرَه » انظروا إلى هذا المثال لنأخذ منه عبرة كيف كان تصديق أصحاب رسول الله ﷺ لرسول الله ما ذهبوا يحرفون ، أو يؤولون ، أو يقولون أن اليوم لا يمكن أن يطول لأن الشمس تجري في فلكها ولا تتغير ولكنه يطول لكثرة المشاق فيه وعظمها فهو يطول لأنه متعب – بكسر العين – ما قالوا هكذا كما يقوله بعض المتخذلقين ولكن صدقوا بأن هذا اليوم سيكون اثنا عشر شهرًا حقيقة ، بدون تحريف ، بدون تأويل ، وهكذا حقيقة المؤمن ينقاد لما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب وإن حار فيها عقله ، لكن يجب أن تعلم أن خبر الله ورسوله لا يكون في شيء محال عقلًا لكن يكون في شيء تحار فيه العقول لأنها لا تدركه ، فالرسول

ﷺ أخبر أن أول يوم من أيام الدجال كسنة ، لو أن هذا الحديث مر على المتأخرين الذين يدعون أنهم هم العقلاء لقالوا أن طوله مجاز عما فيه من التعب والمشقة لأن أيام السرور قصيرة ، وأيام الشرور طويلة ، ولكن الصحابة رضي الله عنهم من صفائهم وقبولهم سلموا في الحال وقالوا بلسان الحال أن الذي خلق الشمس وجعلها تجري في أربع وعشرين ساعة في اليوم والليلة قادر على أن يجعلها تجري في اليوم اثنى عشر شهرًا ، لأن الخالق واحد عز وجل فهو قادر ، ولذلك سلموا . وقالوا : كيف نصلي ؟ ما سألوا عن الأمر الكوني لأنهم يعلمون أن قدرة الله فوق مستواهم ، سألوا عن الأمر الشرعي الذين هم مكلفون به وهو الصلاة ، وهذا والله حقيقة الانقياد والقبول قالوا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم ؟ قال : « لاَ اقدروا لَهُ قَدْرَهُ » وسبحان الله العظيم إذا تأملت تَبَيَّنَ لك أن هذا الدين تام كامل لا يمكن أن تكون مسألة يحتاج الناس إليها إلى يوم القيامة إلا وجد لها أصل ، كيف أنطق الله الصحابة أن يسألوا هذا السؤال ؟ أنطقهم الله حتى يكون الدين كاملًا لا يحتاج إلى تكميل ، وقد احتاج الناس إلى هذا الآن في المناطق القطبية يبقى الليل فيها ستة أشهر والنهار ستة أشهر فنحتاج إلى هذا الحديث ، انظر كيف أفتى الرسول ﷺ هذه الفتوى قبل أن تقع هذه المشكلة لأن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾(١) والله لو نتأمل الكلمة ﴿ **أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ لعلمنا أنه لا يوجد شيء ناقص في الدين أبدًا

---

(١) المائدة : ٣ .

فهو كامل من كل وجه ، لكن النقص فينا ، إما قصورًا في عقولنا ، أو في أفهامنا ، أو في إرادات تكون ما هي منضبطة يكون الإنسان يريد أن ينصر قوله فيعمى عن الحق – نسأل الله العافية – فلو أننا نظرنا في علم وفهم ، وحسن نية لوجدنا أن الدين ولله الحمد لا يحتاج إلى مُكَمِّل ، وأنه لا يمكن أن تقع مسألة صغيرة ولا كبيرة ، إلا وجد حلها في الكتاب والسنة ، لكن لما كثر الهوى وغلب على الناس صار بعض الناس يعمى عليهم الحق ويخفى عليهم وتجدهم إذا نزلت فيهم الحادثة التي لم تكن معروفة من قبل بعينها وإن كان جنسها معروفًا تجدهم يختلفون فيها أكثر من أصابعهم إذا كانت تحتمل قولين وجدت فيها عشرة ، كل هذا لأن الهوى غلب على الناس الآن ، وإلا فلو كان القصد سليمًا والفهم صافيًا والعلم واسعًا لتبين الحق .

على كل حال ، أقول إن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يبقى أربعين يومًا وبعد الأربعين يومًا ينزل المسيح عيسى ابن مريم الذي رفعه إليه وقد جاء في الأحاديث الصحيحة « أَنَّهُ يَنزِلُ عِندَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْق وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَّانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَهُ إِلَّا مَاتَ » وهذه من آيات الله فيلحق الدجال عند باب اللد في فلسطين فيقتله هناك ، وحينئذ يقضي عليه نهائيًا ، ولا يقبل عيسى عليه الصلاة والسلام إلا الإسلام ، لا يقبل الجزية ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير فلا يعبد إلا الله ، وعلى هذا فالجزية التي فرضها الإسلام جعل الإسلام لها أمدًا تنتهي إليه عند نزول عيسى ، ولا يقال إن هذا تشريع من عيسى عليه الصلاة والسلام لأن الرسول ﷺ أخبر بذلك مقرًّا له ، فوضع الجزية

عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأن سنة الرسول ﷺ قوله ، وفعله ، وإقراره ، وكونه يتحدث عن عيسى ابن مريم مقرًا له فهذا من سنته ، وإلا فإن عيسى لا يأتي بشرع جديد ولا أحد يأتي بشرع جديد ، ليس إلا شرع محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة ، هذا ما يتعلق بالدجال نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من فتنته .

٢٦٣ وسئل الشيخ : هل الدجال من بني آدم ؟

فأجاب قائلًا : الدجال من بني آدم . وبعض العلماء يقول إنه شيطان . وبعضهم يقول إن أباه انسي وأُمَّه جِنيَّةٌ ، وهذه الأقوال ليست صحيحه ، فالذي يظهر أن الدجال من بني آدم ، وأنه يحتاج إلى الأكل والشرب وغير ذلك ، ولهذا يقتله عيسى قتلًا عاديًا كما يقتل البشر .

٢٦٤ وسئل : هل الدجال موجود الآن ؟

فأجاب بقوله : الدجال غير موجود لأن الرسول ﷺ خطب الناس في آخر حياته وقال : « إِنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ أَحَدٌ » وهذا خبر ، وخبر النبي ﷺ لا يدخله الكذب وهو متلقى من الوحي لأن النبي ﷺ لا يعلم مثل هذا الغيب فهو غير موجود ولكن الله يبعثه متى شاء .

٢٦٥ وسئل : عن قول بعض أهل العلم أن الرسل الذين أنذروا أقوامهم الدجال لم ينذروهم بعينه وإنما أنذروهم بجنس فتنته ؟

فأجاب : هذا القول ضعيف ، بل هو نوع من التحريف لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه ما من نبي إلا أنذر به قومه بعينه كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ » وسبق لنا بيان الحكمة من إنذار الرسل به ، ولكن يجب علينا أن نعلم أن جنس هذه الفتنة موجود حتى في غير هذا الرجل ، يوجد من بني آدم الآن من يضل الناس بحاله ومقاله وبكل ما يستطيع ، وتجد أن الله سبحانه وتعالى بحكمته أعطاه بيانًا وفصاحة ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾[1] فعلى المرء إذا سمع مثل هذه الفتن التي تكون لأهل البدع من أناس يبتدعون في العقائد ، وأناس يبتعدون في السلوك وغير ذلك ، يجب عليه أن يعرض هذه البدع على الكتاب والسنة وأن يحذر ويحذّر منها وأن لا يغتر بما تُكْسَى به من زخارف القول ، فإن هذه الزخارف كما قيل فيها :

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

---

(١) الأنفال : ٤٢ .

فالدجال المُعَيَّنُ لاشك أن فتنته أعظم من شيء يكون ، لكن هناك دجاجلة يدجلون على الناس ويُمَوِّهُونَ عليهم ، فيجب الحذر منهم ، ومعرفة إرادتهم ونواياهم ، ولهذا قال تعالى في المنافقين : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾(١) مع أنه قال : ﴿ **وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾(٢) يعني بيانه ، وفصاحته ، وعظمه يجرك جرًا إلى أن تسمع ، لكن كأنهم خشب مسندة حتى الخشب ما هي قائمة بنفسهــا مسندة تقوم على الجدار فهي لا خير فيها .

فهؤلاء الذين يزينون للناس بأساليب القول سواءً في العقيدة ، أو في السلوك ، أو في المنهج يجب الحذر منهم ، وأن تعرض أقوالهم ، وأفعالهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما خالفهما فهو باطل مهما كان ، ولا تقولن إن هؤلاء القوم أُعْطُوا فَصَاحَةً وبيانا لينصروا الحق ، فإن الله تعالى قد يبتلي فيعطي الإنسان فصاحة وبيانًا وإن كان على باطل كما ابتلى الله الناس بالدجال وهو على باطل بلا شك .

---

(١) المنافقون . ٤ .

(٢) المنافقون : ٤ .

٢٦٦ نسمع كثيرا عن يَأْجُـوج ومَأْجُوج فمن هم ؟

يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ أمتانِ من بني آدم موجودتان ، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين : **﴿ حَتَّى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ من دُونِهما قوماً لا يَكَادُون يَفْقَهُون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إنَّ يَأْجُوج ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ فهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً على أن تَجْعَلَ بيننا وبينهم سَدًّا قال ما مَكَّنِّي فيه رَبِّي خَيْرٌ فأعَينوني بقوةٍ أَجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْماً ﴾**(١) .

ويقول النبي ﷺ : « يقول اللهُ يَوْمَ القيامةِ يا آدمُ قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النارِ مِنْ ذُرِّيتِكَ » إلى أن قال رسول الله ﷺ « أَبْشِرُوا فإنّ مِنكم واحداً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألفاً » وخروجهم الذي هو من أشراط الساعة وُجدت بوادره في عهد النبي ﷺ ، ففي حديث أم حَبيبة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله ﷺ يوما فزعا محمرا وجهه يقول « لا إله إلاّ اللهُ وَيْلٌ للعَرَب مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذه ، وحَلَّق بأصبعِه الإبهامِ والتي تليها » .

---

(١) الكهف ٩٣ – ٩٥ .

٢٦٧ هل صحَّ حديث خـروج السُّفياني في علامات السَّاعة ؟ وكذا هل صَحَّتْ أيضًا أحاديث خروج الرَّايات السُّود ؟

حديث السفياني أخرجه الحاكم في مستدركة وقال حديث صحيح الإسناد ولكن الحاكم رحمه الله معروف بالتساهل بالتصحيح فالله أعلم وأما الرايات السود فلا أدرى .

٢٦٨ سئل فضيلة الشيخ : ما معنى قول النبي ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ » ؟

فأجاب قائلًا : يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يدل على عدم الوقوع لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا أيس أن يعبد سوى الله في هذه الجزيرة . فالحديث خبر عما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت ولكنه لا يدل على انتفائه في الواقع .

٢٦٩ سئل الشيخ : عن الجمع بين قول النبي ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْس حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ » . وكذلك ما وقع إبَّانَ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب - يرحمه الله تعالى - وقوله ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ في جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : الجمع بين النصوص المذكورة أن يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يقتضي عدم الوقوع لأنه لا يعلم الغيب ، فالشيطان لما رأى تخليص الجزيرة من الشرك وتوطيد دعائم التوحيد ظنّ أن لا شرك في الجزيرة بعد هذا ، ولكن النبي ﷺ الذي ينطق بوحي من الله تعالى ، أخبر أنه سيكون ذلك . وأما وقوع ذلك في الجزيرة إبَّان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهّاب - يرحمه الله تعالى - فلا يخلو إما أن يكون لقلة العلماء أو لعجزهم عن الإصلاح لغلبة الجهل وكثرة الجهّال . والله أعلم بحقيقة الحال .

البعث والنار

٢٧٠ سئل فضيلة الشيخ : هل يوم الحساب يوم واحد ؟

يوم الحساب يوم واحد ولكنه يوم مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بعذابٍ وَاقِعٍ . للكافرينَ لَيْسَ له دَافِعٌ . مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ . تَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يَوْمٍ كان مِقْدَارُه خمسينَ ألفَ سَنَةٍ ﴾(١) أي أن هذا العذاب يقع للكافرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ صَاحبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها إلا إذا كان يَوْمُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ مِن نار ، وأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ فيُكْوَى بها جَنْبُه وجَبِينُه وظَهْرُه كلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ حتى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ » . وهذا اليوم الطويل هو يوم عَسِير على الكافرين كما قال تعالى : ﴿ وكان يَوْماً على الكافرين عَسِيرا ﴾(٢) وقال تعالى :

---

(١) المعارج ١ – ٤

(٢) الفرقان ٢٦

﴿ فذلك يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . على الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾(١) ومفهوم هاتين الآيتين أنه على المؤمن يسير وهو كذلك ، فهذا اليوم الطويل بما فيه من الأهوال والأشياء العظيمة ييسره الله تعالى على المؤمن ويكون عسيرا على الكافر . وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإخواني المسلمين ممن يسّره الله عليهم يوم القيامة .

والتفكير والتعمق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التنطع الذي قال النبي ﷺ فيه : « هَلَكَ المُتَنَطِّعُون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » . ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم ، وأخذ الأمور على ظاهر معناها دون أن يتعمق أو يحاول القياس بينها وبين الأمور في الدنيا ، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك لكن بينهما فرق عظيم ، وأضرب لك مثلا بما ذكره الله سبحانه وتعالى في الجنة من النخل والرمان والفاكهة ولحم الطير والعسل والماء واللبن والخمر وما أشبه ذلك مع قوله عز وجل : **﴿ فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بما كانوا يَعْمَلُون ﴾**(٢) وقوله في الحديث القدسي : « أَعْدَدتُّ لِعبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ » فهذه الأسماء التي لها مسميات بها في هذه الدنيا لا تعني أن المسمى كالمسمىٰ وإن اشتركا في الاسم وفي أصل المعنى ، فكل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة . فينبغي

---

(١) المدثر ٩ –١٠ .

(٢) السجدة ١٧

للإنسان أن ينتبه لهذه القاعدة وأن يأخذ أمور الغيب بالتسليم على ما يقتضيه ظاهرها من المعنى وألا يحاول شيئا وراء ذلك .

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قول الله تعالى : ﴿ **الرَّحْمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوَى** ﴾(١) كيف استوى ؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء – أي العَرَق – وصار يتصبب عرقا وذلك لِعظم السؤال في نفسه ، ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي كانت ميزانا لجميع ما وصف الله به نفسه قال رحمه الله : « الاسْتِواءُ غيْرُ مَجْهُول ، والكَيْفُ غيْرُ مَعْقُولٍ ، والإيمانُ به وَاجِب والسُّؤالُ عنه بِدْعَة » . اهـ .

فالسؤال المتعمق في مثل هذه الأمور بدعة لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد منا حرصا على العلم وعلى الخير لم يسألوا النبي ﷺ مثل هذه الأسئلة وكَفَى بهم قدوة ، وما قلته الآن بالنسبة لليوم الآخر يجرى بالنسبة لصفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه من العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك ، فإن مسميات هذه الألفاظ بالنسبة إلى الله عز وجل لا يماثلها شيء مما يشاركها في هذا الاسم بالنسبة للإنسان فكل صفة فإنها تابعة لموصوفها فكما أن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته .

وخلاصة الجواب : أن اليوم الآخر يوم واحد وأنه عسير على الكافرين ويسير على المؤمنين وأن ما ورد فيه من أنواع الثواب والعقاب أمر لا يُدْرَكُ كُنْهُه في هذه الحياة الدنيا وإن كان أصل المعنى فيه معلوما لنا في هذه الحياة الدنيا .

---

(١) طه ٥ .

٢٧١ **كيف نجمع بين القول القاضي بأن الذي يوزن يوم القيامة هو العمل ، وحديث النبي ﷺ عندما انكشفت ساق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « واللهِ إنَّها لأَثْقَلُ في الميزانِ مِن جَبَلِ أُحُد » ؟**

الجواب على هذا أن يُقال إما أن يكون هذا خاصا بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أو يقال إن بعض الناس يوزن عمله وبعض الناس يوزن بدنه ، أو يقال إن الإنسان إذا وزن فإنما يثقل ويرجح بحسب عمله والله أعلم .

٢٧٢ **الإنسان المؤمن مَحَلّ الحساب يوم القيامة ، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر . فكيف يكون الكافر مَحَلا للحساب كذلك وهو غير مطالب بالتكليفات المطالب بها المؤمن . ؟**

هذا السؤال مَبْنِيّ على فَهْم ليس بصحيح فإنَّ الكافر مُطَالب بما يُطَالب به المُؤمن لكنه غير مُلْزم به في الدُّنيا ويدلُّ على أنه مُطَالب لقوله تعالى : **﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُون عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيومِ الدِّينِ ﴾⁽¹⁾ . فلولا أنهم تأثَّروا بترك الصلاة وترك الطعام وإطعام المساكين لولا أنهم تأثروا بذلك ما ذكروه وهذا دليل على أنهم يُعَاقبون على فروع الإسلام .

وكما أن هذا هو مُقْتَضى الأثر فهو أيضًا مُقْتضى النَّظر فإذا كان الله تعالى يُعَاقب عبده المُؤْمن على ما أخَل بهِ من واجب في دينه فكيف لا يُعَاقب عبده الكافر ؟ بل إني أزيدُك أن الكافر يُعاقب على كل ما أنْعَم الله به عليه من طَعام وشَرَاب وغيره قال تعالى : **﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جُناح فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات ثُمَّ اتَّقوا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا والله يُحِبُّ المُحْسنِينَ ﴾**⁽²⁾ .

فمنْطُوق الاية رَفْعُ الجُناح عن المؤمنين فيما طَعمُوه وَمفْهومها وقُوع الجُنَاح على الكافرين فيما طَعمُوه وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : **﴿ قُلْ مَنْ حَرَّم زِينَة الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَاده والطَّيِّبات مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاة الدُّنيا خالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾**⁽³⁾ .فإن قَوْله : **﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمنُوا فِي الحَياةِ الدُّنيَا ﴾** دَليل على أنَّ غير المؤمن ليس له حق في أن يَسْتمتع بها ، أقول ليس له حق شرعي أمَّا الحق بالنَّظر إلى الأمر الكَوْني وهو أن الله سبْحانه وتعالى خَلَقها وانْتفع بها هذا الكافر فهذا أمر لا يمكن إنْكَارُه . فهذا دَليل على أن الكافر يُحاسب حتى على

---

(١) المدثر ٣٩ - ٤٦ .

(٢) المائدة ٩٣

(٣) الأعراف ٣٢

ما أكل من المُبَاحات وما لبس وكما أن هذا مُقْتضى الأثر فإنه مُقْتضى النَّظر إذ كيف يَتَمَتَّع هذا الكافر العاصي لله الذي لا يؤمن به كيف يَحِقُّ له عَقْلًا أن يستمتع بما خلقه الله عزَّ وجلَّ وما أنعم الله به على عباده ، إذا تَبين لك هذا فإن الكافر يُحَاسب يوم القيامة على عَمله . ولكن حساب الكافر على عمله يوم القيامة ليس كحساب المُؤْمن لأن المؤمن يُحَاسب حسابًا يسيرًا يَخْلُو به الرَّب عزَّ وجلَّ ويُقرره بِذنُوبه حتى يَعْترف ثم يقول له سبحانه وتعالى : قَدْ سَترتها عَلَيْكَ في الدُّنْيا وَأنَا أغْفِرُها لَكَ الْيوم . أمَّا الكافر والعياذُ بالله فإنَّ حسابه أن يقررَ بذُنُوبه وَيخْزَى بهَا عَلَى رُؤوس الأشْهَاد . . : ﴿ **وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِين كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمينَ** ﴾(١) .

٢٧٣ ———— سئل الشيخ : كيف تدنو الشمس يوم القيامة من الخلائق مقدار ميل ولا تحرقهم وهي لو دنت عما هي عليه الآن بمقدار شبر واحد لاحترقت الأرض ؟

فأجاب بقوله : إن وظيفة المؤمن – وهذه قاعدة يجب أن تُبْنَى عليها عقيدتنا – فيما ورد من أخبار الغيب القبول والتسليم وأن لا يسأل عن كيف ؟ ولم ؟ لأن هذا أمر فوق ما تتصوره أنت ، فالواجب عليك ن

---

(١) هود ١٨ .

تقبل وتسلم وتقول آمنا وصَدَّقنا ، آمنا بأن الشمس تدنو من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل ، وما زاد على ذلك من الإيرادات فهو من البدع ، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن استواء الله كيف استوى ؟ قال : « السؤال عنه البدعة » . هكذا أيضًا كل أمور الغيب السؤال عنها بدعة وموقف الإنسان منها القبول والتسليم .

جواب الشق الثاني : بالنسبة لدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة فإننا نقول : –

أن الأجسام تبعث يوم القيامة لا على الصفة التي عليها في الدنيا من النقص وعدم التحمل بل هي تبعث بعثًا كاملًا تامًا ، ولهذا يقف الناس يوم القيامة يومًا مقداره خمسون ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون ، وهذا أمر لا يتحمل في الدنيا فتدنو الشمس منه وأجسامهم قد أعطيت من القوة ما يتحمل دنوها ، ومن ذلك ما ذكرناه من الوقوف خمسين ألف سنة لا يحتاجون إلى طعام ولا شراب ، فالأجسام يوم القيامة لها شأن آخر غير شأنها في هذه الدنيا .

٢٧٤ — **سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾⁽¹⁾ وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾⁽²⁾ ؟**

---

(١) الحاقة : ٢٥ .

(٢) الانشقاق : ١٠ .

فأجاب قائلًا : الجمع بينهما أن يقال : يأخذه بشماله لكن تخلع الشمال إلى الخلف من وراء ظهره ، والجزاء من جنس العمل فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره ، وأعطى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره جزاءً وفاقًا

٢٧٥ سئل الشيخ : هل الميزان واحد أو متعدد ؟

فأجاب بقوله : اختلف العلماء في الميزان هل هو واحد أو متعدد على قولين ، وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد ، ومرة بالجمع مثال الجمع قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾(١) وكذلك في قوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾(٢) ومثال على الإفراد قوله ﷺ : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ » .

فقال بعض العلماء إن الميزان واحد ، وأنه جمع باعتبار الموزون ، أو باعتبار الأمم فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد ، وأعمال أمة موسى ، وأعمال أمة عيسى ، وهكذا فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم .

والذين قالوا إنه متعدد بذاته قالوا لأن هذا هو الأصل في التعدد ، ومن الجائز أن الله تعالى يجعل لكل أمة ميزانًا ، أو يجعل للفرائض ميزانًا ، وللنوافل ميزانًا .

---

(١) الأنبياء : ٤٧ .

(٢) القارعة : ٦ .

الذي يظهر والله أعلم أن الميزان الواحد ، ولكنه متعدد باعتبار الموزون .

٢٧٦ سئل الشيخ كيف تُوزَنُ الأعمال وهي أوصاف للعاملين ؟

فأجاب بقوله : القاعدة في ذلك كما أسلفنا أن علينا أن نسلم ونقبل ولا حاجة لأن نقول كيف ؟ ولم ؟ ومع ذلك فإن العلماء رحمهم الله قالوا في جواب هذا السؤال : إن الأعمال تقلب أعيانًا فيكون لها جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف ، وضربوا لذلك مثلًا بما صح به الحديث عن النبي ﷺ « أَنَّ الْمَوتَ يُجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فَيُنَادَى أَهْلُ الْجَنَّةِ ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبُّونَ . وَيُنَادَى يَا أَهْلَ النَّار فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبُّونَ مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ فَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فَيَقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيقُولُونَ : نَعَم هَذَا الْمَوْتُ فَيُذْبَحُ الْمَوْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُود فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُود فَلاَ مَوْتَ » ونحن نعلم جميعا أن الموت صفة ولكن الله تعالى يجعله عينًا قائمًا بنفسه وهكذا الأعمال تجعل أعيانًا فتوزون والله أعلم .

٢٧٧ ——— سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول النبي ﷺ « مَن نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ » رواه البخاري من حديث عائشة ، ومناقشة المؤمن في قوله ﷺ « إنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَم أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » الحديث رواه البخاري ؟

فأجاب رعاه الله وحفظه بقوله : ليس في هذا إشكال لأن المناقشة معناها أن يحاسب فيطالب بهذه النعم التي أعطاها الله إياها ، لأن الحساب الذي فيه المناقشة معناه أنك كما تأخذ تُعْطِي ، ولكن حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجهة ، بل إنه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرره بذنوبه وأقر واعترف قال : « سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْم » وكلمة « نُوقِشَ » تدل على هذا ، لأن المناقشة الأخذ أو الرد في الشيء والبحث على دقيقه وجليله ، وهذا لا يكون بالنسبة لله عز وجل مع عبده المؤمن بل إن الله تعالى يجعل الحساب للمؤمن مبنيًّا على الفضل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل .

٢٧٨ كيف يمكن الجمع بين قوله ﷺ : « مَن نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّب » ، وبين قوله تعالى لعبده المؤمن : ﴿ عَصَيْتَني في الدُّنيا وَأَنا أَستُرها عَليكَ الآن ﴾ ؟

ليس في هذا إشكال ، لأن المناقشة معناه أنك كما تأخذ تعطي ، ولكن حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجه ، بل إنه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرره بذنوبه فأقَرّ واعترف ، قال : قَدْ سَتَرْتها عَلَيْكَ في الدُّنْيَا وأنا أَغْفِرها لَكَ اليَوْم ، وكلمة (نُوقشَ) تدل على هذا ، لأن المناقشة الأخذ والرد في الشيء والبحث عن دقيقه وجَليله ، وهذا لا يكون بالنِّسبة لله عزَّ وجلَّ بل إن الله تعالى يجعل الحساب للمؤمن مَبْنِيًا على الفَضْل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل .

٢٧٩ أسمع أنَّ للقيامة أسماء متعددة في القرآن الكريم ، فما هي هذه الأسماء وما سر تعدُّدها ؟

الأسماء لا يُمْكنُني الآن حَصْرها لكن سبب تَعدُّدها أنها أسماء تدل على أوصاف فهي الساعة . وكلمة الساعة تقال فى اللغة العربية لما يَقع فيه الأمر العظيم الشَّديد الشّاق . وتُسَمى الحاقة لِكونها حقًا ووصفها الله جل جلاله أنَّ زلزلتها شيءٌ عظيم فيها من الأهْوال ووصِفت بالقارعة. إلى

غير ذلك من الأوصاف التي كل وصفٍ منها يدُل على معنًى لا يَدُل عليه الاسم الآخر يكون ذلك أو الوصف الآخر فهذه هي الحكمة من تَعدد أَوْصافها وذكرها حتى يكُون ذلك أبلغ في الإيمان بها وأقوم للاستعداد لها .

٢٨٠ ———— **ما صحة قول ابن حزم : من أن الناس منهم من يأخذ كتابه بشماله وهم الكفار ، ومنهم من يأخذه بيمينه وهم المؤمنون ، ومنهم من وراء ظهره وهم عصاة الموحدين ؟**

هذا القول ليس بصحيح ؛ لأن الذي يأخذ كتابه من وراء ظَهْره يدعو ثُبورًا ويصلى سعيرًا ويظن أنه لن يرجع ، والذي يظن أنه لن يرجع ليس عاصيًا ، بل هو كافر مُنْكر للبعث قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِه فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِه مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾(١) . – أى لن يرجع للآخرة – ﴿ بلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾(٢) .

---

(١) الإنشقاق : ١٠ – ١٤

(٢) الإنشقاق : ١٥

فالصَّواب أن الذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الكافر ، لكن كما قال بعض أهل العلم تخلع شماله من وَرَائه ، ويأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره .

۲۸۱ ــــــــــ هل هناك إشكال بين قولكم إن الأبدان تكون على حال غير التي هي عليها الآن يوم القيامة ، وبين قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾⁽¹⁾ .

هذا لا يشكل على ما قلنا ؛ لأن المراد بقوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾⁽¹⁾ . من حيث الخلق فهو كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾⁽²⁾ . فالمعنى أنه كما بدأ خلقكم وقدر عليه فإنكم تعودون كذلك بقدرة الله عَزَّ وجَلَّ .

---

(١) الأعراف : ٢٩

(٢) الروم : ٢٧

الجنة والنار

٢٨٢ إذا كانت الجَنَّة عَرْضُها كعرض السَّماوات والأرض فأيْن تُوجد في هذا الكون الذي تملؤه السَّماوات والأرض

قبل الجواب على هذا يَجبُ أنْ نقدم مُقَدِّمة : وهي أنَّ ما جاء في كتاب الله وما صَحَّ عن رسول الله ﷺ فإنه حق ولا يُمْكن أن يُخَالف الأمر الوَاقع ؛ فإن الأمر الواقع المَحْسُوس حَقّ لا يُمْكن إنْكاره ومَا دَلَّ عليه الكِتاب والسُّنة فإنَّه حق لا يُمْكن إنْكَاره ولا يُمْكن تَعَارض حَقَّيْن عَلى وَجْهٍ لا يُمكن الجَمْع بَيْنَهما .

وقد ثَبَت في القرآن الكريم أنَّ الجنة ﴿ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّماء والأرْض ﴾(١) . وفي الآيـة الأخـرى ﴿ عَرْضُهـا السَّمَـوات والأرْضُ ﴾(٢) . وهذا حقّ بلا رَيْب وقد سَأل يَهودي النبي ﷺ عن

---

(١) الحديد : ٢١

(٢) آل عمران : ١٣٣

هَذِهِ الآية فقال : إذا كَانت الجَنَّة عَرْضُها السَّماوات والأَرْض فأَيْن تَكُونُ النار ؟ فقال النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام إذا جاءَ اللَّيلُ فأَيْنَ يَكُونُ النَّهار ؟ ثم إن قول السائل إن هذا الكون والأَرْض وفيه الكُرسي وفيه العَرْش وقد كان النبي عليه الصَّلاة والسَّلام يقول بعد رفعه من الرُّكوع : «مِلء السَّماوات وَمِلء الأَرْض وَمَلء ما شئتَ من شيء بَعد» فهناك عَالم غير السَّماوات والأَرْض لا يَعْلمه إلا الله كذلك نَحْنُ نَعْلمُ مِنْه ما عَلَّمنا به سبحانه وتعالى مِثْل العرش والكُرْسي ، والعرش وهو أَعْلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى قد استوى عليه استواء يَليقُ بِجَلاله وعَظَمته .

٢٨٣ ـ سئل الشيخ أعْلَى اللهُ دَرَجَتَهُ : هل الجنة والنار موجودتان الآن ؟

فأجاب بقوله : نعم الجنة والنار موجودتان الآن ، ودليل ذلك من الكتاب والسنة :

أما الكتاب فقال الله تعالى في النار : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(١) والإعداد بمعنى التهيئة ، وفي الجنة قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمتَّقِينَ ﴾(٢) والإعداد أيضًا التهيئة .

---

(١) آل عمران : ١٣١ .

(٢) آل عمران : ١٣٣ .

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في قصة كسوف الشمس ، أن النبي ﷺ قام يصلي ، فعُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ ، وشَاهَدَ الجنةَ حتى هَمَّ أن يتناول منها عنقودًا ، ثم بدا له أن لا يفعل عليه الصلاة والسلام ، وشاهد النار ، ورأى فيها عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصْبَهُ في النار – والعياذ بالله – يعني أمعاءه قد اندلقت من بطنه فهو يجرها في النار ؛ لأن الرجل أول من أدخل الشرك على العرب ، فكان له كِفْل من العذاب الذي يصيب مَنْ بعده ، ورأى امرأة تعذب في النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل خشاش الأرض ، فدل ذلك على أن الجنة والنار موجودتان الآن .

٢٨٤ إذا كانت الجنة عَرْضُها كعرض السموات والأرض ، فأين تكون النار في هذا الكَوْن الذي ليس فيه إلا السموات والأرض ؟

قبل الجواب على هذا يجب أن نقدم مقدمة وهي أن ما جاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ فإنه حقٌّ ولا يمكن أن يخالف الأمر الواقع ، فإن الأمر الواقع المحسوس لا يمكن إنكاره ، وما دل عليه الكتاب والسنة فإنه حق لا يمكن إنكاره ، ولا يمكن تعارض حَقَّيْنِ على وجه لا يمكن الجمع بينهما ، وقد ثبت في القرآن الكريم أن الجنة عرضها

كعرض السماء والأرض قال الله تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرةٍ مِّن رَّبِّكم وجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السماءِ والأَرْضِ ﴾(١) . وفي الآية الأخرى : ﴿ عَرْضُها السموات والأَرْضُ ﴾(٢) وهذا حق بلا رَيْب . وفي مسند الإمام أحمد أن هِرَقل كتب للنبي ﷺ فقال إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار ؟ فقال النبي ﷺ : « إذا جاء الليلُ فأين يكونُ النهارُ » . فإن صح هذا الحديث فوجهه أن السموات والأرض في مكانهما ، والجنة في مكانها في أعلى عليين كما أن النهار في مكان والليل في مكان . وإن لم يَصح الحديث فإن في كون الجنة عرضها السموات والأرض لا يعني أنها قد ملأتهما ولكن يعني أن الجنة عظيمة السَّعة ، عرضها كعرض السموات والأرض .

ثم إن قول السائل إن هذا الكون ليس فيه إلا السموات والأرض ليس بصحيح ، فهذا الكون فيه السموات والأرض وفيه الكرسي والعرش وقد كان النبي ﷺ يقول بعد رفعه من ركوعه : « مِلْءَ السموات ومِلْءَ الأرض ومِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » . فهناك عالم غير السموات والأرض لا يعلمه إلا الله ، كذلك نحن نعلم منه ما عَلَّمنا اللهُ تعالى مثل العرش والكرسي ، والعرش هو أعلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) الحديد ٢١

(٢) آل عمران ١٣٣ .

٢٨٥ ما الجنة التي أسكنها الله عز وجل آدم وزوجه ؟

الصواب أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه هي الجنة التي وُعِدَ المتقون لأن الله تعالى يقول لآدم : ﴿ **اسْكُنْ أنت وزَوْجُك الجَنَّةَ** ﴾(١) والجنة عند الإطلاق هي جنة الخُلْد التي في السماء ، ولهذا ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أن آدم وموسى تحاجَّا فقال موسى له : لِمَ أخرجتنا ونَفْسَك من الجنة ؟ والله أعلم .

٢٨٦ إذا كانت المرأة من أهل الجنة ولم تتزوج في الدنيا أو تزوجت ولم يدخل زوجها الجنة فمن يكون لها ؟

الجواب يؤخذ من عموم قوله تعالى : ﴿ **ولَكُم فيها ما تَشْتَهِي أنفُسُكم ولَكُم فِيها ما تَدَّعُون . نُزُلاً مِّنْ غَفُور رَّحِيم** ﴾(٢) ومن قوله تعالى : ﴿ **وفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنتُم فيها خالِدون** ﴾(٣) فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة ، فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال وهم - أعني من لم يتزوجوا من الرجال - لهم

---

(١) البقرة ٣٥
(٢) فصلت ٣١ - ٣٢
(٣) الزخرف ٧١ .

زوجات من الحور وهم زوجات من أهل الدنيا إذا شاءوا واشتهت ذلك أنفسهم ، وكذلك نقول بالنسبة للمرأة إذا لم تكن ذات زوج أو كانت ذات زوج في الدنيا ولكنه لم يدخل معها الجنة أنها إذا اشتهت أن تتزوج فلابد أن يكون لها ما تشتهيه لعموم هذه الآيات .

ولا يحضرني الآن نص خاص في هذه المسألة والعلم عند الله تعالى .

٢٨٧ ــــــ فضيلة الشيخ : ذُكِرَ للرِّجال الحُورُ العِينُ في الجنّة فما للنِّساء ؟

يقول الله تبارك وتعالى في نعيم أهل الجنة : **﴿ ولَكُم فيها ما تَشْتَهِي أنفسُكم ولكم فيها ما تَدَّعُون . نُزُلاً مِّنْ غفورٍ رحيم ﴾**(١) ويقول تعالى : **﴿ وفيها ما تَشْتَهِيه الأنفسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأنتم فيها خالِدُون ﴾**(٢) .

ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس فهو حاصل في الجنة لأهل الجنة ذكورا كانوا أم إناثا ، فالمرأة يزوجها الله تبارك وتعالى في الجنة بزوجها الذي كان زوجا لها في الدنيا كما قال الله تبارك وتعالى : **﴿ رَبَّنا وأَدْخِلْهم جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدتَّهم ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائهم وأزواجِهم وذُرِّيَّاتِهم إنك أنت العزيزُ الحكيم ﴾**(٣) .

---

(١) فصلت ٣١ – ٣٢

(٢) الزخرف ٧١

(٣) غافر ٨ .

٢٨٨ إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فمع من تكون منهما ؟ ولماذا ذكر الله الزوجات للرجال ولم يذكر الأزواج للنساء ؟

إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فإنها تخيّر بينهما يوم القيامة في الجنة ، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر به عينها في الجنة ، فالنعيم في الجنة ليس مقصورا على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم الزواج . وقول السائل إن الله تعالى ذكر الحور العين وهن زوجات و لم يذكر للنساء أزواجا . فنقول إنما ذكر الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذُكرت الزوجات للرجال في الجنة ، وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج بل لهن أزواج من بني آدم .

٢٨٩ وسئل : هل النار مؤبدة أو تفنى ؟

فأجاب بقوله : المُتعيَّنُ قطعًا أنها مؤبدة ولا يكاد يعرف عند السلف سوى هذا القول ، ولهذا جعله العلماء من عقائدهم ، بأن نؤمن ونعتقد بأن النار مؤبدة أبدَ الآبدين ، وهذا الأمر لا شك فيه ؛ لأن الله تعالى ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من القرآن :

الأول : في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ﴾(١) .

والثاني : في سورة الأحزاب : **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾**(٢)

والثالث :وفى سورة الجن : **﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾**(٣) .

ولو ذكر الله عز وجل التأبيد في موضع واحد لكفى ، فكيف وهو قد ذكره فى ثلاثة مواضع ؟ ! ومن العجب أن فئة قليلة من العلماء ذهبوا إلى أنها تفنى بناء على عِلَل عليلة لمخالفتها لمقتضى الكتاب والسنة وحَرَّفُوا من أجلها الكتاب والسنة فقالوا : إن « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » ما دامت موجودة فكيف هذا ؟ ! !

إذا كانوا خالدين فيها أبدًا ، لزم أن تكون هي مؤبدة « فيها »هم كائنون فيها وإذا كان الإنسان خالدًا مؤبدًا تخليده ، لزم أن يكون مكان الخلود مؤبدًا ؛ لأنه لو فني مكان الخلود ما صح تأبيد الخلود ، والآية واضحة جدًا والتعليلات الباردة المخالفة للنص مردودة على صاحبها ، وهذا الخلاف الذي ذكر عن فئة قليلة من أهل العلم خلاف مُطرح لأنه مخالف للنص الصريح الذي يجب على كل مؤمن أن يعتقده ، ومن خالفه لشبهة قامت عنده فيعذر عند الله ، لكن من تأمل نصوص الكتاب والسنة عرف أن القول بتأبيدها هو الحق الذي لا يحق العدول عنه .

---

(١) النساء : ١٦٨

(٢) الأحزاب : ٦٤ .

(٣) الجن : ٢٣ .

والحكمة تقتضي ذلك لأن هذا الكافر أفنى عمره كل عمره في محاربة الله عز وجل ومعصية الله والكفر به وتكذيب رسله مع أنه جاءه النذير وأُعْذرَ وبُيِّنَ له الحقُّ ودُعِي إليه وقُوتِلَ عليه وأصر على الكفر والباطل فكيف نقول أن هذا لا يؤبد عذابه ؟ ! والآيات في هذا صريحة كما تقدم .

٢٩٠ ــــــــ سئل : هل النار لها اسم واحد أو أسماء متعددة ؟

فأجاب قائلًا : نار جهنم لها أسماء متعددة وهذا التعدد في الأسماء لاختلاف صفاتها ، فتسمى الجحيم ، وتسمى جهنم ، ولظى ، والسعير ، وسقر ، والحُطَمَة ، والهاوية ، بحسْب اختلاف الصفات والمسمى واحد فكل ما صح في كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ من أسمائها فإنه يجب على المؤمن أن يصدق به ويثبته .

٢٩١ ــــــــ وسئل الشيخ : إذا استعاذ الإنسان من عذاب جهنم فهل المراد أن يعوذ بالله من المعاصي المؤدية إلى جهنم أو يتعوذ بالله من جهنم ؟

فأجاب بقوله : يشمل الأمرين فهو يستعذ بالله من عذاب جهنم أي من فعل الأسباب المؤدية إلى عذاب جهنم .

ومن عذاب جهنم أي من عقوبة جهنم إذا فعل الأسباب التي توجب ذلك ، لأن الإنسان بين أمرين إما عصمة من الذنوب فهذه إعاذة من فعل السبب ، وإما عفو عن الذنوب وهذه إعاذة من العذاب ، وقولنا العصمة من الذنوب ليس معناه العصمة المطلقة ، لأن النبي ﷺ قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاء وَخَيْر الْخطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » وقال : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » .

٢٩٢ وسئل : هل عذاب النار حقيقي أو أن أهلها يكونون فيها كأنهم حجارة لا يتألمون ؟

فأجاب بقوله : عذاب أهل النار حقيقي بلا ريب ، ومن قال خلاف ذلك فقد أخطأ وأَبْعَدَ النُّجْعَةَ فأهلها يعذبون فيها ويألمون ألمًا عظيمًا شديدًا ، كما قال تعالى في عدة آيات : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ حتى إنهم يتمنون الموت ، والذي يتمنى الموت هل يقال إنه يتألم أو أنه تأقلم ؟ ! لو تأقلم ما تألم ولا دعا الله أن يقضي عليه : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾(١) إذن هم يتألمون بلا شك ، والحرارة النارية تؤثر على أبدانهم ظاهرها وباطنها ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٢) وهذا واضح

---

(١) الزخرف : ٧٧

(٢) النساء : ٥٦ .

أن ظاهر أبدانهم يتألم وينضج ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾⁽¹⁾ وشَيُّ الوجوه واللحم معروف فهم إذا استغاثوا ﴿ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ بعد مدة طويلة وهذا الماء إذا أقبل على وجوههم شواها وتساقطت والعياذ بالله فإذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾⁽²⁾ وهذا عذاب الباطن ، وقال النبي ﷺ في أهون أهل النار عذابًا « إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ من نَّارٍ وَعَلَيْهِ نَعْلاَنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » أعوذ بالله الدماغ يغلي فما بالك بما دونه مما هو أقرب إلى النعلين وهذا دليل واضح على أنهم يتألمون ، وأن هذه النار تؤثر فيهم وكذلك قال تعالى : ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾⁽³⁾ المحرق والآيات والأحاديث في هذا كثيرة واضحة تدل على بطلان قول من قال إنهم يكونون كالحجارة لا يتألمون .

٢٩٣ ـــ وسئل الشيخ : هل هناك ناران نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي الذين يعذبون فيها ثم يخرجون ؟

فأجاب بقوله : زعم بعض العلماء ذلك وقال : إن النار ناران نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي من المؤمنين وبينهما فرق ، ولكن هذا لا أعلم له دليلًا لكن عذابهما يختلف ، لا شك أنها على عصاة المؤمنين ليست كما هي على الكافرين وكوننا نقول بالتقسيم بناء على استبعاد عقولنا

---

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) محمد : ١٥ .

(٣) الأنفال : ٥٠ .

أن تكون نار واحدة تؤثر تأثيرين مختلفين لا ينبغي ؛ لأن هذا الاستبعاد لا وجه له لأمرين :

الأول : أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قادر على أن يجعل النار الواحدة لشخص سلامًا ، ولآخر عذابًا .

الأمر الثاني : أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا أبدًا لظهور الفرق العظيم بينهما ، فلا يجوز أن تقيس أحوال الآخرة بأحوال الدنيا لتنفي ما لا يتسع عقلك ، بل عليك بالنسبة لأحوال الاخرة أن تسلم وتقبل وتصدق ، أليست هذه الشمس تدنو من الخلائق قدر ميل يوم القيامة ؟ ولو كانت أحوال الناس يوم القيامة كأحوالهم في الدنيا لأحرقتهم ؛ لأن هذه الشمس في أوجها لو أنها نزلت ولو يسيرًا أحرقت الأرض ومحتها عن آخرها ونحن نحس بحرارتها الآن وبيننا وبينها مسافات عظيمة لا سيما في أيام الصيف حين تكون عمودية ، ومع ذلك تدنو من الخلائق يوم القيامة على قدر ميل ولا يحترقون بها ، كذلك أيضًا في يوم القيامة الناس في مقام واحد المؤمنون لهم نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والكفار في ظلمة ، ولكن في الدنيا لو كان بجانبك واحد على يمينه نور وبين يديه نور فإنك تنتفع به ، أما في الآخرة فلا ، وفي الآخرة أيضًا يعرق الناس فيختلف العرق اختلافًا عظيمًا بينهم ، وهم في مكان واحد ، فمن الناس من يصل العرق إلى كعبيه ، ومنهم من يصل إلى ركبتيه ، ومنهم من يصل إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق ، وهم في مكان واحد .

فالمهم أنه لا يجوز أن نقيس أحوال الآخرة بأحوال الدنيا ثم نذهب ونحدث أشياء لم تأت في الكتاب والسنة كتقسيم النار إلى نارين : نار للعصاة ، ونار للكافرين فالذي بلغنا ووصل إليه علمنا أنها نار واحدة لكنها تختلف .

ـــــــــــ ٢٩٤ وسئل : هل النار في السماء أو في الأرض ؟

فأجاب قائلًا : هي في الأرض ، ولكن قال بعض أهل العلم إنها هي البحار ، وقال آخرون بل هي في باطن الأرض ، والذى يظهر أنها فى باطن الأرض ولكن ما ندري أين هي من الأرض ، نؤمن بأنها في الأرض وليست في السماء ولكن لا نعلم في أي مكان هي على وجه التعيين . والدليل على أن النار في الأرض ما يلي : قال الله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** ﴾(١) وسجين هي الأرض السفلى ، وكذلك جاء في الحديث فيمن احتضر وقبض من الكافرين فإنها لا تفتح لهم أبواب السماء ، ويقول الله تعالى : « اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سَجِينٍ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ » ولو كانت النار في السماء لكانت تفتح لهم أبواب السماء ليدخلوها ؛ لأن النبي ﷺ رأى أصحابها يعذبون فيها ، وإذا كانت في السماء لزم من دخولهم في النار التي في السماء أن تفتح لهم أبواب السماء .

---

(١) المطففين : ٧ .

لكن بعض الناس استشكل وقال : كيف يراها الرسول ﷺ ليلة عرج به وهي في الأرض ؟ !

وأنا أعجب لهذا الاستشكال ، إذاكنا نحن في الطائرة نرى الأرض تحتنا بعيدة وندركها فكيف لا يرى النبي ﷺ النار وهو في السماء ؟ ! !

فالحاصل أنها في الأرض وقد روي في هذا أحاديث لكنها ضعيفة ، وروي آثار عن السلف كابن عباس ، وابن مسعود ، وهو ظاهر القرآن **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾**(١) والذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها لا شك أنهم في النار .

٢٩٥ سئل الشيخ حفظه الله : هل ما يذكر من أن أكثر أهل النار النساء صحيح ؟ ولماذا ؟

الجواب : هذا صحيح ، فإن النبي ﷺ قال لهن وهو يخطب فيهن : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وقد أُورِدَ على النبي ﷺ هذا الإشكالُ الذي أورده السائل قُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ الله ؟ قال : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ » فَبَيَّنَ النبي ﷺ أسباب كثرتهن في النار ، لأنهن يكثرن السب ، واللعن ، والشتم ، ويكفرن العشير الذي هو الزوج فصرن بذلك أكثر أهل النار .

---

(١) الأعراف : ٤٠ .

الشفاعة

٢٩٦ سئل الشيخ : عن الشفاعة ؟ وأقسامها ؟

فأجاب : الشفاعة : مأخوذة من الشَّفْعِ ، وهو ضد الوتر ، وهو جعل الوتر شفعًا مثل أن تجعل الواحد اثنين ، والثلاثة أربعة ، وهكذا هذا من حيث اللغة .

أما في الاصطلاح : فهي : « **التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة** » يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه ، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلى المشفوع له ، أو يدفع عنه مضرة .

والشفاعة نوعان :

النوع الأول : شفاعة ثابتة صحيحة ، وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه ، أو أثبتها رسوله ﷺ ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه قال : يَا رسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قال : « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ » .

وهذه الشفاعة لها شروط ثلاثة : -

الشرط الأول : رِضَى الله عن الشافع .

الشرط الثاني : رِضَى الله عن المشفوع له .

الشرط الثالث : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع .

وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى : **﴿ وَكَم مِن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾**(١) ومفصله في قوله : **﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾**(٢) وقوله : **﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾**(٣) وقوله : **﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾**(٤) فلابد من هذه الشروط الثلاثة حتى تتحقق الشفاعة .

ثم إن الشفاعة الثابتة ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الشفاعة العامة ، ومعنى العموم أن الله سبحانه وتعالى يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ ، ولغيره من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع في أهل النار من عصاه المؤمنين أن يخرجوا من النار .

القسم الثاني : الشفاعة الخاصة : التي تختص بالنبي ﷺ وأعظمها الشفاعة العظمى التي تكون يوم القيامة ، حين يلحق الناس من الغم

---

(١) النجم . ٢٦ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) طه : ١٠٩ .

(٤) الأنبياء : ٢٨ .

والكرب مالا يطيقون ، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله عز وجل أن يريحهم من هذا الموقف العظيم ، فيذهبون إلى آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى وكلهم لا يشفع حتى تنتهي إلى النبي ﷺ .

فيقوم ويشفع عند الله عز وجل أن يخلص عباده من هذا الموقف العظيم ، فيجيب الله تعالى دعاءه ، ويقبل شفاعته ، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله : ﴿ ومِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لك عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَابُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودا ﴾(١) .

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط أُوقِفُوا على قنطرة بين الجنة والنار فَتُمحَصُ قُلُوبُ بَعْضِهِم من بعض حتى يُهَذَّبُوا ويُنَقُّوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ .

النوع الثاني : الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها ، وهي ما يَدَّعِيهِ المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل ، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(٢) وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون : ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ ﴾(٣) تعلق باطل غير نافع ، بل

---

(١) الإسراء : ١٩ .

(٢) المدثر : ٤٨ .

(٣) يونس : ١٨ .

هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعدًا على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام ، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعدا .

٢٩٧ ——— **يقول النبي ﷺ : « يقولُ اللهُ تعالى : شَفَعَتْ الملائكةُ وشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وشَفَعَ المؤمنون ولم يَبْقَ إلاَّ أَرْحَمُ الراحمين فيَقْبِضُ قَبْضَةً من النارِ فيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيرًا قَطُّ » . رواه مسلم ، ما معنى قوله « لم يَعْمَلُوا خَيْراً قَطّ » ؟**

معنى قوله « لم يعملوا خيراً قط » أنهم ما عملوا أعمالا صالحة لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم ، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكّن من العمل آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرا قط .

وإما أن يكون هذا الحديث مقيّدا بمثل الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال الصالحة تَرْكُها كُفْر كالصلاة مثلا فإن من لم يُصَلِّ فهو كافر ، ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله . والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة وهو خالد مخلد في النار أبد الآبدين والعياذ بالله .

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا و لم يتمكنوا من العمل فماتوا فور إيمانهم فما عملوا خيراً قط .

وإما أن يكون هذا عاما ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية على أنه لابد أن يعمل كالصلاة فمن لم يصل فهو كافر لا تنفعه الشفاعة ولا يخرج من النار .

٢٩٨ ما مصير الأطفال الذين ماتوا صغارا : أطفال المؤمنين وأطفال المشركين ؟

مصير أطفال المؤمنين الجنة لأنهم تَبَعٌ لآبائهم . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتَّبعتْهُم ذُرِّيَّتُهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتَهم وما أَلَتْناهُم من عملِهم مِن شيْءٍ كلُّ امْرِیءٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(١) .

وأما أطفال غير المؤمنين يعني الطفل الذي نشأ من أبوين غير مسلمين فأصح الأقوال فيهم أن نقول : الله أعلم بما كانوا عاملين ، فهم في أحكام الدنيا بمنزلة آبائهم ، أما في أحكام الآخرة فإن الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين ، كما قال النبي ﷺ ، والله أعلم بمصيرهم هذا ما نقوله وهو في الحقيقة أمر لا يعنينا كثيراً إنما الذي يعنينا هو حكمهم في الدنيا وأحكامهم في الدنيا - أعني أولاد المشركين - أحكامهم في الدنيا أنهم كالمشركين لا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلّٰى عليهم ولا يُدفنون في مقابر المسلمين . والله أعلم .

---

(١) الطور ٢١ .

٢٩٩ ـــــــــــــ ما معنى قول الرسول ﷺ : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ فيَسْبِق عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النارِ فيدخلُها ، وإنَّ الرجلَ ليَعْمَلُ بعَمْلِ أَهْلِ النارِ حتّى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجّنةِ فيدخلُها » أو كما قال ﷺ ؟ وهل يعارض الحديثُ قولَه تعالى : ﴿ إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسن عَمَلاً ﴾ ؟

هذا الحديث حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخبر فيه النبي ﷺ أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع لقرب أجله وموته ثم يسبق عليه الكتاب الأول الذي كتب أنه من أهل النار فيعمل بعمل أهل النار – والعياذ بالله – فيدخلها ، وهذا فيما يبدو للناس ويظهر كما جاء في الحديث الصحيح : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار » –نسأل الله العافية – وكذلك الأمر بالنسبة للثاني يعمل الإنسان بعمل أهل النار فيمُنُّ الله تعالى عليه بالتوبة والرجوع إلى الله عند قرب أجله فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

والآية التي ذكرها السائل لا تعارض الحديث ، لأن الله تعالى قال : ﴿ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾⁽¹⁾ ومن أحسن العمل في قلبه وظاهره فإن الله تعالى لا يضيع أجره ، لكن الأول الذي عمل بعمل أهل الجنة فسبق عليه الكتاب كان يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتابُ ، وعلى هذا يكون عمله ليس حسنا وحينئذ لا يعارض الآية الكريمة . والله الموفق .

٣٠٠ ـــ فضيلة الشيخ : نرجو توضيح قول الله تعالى ﴿ والله خَلَقَكُم وما تَعْمَلُون ﴾ ؟

هذا مما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه : ﴿ **قال أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُون . واللهُ خَلَقَكُم وما تَعْمَلُون** ﴾⁽²⁾ أي ما تعملون من هذه الأصنام ليقيم عليهم الحجة بأنها لا تصلح آلهة لأنها إذا كانت مخلوقة لله تعالى فمن الذي يستحق العبادة المخلوق أم الخالق ؟ الجواب : الخالق . وهل يستحق المخلوق أن يكون شريكا في هذه العبادة ؟ لا . فإبراهيم عليه الصلاة والسلام أراد أن يقيم الحجة على قومه بأن ما عملوه من هذه الأصنام التي نحتوها مخلوق لله عز وجل فكيف يليق بهم أن يشركوا مع الله تعالى هذا المخلوق . وعلى هذا فقوله ﴿ **وما تعملون** ﴾ « ما » اسم موصول عائد على قوله « ما تنحتون » هذا وجه هذه الآية . وليس

---

(1) الكهف ٣٠ .

(1) الصافات ٩٥ - ٩٦ .

فيها أنه يبرر شركهم بالله ويقول : إن عملكم مخلوق لله فأنتم بريئون من اللوم عليه ، كلا لأننا لو قلنا ذلك لكان يحتجّ لهم ولا يحتج عليهم ، ولكن هو يحتج عليهم وليس يحتج لهم .

٣٠١

ما الجمع بين قول الله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسلامِ ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْره ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾(١) وبين قوله ﴿ فمَن شَاءَ فَلْيُؤْمن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٢) ؟

الجمع بينهما أن الله تعالى يخبر في بعض الآيات بأن الأمر بيده ، ويخبر في بعض الآيات أن الأمر راجع إلى المكلَّف ، والجمع بين هذه النصوص أن يقال : إن للمكلف إرادة واختيارا وقدرة وأن خالق هذه الإرادة والاختيار والقدرة هو الله عز وجل ، فلا يكون للمخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عز وجل وقد قال الله تعالى مبينا الجمع بين هذه النصوص : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيم . وما تَشاءون إلاَّ أن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالمين ﴾(٣) ولكن متى يشاء الله تعالى أن يهدي الإنسان أو أن يضله هذا هو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرَى . وأَمَّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنَى . وكَذَّب

---

(١) الأنعام ١٢٥

(٢) الكهف ٢٩

(٣) التكوير ٢٨ – ٢٩

بالحسنى . فسنيسره للعسرى ﴾(١) واقرأ قوله تعالى : ﴿ فلمّا زاغُوا أزاغَ اللهُ قلوبَهم واللهُ لا يَهْدِي القومَ الفاسقين ﴾(٢) تجد أن سبب ضلال العبد من نفسه فهو السبب ، والله تعالى يخلق عند ذلك فيه إرادة للسوء لأنه هو يريد السوء وأما من أراد الخير وسعى في الخير وحرص عليه فإن الله تعالى ييسره لليسرى ، ولما حَدَّث النبيُّ ﷺ أصحابَه بأنه : « ما مِنْ أَحَدٍ إلا وقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُه من الجنَّةِ ومَقْعَدُه من النارِ . قالوا يا رسول الله أفلا نَتَّكِلُ على الكتابِ ونَدَعُ العملَ ؟ قال : لا اعملوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له ثم قرأ هذه الآية ﴿ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى ... ﴾(٣) إلخ .

واعلم يا أخي أنه لا يمكن أن يوجد في كلام الله أو فيما صح عن رسول الله ﷺ تناقض أبدا ، فإذا قرأت نصين ظاهرهما التناقض فأعد النظر مرة أخرى فسيتبين لك الأمر ، فإن لم تعلم فالواجب عليك التوقف وأن تكل الأمر إلى عالمه . والله بكل شيء عليم .

٣٠٢ ــــــــ ما حكم استعمال « لو » ؟ أفتونا مغفورا لكم .

استعمال « لو » فيه تفصيل على الوجوه التالية :

الوجه الأول : أن يكون المراد بها مجرد الخبر فهذه لا بأس بها مثل

---

(١) الليل ٥ - ١٠
(٢) الصف ٥
(٣) الليل ٥ - ١٠ .

أن يقول الإنسان لشخص لو زرتني لأكرمتُك ، أو لو علمتُ بك لجئتُ إليك .

والوجه الثاني : أن يقصد بها التمني فهذه على حسب ما تمناه إن تمنى بها خيرا فهو مأجور بنيته ، وإن تمنى بها سوى ذلك فهو بحسبه ، ولهذا قال النبي ﷺ في الرجل الذي له مال ينفقه في سبيل الله وفي وجوه الخير ورجل آخر ليس عنده مال قال : لو أنّ لي مِثْلَ مالِ فُلاَنٍ لعَمِلْتُ فيه مِثْلَ عَمَلِ فلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « هما في الأَجْرِ سَوَاءٌ » . والثاني رجل ذو مال لكنه ينفقه في غير وجوه الخير فقال رجل آخر لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان . فقال رسول الله ﷺ : « هما في الوِزْرِ سَوَاء » . فهي إذا جاءت للتمني تكون بحسب ما تمناه العبد إن تمنى خيرا فهي خير ، وإن تمنى سوى ذلك فله ما تمنى .

الوجه الثالث : أن يراد بها التحسر على ما مضي فهذه منهي عنها لأنها لا تفيد شيئا وإنما تفتح الأحزان والندم ، وفي هذه يقول الرسول ﷺ : « المؤمنُ القويُّ خَيْرٌ وَأَحبُّ إلى اللهِ مِن المؤمنِ الضَّعِيفِ ، وفي كُل خَيْرٌ ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُك ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ ، وإنْ أصابك شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أنِّي فَعَلْتُ لكان كَذا ؛ فإنَّ « لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان » . وحقيقةً أنه لا فائدة منها في هذا المقام لأن الإنسان عمل ماهو مأمور به من السعي لما ينفعه ؛ ولكن القضاء والقَدَر كان بخلاف ما يري ، فكلمة « لو » في هذا المقام إنما تفتح باب الندم والحزن ؛ ولهذا نهى عنها رسول الله ﷺ لأن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون محزونا ومهموما بل يريد منه أن يكون منشرح الصدر ، وأن يكون

مسرورا طَلِيقَ الوجه ، ونبه الله المؤمنين لهذه النقطة بقوله : ﴿ **إنَّما النَّجْوَى مِن الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الذين آمنوا وليس بضَآرِّهم شيئاً إلاَّ بإذْنِ اللهِ** ﴾(١) . وكذلك في الأحلام المكروهة التي يراها النائم في منامه فإنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أرشد المرء إلى أن يَتْفُلَ عن يساره ثلاث مراتٍ ، وأن يستعيذ بالله من شَرِّها ومن شر الشيطان ، وأن ينقلب إلى الجنب الآخر ، وألاّ يُحَدِّث بها أحدا لأجل أن ينساها ولا تطرأ على باله قال « فإنّ ذلك لا يَضُرُّه » ، والمهم أن الشرع يحب من المرء أن يكون دائما في سرور ودائما في فرح ليكون متقبلا لما يأتيه من أوامر الشرع ، لأن الرجل إذا كان في ندم وهَمّ وفي غمّ وحَزَن لا شك أنه يضيق ذَرْعا بما يلقي عليه من أمور الشرع وغيرها . لهذا يقول الله تعالى لرسوله دائما : ﴿ **ولا تَحْزَنْ عليهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكُرون** ﴾(٢) ﴿ **لَعَلَّك بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألاَّ يَكُونُوا مُؤْمنين** ﴾(٣) ولهذه النقطة بالذات تجد بعض الغيورين على دينهم إذا رَأَوْا من الناس ما يكرهون تجدهم يؤثّر ذلك عليهم ، حتى على عبادتهم الخاصة ، ولكن الذي ينبغي .. أن يتلقوا ذلك بحزم وقوة ونشاط ، فيقوموا بما أوجب الله عليهم من الدعوة إلى الله على بصيرة ، ثم إنه لا يضرّهم مَنْ خالفهم .

---

(١) المجادلة ١٠ .

(٢) النحل ١٢٧

(٣) الشعراء ٣ .

٣٠٣ ـــــــــ ما رأي فضيلتكم في استعمال كلمة « صُدْفة » ؟ دام فضلكم ونفع الله بعلومكم .

رَأْيُنا في هذا القول أنه لا بأس به وهذا أمر متعارف ، وأظن أن فيه أحاديث بهذا التعبير « صادفَنا رسولُ الله » ، « صادفنا رسولَ الله » لكن لا يحضرني الآن حديث معيّن في هذا الخصوص .

والمصادفة والصدفة بالنسبة لفعل الإنسان أمر واقع ، لأن الإنسان لا يعلم الغيب ؛ فقد يصادفه الشيء من غير شعور به ومن غير مقدمات له ولا توقع له ، لكن بالنسبة لفعل الله لا يقع هذا ، فإن كل شيء عند الله معلوم ، وكل شيء عنده بمقدار ، وهو سبحانه وتعالى لا تقع الأشياء بالنسبة إليه صدفة أبدا ، لكن بالنسبة لي أنا وأنت نتقابل بدون ميعاد وبدون شعور وبدون مقدمات ، فهذا يقال له صدفة ولا حرج فيه ، وأما بالنسبة لفعل الله فهذا أمر ممتنع ولا يجوز .

٣٠٤ ـــــــــ ما حُكم قول « وشاءت قُدرة الله » ؟ و « شاء القَدر » ؟

لا يصح أن نقول « شاءت قدرة الله »لأن المشيئة إرادة ، والقدرة معنى ، والمعنى لا إرادة له ، وإنما الإرادة للمريد والمشيئة لشيء ، ولكننا نقول : اقتضت حكمة الله كذا وكذا ، أو نقول عن الشيء إذا وقع : هذه قدرة الله . أي مقدوره ؛ كما تقول : هذا خَلْق الله . أي مخلوقه .

وأما أن نضيف أمرا يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز . ومثل ذلك قولهم : شاء القدر كذا وكذا . وهذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مُقَدِّر . والله أعلم .

٣٠٥ ـــــــ ما حكم قولهم : تَدَخَّـلَ القَدَر ؟ وتدخلت عِناية الله ؟

قولهم تدخل القدر لا تصلح ، لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفِّل على الأمر ، مع أنه – أي القَدَر – هو الأصل فكيف يقال تدخل ؟ والأصح أن يُقال : ولكن نزل القضاء والقدر ، أو غلب القدر ، ونحو ذلك . ومثل ذلك : تدخلت عناية الله ، الأَوْلَى إبدالها بكلمة حَصَلَتْ عنايةُ الله ، أو اقتضت عناية الله .

٣٠٦ ـــــــ بعض الناس لا يحب دراسة العقيدة خصوصا مسألة القدر خوفا من الزلل فما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

هذه المسألة كغيرها من المسائل المهمة التي لابد للإنسان منها في دينه ودنياه لابد أن يخوض غمارها ، وأن يستعين بالله تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها حتى يتبين له الأمر ، لأنه لا ينبغي أن يكون على شك في هذه الأمور المهمة ، أما المسائل التي لا تَخِلّ بدينه لو أجّلها ويخشى

أن تكون سببا لانحرافه فإنه لا بأس أن يؤجلها مادام غيرها أهم منها . ومسائل القدر من الأمور المهمة التي يجب على العبد أن يحققها تماما حتى يصل فيها إلى اليقين وهي في الحقيقة ليس فيها إشكال ولله الحمد والذي يثقل دروس العقيدة على بعض الناس هو أنهم مع الأسف الشديد يرجحون جانب « كيف » على جانب « لِمَ » والإنسان مسئول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام « لم » و« كيف » فلم عملت كذا ؟ هذا الإخلاص . كيف عملت كذا ؟ هذا المتابعة للرسول ﷺ . وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب « كيف » غافلون عن تحقيق جواب « لم » ولذلك تجدهم في جانب الإخلاص لا يتحرون كثيرا ، وفي جانب المتابعة يحرصون على أدق الأمور . فالناس الآن مهتمون كثيرا بهذا الجانب غافلون عن الجانب الأهم وهو جانب العقيدة وجانب الإخلاص وجانب التوحيد . لهذا تجد بعض الناس في مسائل الدنيا يسأل عن مسألة بسيطة جدا جدا وقلبه مُنْكَبٌّ على الدنيا غافل عن الله مطلقا في بيعه وشرائه ومركوبه ومسكنه وملبسه . فقد يكون بعض الناس الآن عابدا للدنيا وهو لا يشعر ، وقد يكون مشركا بالله في الدنيا وهو لا يشعر ، لأنه مع الأسف أن جانب التوحيد وجانب العقيدة لا يهتم بهما ليس من العامة فقط ولكن حتى من بعض طلاب العلم وهذا أمر له خطورته ، كما أن التركيز على العقيدة فقط بدون العمل الذي جعله الشارع كالحامي والسور لها ، خطأ أيضا لأننا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف التركيز على أن الدين هو العقيدة السمحاء وما أشبه ذلك من هذه العبارات . وفي الحقيقة أن هذا يخشى أن يكون بابا يَلِجُ منه

مَنْ يلج في استحلال بعض المحرمات بحجة أن العقيدة سليمة ولكن لابد من ملاحظة الأمرين جميعا ليستقيم الجواب على « لم » وعلى « كيف » .

وخلاصة الجواب : أنه يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جل وعلا ، وعلى بصيرة في أسماء الله وصفاته وأفعاله ، على بصيرة في أحكامه الكونية والشرعية على بصيرة في حكمته وأسرار شرعه وخلقه ، حتى لا يضل بنفسه أو يضل غيره . وعلم التوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه ولهذا سماه أهل العلم (الفقه الأكبر) وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدْ اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين » . وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة . ولكن يجب على المرء أيضا أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم ومن أي مصدر يتلقاه . فليأخذ من هذا العلم أولا ما صفا منه وسلم من الشبهات ، ثم ينتقل ثانيا إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات ليقوم بردها وبيانها مما أخذه من قبل من العقيدة الصافية . وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم ، ثم ما قاله العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم خصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرحمة والرضوان .

٣٠٧ ـــ فضيلة الشيخ : ما الفرق بين القضاء والقَدَر ؟

اختلف العلماء في الفرق بينهما فمنهم من قال : إنَّ القدر تقدير الله في الأزل ، والقضاء حكم الله بالشيء عند وقوعه ، فإذا قدّر الله تعالى

أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قَدَرَ فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء . وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾(١) وقوله ﴿ واللهُ يَقْضِي بالحَقِّ ﴾(٢) وما أشبه ذلك .

٣٠٨ هل بين القضاء والقدر عموم وخصوص ؟

القضاء إذا أطلق شمل القدر ، والقدر إذا أطلق شمل القضاء ولكن إذا قيل القضاء والقدر صار بينهما فرق وهذا كثير في اللغة العربية تكون الكلمة لها معنى شامل عند الانفراد ومعنى خاص عند الاجتماع ، ويقال في مثل ذلك : إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا . فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع يعنى أن القضاء إذا أفرد شمل القدر . والقدر إذا أفرد شمل القضاء لكن إذا اجتمعا فالقضاء ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير . والقدر ما قدره الله تعالى في الأزل . هذا هو الفرق بينهما فيكون القدر سابقا والقضاء لاحقا .

٣٠٩ ما حُكم الرِّضا بالقَدَر ؟ نفع الله بكم وبعلومكم .

الرِّضَا بالقدر واجب لأنه من تمام الرضا بربوبية الله فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله . ولكن المقضي هو الذي فيه التفصيل

فالمقضي غير القضاء لأن القضاء فِعْلُ الله والمقضي مفعول اللهَ فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به ولا يجوز أبدا أن نسخطه بأي حال من الأحوال . وأما المقضي فعلي أقسام :

القسم الأول : ما يجب الرضا به .
القسم الثاني : ما يحرم الرضا به .
القسم الثالث : ما يستحب الرضا به .

فمثلا المعاصي من مقضيات الله ويحرم الرضا بالمعاصي وإن كانت واقعة بقضاء الله . فمَنْ نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى وأن يقول : إن الله تعالى حكيم ، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع . وأما من حيث المقضى وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به ، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك . وقِسْم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعا ، لأن الله حكم به كونا وحكم به شرعا فيحب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي .

وقسم ثالث يستحب الرضا به ويجب الصبر عليه وهو ما يقع من المصائب فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب ، لكن يجب الصبر عليه . والفرق بين الصبر والرضا أن الصبر يكون الإنسان فيه كارها للواقع لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر ، والراضي لا يكون كارها للواقع فيكون ما وقع وما لم يقع عنده سواء . فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر ولهذا قال الجمهور : إن الصبر واجب والرضا مستحب .

٣١٠ هل الدعاء يَرُدُّ القضاءَ ؟ أفتونا مأجورين .

الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء ، يعني له جهتان ، فمثلا هذا المريض قد يدعو الله تعالى بالشفاء فيشفى فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضا . لكن بالدعاء شفي ، إلا أننا نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء فهذا هو المكتوب فصار الدعاء يرد القدر ظاهريا حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقي المرض ، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء ، لأن الأصل أن الدعاء مكتوب وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل ، وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببا يحصل به الشيء وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث .

٣١١ فضيلة الشيخ : هناك مشكلة ترد على بعض الناس وهي « كيف يعاقب اللهُ على المعاصي وقد قَدَّرَها على الإنسان » ؟

هذه في الحقيقة ليست مشكلة وهي إقدام الإنسان على العمل السيء ثم يعاقب عليه ، هذه ليست مشكلة لأن إقدام الإنسان على العمل السيء إقدام باختياره فلم يكن أحد شهر سيفه أمام وجهه وقال اعمل هذا المنكر

بل هو عمله باختياره والله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيل إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً** ﴾(١) فالشاكر والكفور كلهم قد هداه الله السبيل وبينه له ووضحه له ، ولكن من الناس من يختار هذا الطريق ومن الناس من لايختاره ، وتوضيح ذلك أولا بالإلزام وثانيا بالبيان .

أما الإلزام فإننا نقول للشخص أعمالك الدنيوية وأعمالك الأخروية كلاهما سواء ويلزمك أن تجعلهما سواء ، ومن المعلوم أنه لو عُرض عليك من أعمال الدنيا مشروعان أحدهما ترى لنفسك الخير فيه والثاني ترى لنفسك الشر فيه من المعلوم أنك تختار المشروع الأول الذي هو مشروع الخير ، ولا يمكن أبدا بأي حال من الأحوال أن تختار المشروع الثاني وهو مشروع الشر ، ثم تقول إن القدر ألزمني به ؛ إذن يلزمك في طريق الآخرة ما التزمته في طريق الدنيا . ونقول جعل الله أمامك من أعمال الآخرة مشروعين مشروع للشر وهي الأعمال المخالفة للشرع ومشروع للخير وهي الأعمال المطابقة للشرع ، فإذا كنت في أعمال الدنيا تختار المشروع الخيري فلماذا لا تختار المشروع الخيري في أعمال الآخرة ، إنه يلزمك في عمل الآخرة أن تختار المشروع الخيري كما أنت التزمت في عمل الدنيا أن تسلك المشروع الخيري .. هذا طريق الإلزام .

أما طريق البيان فإننا نقول كلنا يجهل ماذا قدّر الله له قال الله تعالى : ﴿ **وما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا** ﴾(٢) فالإنسان حينما يقدم على العمل يقدم عليه باختيار منه ليس عن علم بأن الله قدّره عليه وأرغمه

---

(١) الإنسان ٣ .

(٢) لقمان ٣٤

عليه ، ولهذا قال بعض العلماء : « إنّ القَدَرَ سِرٌّ مَكْتُومٌ » ونحن جميعا لا نعلم أن الله قدّر كذا حتى يقع ذلك العمل ، فنحن إذن حينما نقدم على العمل لا نقدم عليه على أساس أنه كتب لنا أو علينا وإنما نقدم عليه باختيار وحينما يقع نعلم أن الله قدّره علينا ، ولذلك لا يقع احتجاج الإنسان بالقدر إلا بعد وقوع العمل ولكنه لا حجة له بذلك – ويذكر عن أمير المؤمنين عمر قصة – قد تصح عنه وقد لا تصح – رُفع إليه سارق تمت شروط القطع في سرقته ، فلما أمر أمير المؤمنين بقطع يده قال : مهلا يا أمير المؤمنين والله ما سرقت ذلك إلا بقدر الله . قال له : ونحن لا نقطع يدك إلا بقدر الله . فاحتج عليه أمير المؤمنين بما احتج به هو على سرقته من أموال المسلمين مع أن عمر يمكنه أن يحتج عليه بالقدر والشرع ، لأنه مأمور بقطع يده أما ذاك فلا يمكن إن يحتج إلا بالقدر إن صح أن يحتج به .

وعلى هذا فإنه لا يمكن لأي أحد أن يحتج بالقدر على معصية الله ، وأنه في الواقع لا حجة فيه يقول الله عز وجل : ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾(١) مع أن ما يعمله الناس بعد الرسل هو بقدر الله ولو كان القدر حجة مازالت بإرسال الرسل أبدا . بهذا يتبين لنا أثرا ونظرا أنه لا حجة للعاصي بقضاء الله وقدره لأنه لم يُجبر على ذلك . والله الموفق .

---

(١) النساء ١٦٥ .

٣١٢ هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ ؟

كل شيء منذ خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، لأن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق القلم قال له : « اكْتُبْ قال : ربي وماذا أكتبُ . قال اكتبْ ما هو كائنٌ . فجَرَى في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » . وثبت عن النبي ﷺ : أن الجنين في بَطْنِ أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر بعث إليه مَلَكاً يَنْفُخُ فيه الرُّوحَ ويكتبُ رِزْقَه وأجلَه وعملَه وشقيٌّ أم سعيدٌ . والرزق أيضا مكتوب لا يزيد ولا ينقص ، فمن الأسباب أن يعمل الإنسان لطلب الرزق كما قال تعالى : ﴿ **هو الذي جَعَلَ لكم الأرضَ ذَلُولاً فامشوا في مناكِبِها وكُلُوا مِن رزقِه وإليه النُّشور** ﴾⁽¹⁾ . ومن الأسباب أيضا صلة الرحم من بر الوالدين وصلة القرابات فإن النبي ﷺ قال : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِه ، ويُنْسَأَ له في أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه » ومن الأسباب تَقْوى الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ **ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً ، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾⁽²⁾ . ولا تقل إن الرزق مكتوب ومحدد ولن أفعل الأسباب التي توصل إليه فإن هذا من العجز . والكياسة والحزم أن تسعى لرزقك ولما ينفعك في دينك ودنياك قال النبي ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَه وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوْتِ ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَوَاها وتَمَنَّى على اللهِ الأماني » وكما أن الرزق مكتوب مقدر بأسبابه فكذلك

---

(١) الملك ١٥

(٢) الطلاق ٢ - ٣

الزواج مكتوب مقدر . وقد كُتب لكل من الزوجين أن يكون زوج الآخر بعينه . والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

٣١٣ ——— هل الكفار مكتوب عملهم في الأزل ؟ وإذا كان كذلك فكيف يعذبهم الله تعالى ؟

نعم الكفار مكتوب عملهم في الأزل ، ويكتب عمل الإنسان أيضا عند تكوينه في بطن أمه كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إنّ أَحَدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثمّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ، ثمّ يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ، ثم يُرْسَلُ إليه المَلَكُ فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كلماتٍ : بكَتْبِ رِزْقِه وأَجَلِه وعَمَلِه ، وشَقِيٌّ أم سَعِيدٌ » فأعمال الكفار مكتوبة عند الله عز وجل معلومة عنده ، والشقي شقي عند الله عز وجل في الأزل ، والسعيد سعيد عند الله في الأزل . ولكن قد يقول قائل كما قال السائل كيف يُعَذَّبُون وقد كتب الله عليهم ذلك في الأزل ؟ فنقول إنهم يعذبون لأنهم قد قامت عليهم الحجّة وبيّن لهم الطريق ، فأُرسلت إليهم الرسل وأنزلت الكتب وبين الهدى من الضلال ورُغِّبُوا في سلوك طريق الهدى وحُذِّرُوا من سلوك طريق الضلال ، ولهم عقول ولهم إرادات ولهم اختيارات ، ولهذا نجد هؤلاء الكفار وغيرهم أيضا يسعون إلى مصالح الدنيا بإرادة واختيار ولا نجد أحدا منهم يسعى إلى شيء يضره في دنياه أو يتهاون ويتكاسل في أمر نافع له ثم يقول : إن هذا مكتوب عليّ . أبدا فكلٌّ يسعى إلى ما فيه المنفعة فكان عليهم أن

يسعوا إلى ما فيه منفعة أمور دينهم كما يسعون إلى ما فيه المنفعة في أمور دنياهم ولا فرق بينهما ، بل إن بيان الخير والشر في أمور الدين في الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر وأعظم من بيان الأمور الدنيوية ، فكان عليهم أن يسلكوا الطرق التي فيها نجاتهم والتي فيها سعادتهم ، دون أن يسلكوا الطرق التي فيها هلاكهم وشقاؤهم .

ثم نقول هذا الكافر حين أقدمَ على الكفر لا يشعر أبدا أن أحدا أكرهه بل هو يشعر أنه فعل ذلك بإرادته واختياره فهل كان حين إقدامه على الكفر عالما بما كتب الله له ؟ والجواب : لا . لأننا نحن لا نعلم أن الشيء مقدر علينا إلا بعد أن وقع ، أما قبل أن يقع فإننا لا نعلم ماذا كتب لأنه من علم الغيب .

ثم نقول له الآن أنت قبل أن تقع في الكفر أمامك شيئان : هداية وضلال ، فلماذا لا تسلك طريق الهداية مُقدرا أن الله كتبه لك ؟ لماذا تسلك طريق الضلال ثم بعد أن تسلكه تحتج بأن الله كتبه ؟ لأننا نقول لك : قبل أن تدخل هذا الطريق هل عندك علم أنه مكتوب عليك ؟ فسيقول لا ، ولا يمكن أن يقول نعم . فإذا قال : لا . قلنا : إذاً لماذا لم تسلك طريق الهداية وتقدر أن الله تعالى كتب لك ذلك ؟ ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ **فلمَّا زَاغوا أَزَاغَ اللهُ قُلوبَهم** ﴾(١) ويقول عز وجل : ﴿ **فأمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقى . وصَدَّقَ بالحُسْنى . فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ واستَغْنى ، وَكَذَّبَ بِالحُسْنى فَسَنُيَسره**

---

(١) الصف ٥

لِلْعُسْرَى ﴾(١) ولما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه : بأنه ما من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، قالوا : يا رسول الله ألا نَدَعُ العملَ ونَتِكَّلُ على الكتاب ؟ قال : « لا اعملوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾(٢) .

فهذا جوابنا على هذا السؤال الذي أورده هذا السائل وما أكْثَرَ مَنْ يحتج به من أهل الضلال ، وهو عجب منهم ، لأنهم لا يحتجون بمثل هذه الحُجَّة على مسائل الدنيا أبداً بل تجدهم يسلكون في مسائل الدنيا ما هو أنفع لهم ولا يمكن لأحد أن يقال له : هذا الطريق الذي أمامك طريق وَعْر صعب فيه لصوص وفيه سباع ، وهذا الطريق الثاني طريق سهل مُيَسَّر آمِن . لا يمكن لأحد أن يسلك الطريق الأول ويدع الطريق الثاني ، ومع أن هذا نظير الطريقين طريق النار وطريق الجنة ، فالرسل بَيَّنت طريق الجنة وقالت : هو هذا ، وبينت طريق النار وقالت : هو هذا . وحذّرت من الثاني ورغّبت في الأول ، ومع ذلك فإن هؤلاء العصاة يحتجون بقضاء الله وقدره – وهم لا يعلمونه – على معاصيهم ومعايبهم التي فعلوها باختيارهم وليس لهم في ذلك حجة عند الله تعالى .

---

(١) الليل ٥ – ١٠

(٢) الليل ٥ – ١٠ .

٣١٤ ما الحكمة من وجود المعاصي والكفر ؟

لوقوع المعاصي والكفر حِكَم كثيرة منها :

١) إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النارَ أن يملأها قال الله تعالى : ﴿ ولا يَزالون مُختلفين ، إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولذلك خَلَقَهم وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(١) .

٢) ومنها ظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسّم العباد إلى قسمين طائع وعاصي ، فإن هذا التقسيم يتبين به حكمة الله عز وجل فإن الطاعة لها أهل هم أهلها ، والمعصية لها أهل هم أهلها قال الله تعالى : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٢) . وقال ﴿ والذين اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى وآتاهم تَقْوَاهم ﴾(٣) . فهؤلاء أهل الطاعة وقال تعالى : ﴿ وأَمَّا الذين في قُلوبِهم مَرَضٌ .فَزادتْهم رِجْساً إلى رِجْسِهِم وماتوا وهم كافرون ﴾(٤) . وقال : ﴿ فلمَّا زاغوا أَزَاغَ اللهُ قلوبهم ﴾(٥) وهؤلاء أهل المعصية . ويتبين بذلك قدرته بهذا التقسيم الذي لا يقدر عليه إلا الله كما قال تعالى : ﴿ ليس عليك هُدَاهُم ولكنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٦) . وقال : ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بالمُهتدين ﴾(٧) .

---

(١) هود ١١٨ – ١١٩ .

(٢) الأنعام ١٢٤

(٣) محمد ١٧

(٤) التوبة ١٢٥

(٥) الصف : ٥ .

(٦) البقرة ٢٧٢

(٧) القصص ٥٦

٣) ومنها أن يتبين للمطيع قَدْر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِنْ أنفُسِهِم يَتْلو عليهم آياتِه ويُزَكِّيهم ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمَةَ وإن كانوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبين** ﴾ (١) .

٤) ومنها لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية ، والدعاءُ عبادةٌ لله تعالى .

٥)ومنها أن العبد إذا وقع في المعصية ومَنَّ الله عليه بالتوبة ازداد إنابة إلى الله وانكسر قلبه وربما يكون بعد التوبة أكمل حالا منه قبل المعصية ؛ حيث يزول عنه الغرور والعُجْب ، ويعرف شدة افتقاره إلى ربه .

٦) ومنها إقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه لولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر . إلى غير ذلك من الحكم والمصالح الكثيرة . ولله في خلقه شؤون .

٣١٥ سئل الشيخ غفر الله له ولوالديه : عن الإيمان بالقضاء والقدر ؟

فأجاب قائلًا : الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بيَّنَها رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان . والإيمان بالقدر أمر هام جدًا وقد تنازع الناس في القدر من زمن بعيد حتى في عهد النبي ﷺ كان الناس يتنازعون فيه ، ولكن الحق فيه ولله الحمد واضح بَيِّنٌ لا يحتاج

---

(١) آل عمران ١٦٤ .

إلى نزاع ومِرَاء فالإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد قَدَّرَ كُلَّ شيء كما قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(١) وهذا التقدير الذي قدره الله عز وجل تابع لحكمته وما تقتضيه تلك الحكمة من غايات حميدة ، وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم .

ويدور الإيمان بالقدر على الإيمان بأمور أربعة :

الأول : العلم ، وذلك أن تؤمن إيمانًا كاملًا بأن الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علمًا ، أحاط بكل شيء مما مضى ، ومما هو حاضر ، ومما هو مستقبل سواءً كان ذلك مما يتعلق بأفعاله عز وجل ، أو بأفعال عباده فهو محيط بها جملة وتفصيلًا بعلمه الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا ، وأدلة هذه المرتبة كثيرة في القرآن والسنة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(٣) وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾(٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(٥) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علم الله سبحانه وتعالى بكل شيء جملة وتفصيلًا ، وهذه المرتبة من الإيمان بالقدر من أنكرها فهو كافر لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ

---

(١) الفرقان : ٢ .

(٢) آل عمران : ٥ .

(٣) الانعام : ٥٩ .

(٤) ق : ١٦ .

(٥) البقرة : ٢٨٣ .

وإجماع المسلمين وطاعن في كمال الله عز وجل ، لأن ضد العلم إما الجهل ، وإما النسيان ، وكلاهما عيب وقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام حينما سأله فرعون ﴿ **مَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى** ﴾(١) فهو « لاَ يَضِلُّ » أي لا يجهل شيئًا مستقبلًا ، « ولا يَنْسَى » شيئًا ماضيًا سبحانه وتعالى .

المرتبة الثانية : الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة ، فإنه عز وجل حينما خلق القلم قال له « اكْتُبْ : قَالَ : رَبِّي وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . فكتب الله عز وجل في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، وقد دل على هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾(٢) . قال : ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ** ﴾ أي مكتوب في كتاب ، وهو اللوح المحفوظ ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾ ثم هذه الكتابة تكون مفصلة أحيانًا فإن الجنين في بطن أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر يبعث إليه ملك فيأمره بأربع كلمات بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ . ويكتب أيضًا في ليلة القَدْرِ ما يكون في تلك السنة كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾(٣) .

---

(١) طه : ٥١ – ٥٢ .

(٢) الحج : ٧٠ .

(٣) الدخان : ٣ – ٥ .

المرتبة الثالثة : الإيمان بأن كل ما في الكون فإنه بمشيئة الله ، فكل ما في الكون فهو حادث بمشيئة الله عز وجل سواءً كان ذلك مما يفعله هو عز وجل ، أو فيما يفعله المخلوق قال الله تعالى : ﴿ **وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾(٢) وقال : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾(٣) وقال عز وجل : ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾(٤) إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على أن فعله واقع بمشيئته ، وكذلك أفعال الخلق واقعة بمشيئته كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾(٥) وهذا نص صريح لأن أفعال العبيد قد شاءها الله عز وحل ولو شاء الله أن لا يفعلوا لم يفعلوا .

المرتبة الرابعة :الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء فالله عز وجل هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فكل شيء فالله خالقه ، فالمخلوقات مخلوقة لله عز وجل وما يصدر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله عز وجل أيضًا ، لأن أفعال الإنسان وأقواله من صفاته فإذا كان الإنسان مخلوقًا كانت صفاته أيضًا مخلوقة لله عز وجل ، ويدل لذلك قوله تعالى :

---

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) الأنعام : ١٤٩ .

(٣) هود : ١١٨ .

(٤) فاطر : ١٦ .

(٥) البقرة : ٥٣ .

﴿ وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١) فنص الله تعالى على خلق الإنسان وعلى خلق عمله قال ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وقد احتلف الناس في « مَا » هنا هل هي مصدرية أو موصولة ؟ وعلى كل تقدير فإنها تدل على أن عمل الإنسان مخلوق لله عز وجل . هذه أربع مراتب لا يتم الإيمان بالقدر إلا الإيمان بها .

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب ، بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع ، وهو حاصل بالقدر ؛ لأن الأسباب تنتج عنها مسبباتها ، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام علم في أثناء الطريق أنه قد وقع فيها الطاعون فاستشار الصحابة رضي الله عنهم هل يستمر ويمضي في سيره أو يرجع إلى المدينة ؟ فاختلف الناس عليه ، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة ، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُجِلُّهُ ويُقَدِّرُهُ فقال يا أمير المؤمنين : « كَيْفَ تَرْجِعُ إِلَى المَدِينَةِ أَفِرَارًا مِن قَدَرِ الله » ؟ فقال عمر رضي الله عنه : — « نَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله » وبعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان غائبًا في حاجة له فحدثهم أن النبي ﷺ قال عن الطاعون « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلاَ تَقْدُمُوا عَلَيْهَا » والحاصل أن في قول عمر رضي الله عنه « نَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله » دليلا على أن اتخاذ الأسباب من قدر الله عز وجل ، ونحن نعلم أن الرجل لو قال أنا مؤمن بقدر الله وسيرزقني الله ولدًا بدون زوجة لو قال هذا لَعُدَّ من المجانين ، كما أنه لو قال أنا أؤمن بقدر الله ولن أسعى في طلب الرزق و لم يتخذ

---

(١) الصافات : ٩٦ .

أي سبب للرزق ، لَعُدَ ذلك من السَّفَهِ ، فالإيمان بالقدر إذن لا ينافي الأسباب الشرعية أو الحسية الصحيحة ، أما الأسباب الوهمية التي يَدَّعِي أصحابها أنها أسباب وليست كذلك فهذه لا عبرة بها ولا يُلْتَفَتُ إليها .

ثم اعلم أنه يرد على الإيمان بالقدر إشكال – وليس بإشكال في الواقع – وهو أن يقول قائل إذا كان فعلي من قدر الله عز وجل فكيف أعاقب على المعصية وهي من تقدير الله عز وجل ؟ والجواب على ذلك : أن يقال لا حجة لك على المعصية بقدر الله ؛ لأن الله عز وجل لم يجبرك على المعصية ، وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنها مُقَدَّرَةٌ عليك لأن الإنسان لا يعلم بالمُقَدَّرِ إلا بعد وقوع الشيء فلماذا لم تقدر قبل أن تفعل المعصية أن الله قَدَّرَ لك الطاعة فتقوم بطاعته ؟ ! وكما أنك في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أن فيه خيرًا وتهرب مما ترى فيه شرًا فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة . أنا لا أعتقد أن أحدًا يسلك الطريق الصعب ، ويقول إن هذا قد قدر لي ، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسر ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك للجنة طريق وللنار طريق فإنك إذا سلكت طريق النار فأنت كالذي سلك الطريق المخوف الوعر ، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم وتَدَعَ طريق النعيم ؟ ولو كان للإنسان حُجَّة بالقدر على فعل المعصية لم تَنتَفِ هذه الحجة بإرسال الرسل وقد قال الله تعالى : ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾(١)

واعلم أن للإيمان بالقدر ثمرات جليلة على سير الإنسان وعلى قلبه لأنك إذا آمنت بأن كل شيء بقضاء الله وقدره فإنك عند السراء

---

(١) النساء : ١٦٥ .

تشكر الله عز وجل ولا تعجب بنفسك ولا ترى أن هذا الأمر حصل منك بحولك وقوتك ولكنك تؤمن بأن هذا سبب إذا كنت قد فعلت السبب الذي نلت به ما يسرك وأن الفضل بيد الله عز وجل فتزداد بذلك شكرًا لنعم الله سبحانه وتعالى ويحملك هذا على أن تقوم بطاعة الله على حسب ما أمرك الله به ، وأن لا ترى لنفسك فضلًا على ربك ، بل ترى المِنَّة لله سبحانه وتعالى عليك قال الله تعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاتَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلاَمَكُم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإيمَانِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾⁽¹⁾ كما أنك إذا أصابتك الضراءُ فإنك تؤمن بالله عز وجل وتستسلم ولا تندم على ذلك ولا تلحقك الحسرة ألم تَر إلى قول النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحب إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجزَنْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » فالإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب وعدم الحزن على ما فات وعدم الغم والهم لما يستقبل قال الله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أن نَبْرَأَهَا إنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾⁽²⁾ والذي لا يؤمن بالقدر لا شك أنه سوف يتضجر عند المصائب ويندم ويفتح الشيطان له كل باب ، وأنه سوف يفرح ويبطر ويغتر إذا أصابته السراء لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله .

---

(١) الحجرات : ١٧ .

(٢) الحديد : ٢٢ -٢٣ .

٣١٦ سئل الشيخ : هل محاجّة آدم وموسى فيها إقرار للاحتجاج بالقَدَر ؟ وذلك أن آدم احتجَّ هو وموسى فقال له موسى : « أنتَ أَبونا خيَّبْتَنا أخْرَجْتنا وَنفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ » . فقال له آدم « أَتَلُومُنِي عَلَى شَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ؟ » فقال النبي ﷺ « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » أي غَلَبَهُ بالحُجَّة وآدَمُ احْتَجَّ بقضاء الله وقدره ؟

فأجاب بقوله : هذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد ، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله ، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المعَائِبِ لا على المصائب ، ولهذا قال : « خَيَّبْتَنا وَأَخْرَجْتَنا ، وَنَفْسَكَ مِنَ الجَنَّة » ولم يقل : عَصَيتَ رَبَّكَ فَأُخْرِجْتَ مِنَ الْجَنَّة . فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة ، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به ، أرأيت لو أنك سافرت سفرًا وحصل لك حادث ، وقال لك إنسان : لماذا تسافر لو أنك بقيت في بيتك ما حصل لك شيء . فستجيبه : بأن هذا قضاء الله وقدره أنا ما خرجت إلا لأجل أن أصاب بالحادث ، وإنما

خرجت لمصلحة ، فأُصِيبْتُ بالحادث ، كذلك آدم عليه الصلاة والسلام هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة ؟ لا فالمصيبة إذن التي حصلت له مجرد قضاء وقدر ، وحينئذٍ يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا ، ولهذا قال النبي ﷺ « حَجَّ آدَمُ مُوسَى ، حَجَّ آدَمُ مُوسَى » وفي رواية للإمام أحمد « فَحَجَّهُ آدَمُ » يعني غَلَبَهُ في الحجة .

مثال آخر : ما تقولون في رجل أصاب ذنبًا وندم على هذا الذنب وتاب منه وجاء رجل من إخوانه يقول له يا فلان كيف يقع منك هذا الشيء فقال : والله هذا قضاء الله وقدره فهل يصح احتجاجه هذا أولا ؟ نعم يصح لأنه تاب فهو لم يَحْتَجَّ بالقدر ليمضي في معصيته ، لكنه نادم ومتأسف ، ونظير ذلك أن النبي ﷺ دخل ليلة على عليّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما فقال : أَلاَ تُصَلِّيَان ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ الله إنَّ أَنْفُسنَا بِيَدِ الله فَإن شَاءَ الله أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانصَرَفَ النبيُّ ﷺ يَضْرِبُ عَلَى فَخِذِهِ وَهُوَ يَقُولُ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ﴾(١) فالرسول ﷺ لم يقبل حُجَّتَهُ ، وبَيَّنَ أن هذا من الجَدَلِ ؛ لأن الرسول ﷺ يعلم أن الأنفس بيد الله لكن يريد أن يكون الإنسان حازمًا فيحرص على أن يقوم ويصلي .

على كل حال تَبَيَّنَ لنا أن الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز ، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز ، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرًا لموقف الإنسان واستمرارًا فيها فغير جائز .

---

(١) الكهف : ٥٤ .

٣١٧ سئل الشيخ : هل في قَدَرِ الله تعالى شرٌّ ؟

فأجاب قائلًا : ليس في القدر شر ، وإنما الشر في المقدور ، فمن المعروف أن الناس تصيبهم المصائب وتنالهم الخيرات ، فالخيرات خير ، والمصائب شر ، لكن الشر ليس في فعل الله تعالى ، يعني ليس فعل الله وتقديره شرًا ، الشر في مفعولات الله لا في فعله ، والله تعالى لم يقدر هذا الشر إلا لخير كما قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[1] هذا بيان سبب الفساد وأما الحكمة فقال : ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] إذن هذه مصائب مآلها الخير ، فصار الشر لا يضاف إلى الرب ، ولكن يضاف إلى المفعولات والمخلوقات شر من وجه ، وخير من وجه آخر ، فتكون شرًا بالنظر إلى ما يحصل منها من الأذية ، ولكنها خير بما يحصل فيها من العاقبة الحميدة ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]؟

٣١٨ سئل الشيخ : كيف يقضي اللهُ كَوْنًا مَالاً يُحِبُّ ؟

فأجاب بقوله : المحبوب قسمان .

---

(١) الروم : ٤٤١ .

(٢) الروم : ٤١ .

الأول : محبوب لذاته .

الثاني : محبوب لغيره .

فالمحبوب لغيره قد يكون مكروهًا لذاته ، ولكن يُحبُّ لما فيه من الحكمة والمصلحة ، فيكون حينئذ محبوبًا من وجه ، ومكروهًا من وجه آخر مثال ذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾⁽¹⁾ فالفساد في الأرض في حد ذاته مكروه إلى الله تعالى ؛ لأن الله تعالى لا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولكن للحِكَمِ التي يتضمنها يكون محبوبًا إلى الله عز وجل من وجه آخر وكذلك العُلُوُّ في الأرض ، ومن ذلك القَحْطُ ، والجَدْبُ ، والمَرضُ ، والفقر يقدره الله تعالى على عباده مع أنه ليس محبوبًا إليه في حد ذاته ، لأن الله لا يحب أن يؤذي عباده بشيء من ذلك ، بل يريد بعباده اليسر ، لكن يقدره للحِكَمِ المترتبة عليه ، فيكون محبوبًا إلى الله من وجه ، مكروهًا من وجه آخر قال الله تعالى ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾⁽²⁾ .

فإن قيل كيف يُتَصَوَّرُ أن يكون الشيء محبوبًا من وجه ومكروها من وجه آخر ؟ !

أجيب : بأن هذا أمر واقع لا ينكره العقل ، ولا يرفضه الحس فها هو الإنسان المريض يُعْطَى جرعة من الدواء مُرَّةً كريهة الرائحة ،

---

(١) الإسراء : ٤ .

(٢) الروم : ٤١ .

واللون ، فيشربها وهو يكرهها لما فيها من المرارة ، وكراهة اللون والرائحة ،ويحبها لما يحصل فيها من الشفاء ، وكذا الطبيب يَكْوِي المريض بالحديدة المُحْمَاةِ على النار ، ويتألم منها فهذا الألم مكروه له من وجه ، ومحبوب له من وجه آخر .

٣١٩ سئل الشيخ : عمن يَتَسَخَّطُ إذا نَزَلَتْ به مصيبة ؟

فأجاب بقوله : الناس حال المصيبة على مراتب أربعة :

المرتبة الأولى : التسخط وهو على أنواع :

النوع الأول : أن يكون بالقلب كأن يسخط على ربه يغتاظ مما قدره الله عليه فهذا حرام ، وقد يؤدي إلى الكفر قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾(١) .

النوع الثاني : أن يكون باللسان كالدعاء بالويل والثُّبورِ وما أشبه ذلك .

النوع الثالث : أن يكون بالجوارح كَلَطْمِ الخُدُودِ ، وشَقِّ الجُيُوبِ ، ونَتْفِ الشُّعُورِ وما أشبه ذلك ، وكل هذا حرام مُنَافٍ للصبر الواجب .

المرتبة الثانية : الصبر وهو كما قال الشاعر :

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكَنَّ عَوَاقِبهُ أَحْلَى منَ الْعَسَلِ .

---

(١) الحج : ١١ .

فيرى أن هذا الشيء ثقيل عليه لكنه يتحمله ، وهو يكره وقوعه ولكن يحميه إيمانه من السَّخَطِ ، فليس وقوعه وعدمه سواء عنده وهذا واجب لأن الله تعالى أمر بالصبر فقال : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾(١) .

المرتبة الثالثة : الرضا بأن يرضى الإنسان بالمصيبة بحيث يكون وجودها وعدمه سواء فلا يشق عليه وجودها ، ولا يتحمل لها حملًا ثقيلاً ، وهذه مستحبة وليست بواجبة على القول الراجح والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهر لأن المصيبة وعدمها سواء في الرضا عند هذا ، وأما التي قبلها فالمصيبة صعبة عليه لكن صبر عليه .

المرتبة الرابعة : الشكر وهو أعلى المراتب ، وذلك بأن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة حيث عرف أن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته وربما لزيادة حسناته قال ﷺ « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا » .

---

(١) الأنفال : ٤٦ .

٣٢٠ سئل حفظه الله تعالى : ما معنى قوله ﷺ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَينْسأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه من حديث أنس . وهل معنى ذلك أن الإنسان يكون له عُمُرٌ إذا وصل رحمه وعمر إذا لم يصل ؟

فأجاب بقوله : ليس معنى ذلك أن الإنسان يكون له عمران : عمر إذا وصل رحمه ، وعمر إذا لم يصل ، بل العمر واحد ، والمقدر واحد ، والإنسان الذي قدر الله له أن يصل رحمه سوف يصل رحمه ، والذي قدر الله أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ولا بد ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير ، كما نقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج ، فالزواج مكتوب ، والولد مكتوب ، فإذا كان الله قد أراد أن يحصل لك ولد أراد أن تتزوج ومع هذا فإن الزواج والولد كلاهما مكتوب ، كذلك هذا الرزق مكتوب من الأصل ، ومكتوب أنك ستصل رحمك ، لكنك أنت لا تعلم عن هذا فحثك النبي ﷺ عليه وبَيَّنَ لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يبسط لك في الرزق ، وينسأ لك في الأثر ، وإلا فكل شيء مكتوب لكن لما كانت صلة الرحم أمرًا ينبغي للإنسان أن يقوم به حث النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن الإنسان إذا أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه ، وإلا فإن الواصل قد كتبت صلته وكتب أن

يكون عمره إلى حيث أراد الله عز وجل ، ثم اعلم أن امتداد الأجل ، وبسط الرزق أمر نسبي ، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه ، ويبسط له في رزقه بعض الشيء ، ولكن عمره يكون قصيرًا وهذا مشاهد ، فنقول هذا الذي كان عمره قصيرًا مع كونه واصلًا للرحم لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر ، ولكن الله قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سيصل رحمه وسيكون منتهى عمره في الوقت الفلاني .

٣٢١ سئل الشيخ : عن قول النبي ﷺ « لاَ عَدوَى ، وَلاَ طِيَرَةَ ، وَلاَ هَامَةَ ، وَلاَ صَفَر » متفق عليه - وما نوع النفي في الحديث ؟ وكيف نجمع بينه وبين حديث : « فِرَّ مِنْ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ » ؟

فأجاب قائلًا : « العدوى » انتقال المرض من المريض إلى الصحيح وكما يكون في الأمراض الحسية يكون في الأمراض المعنوية الخلقية ، ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن جليس السوء كنافخ الكِير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة فقوله ﷺ « عدوى » يشمل العدوى الحسية والمعنوية .

و «الطيرة» هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

و «الهامة» فسرت بتفسيرين :

الأول : داء يصيب المريض وينتقل إلى غيره ، وعلى هذا التفسير يكون عطفها على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثاني : طير معروف تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل فإن هذه الهامة تأتي إلى أهله وتنعق على رؤوسهم حتى يأخذوا بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه تكون بصورة الهامة وهي نوع من الطيور تشبه البومة أو هي البومة ، تؤذي أهل القتيل بالصراخ حتى يأخذوا بثأره ، وهم يتشاءمون بها فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت قالوا إنها تنعق به ليموت ويعتقدون قرب أجله وهذا باطل .

و« صفر » فسر بتفاسير :

الأول : أنه شهر صفر المعروف ، والعرب يتشاءمون به .

الثاني أنه داء في البطن يصيب البعير وينتقل من بعير إلى آخر ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثالث : صفر شهر صفر ، والمراد به النسيء الذي يضل به الذين كفروا ، فيؤخرون تحريم شهر المحرم إلى صفر يحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا .

وأرجحها أن المراد شهر صفر حيث كانوا يتشاءمون به في الجاهلية ، والأزمنة لا دخل لها في التأثير ، وفي تقدير الله عز وجل فهو كغيره من الأزمنة يقدر فيه الخير والشر .

وبعض الناس إذا انتهى من عمل معين في اليوم الخامس والعشرين مثلًا من شهر صفر أرّخ ذلك وقال : انتهى في الخامس والعشرين من شهر صفر الخير . فهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة ، والجهل

بالجهل . فهو ليس شهر خير ، ولا شر . ولهذا أنكر بعض السلف على من إذاسمع البومة تنعق قال : خيرًا إن شاء الله فلا يقال خير ولا شر بل هي تنعق كبقية الطيور .

فهذه الأربعة التي نفاها الرسول ﷺ تدل على ووجوب التوكل على الله ، وصدق العزيمة ولا يضعف المسلم أمام هذه الأمور .

وإذا ألقى المسلم باله لهذا الأمور فلا يخلو من حالين : –

الأولى : إما أن يستجيب لها بأن يقدم أو يحجم ، فيكون حينئذ قد علق أفعله بما لا حقيقة له .

الثانية : أن لا يستجيب بأن يقدم ولا يبالي ، لكن يبقى في نفسه نوع من الهم أو الغم ، وهذا وإن كان أهون من الأول لكن يجب أن لا يستجيب لداعي هذه الأمور مطلقًا ، وأن يكون معتمدًا على الله عز وجل .

وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل فإذا نظر ذكر النار قال هذا فأل غير جميل ، وإذا نظر ذكر الجنة قال هذا فأل طيب ، وهذا في الحقيقة مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام .

والنفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود ، لأنها موجودة ولكنه نفي للتأثير ، فالمؤثر هو الله ، فما كان منها سببًا معلومًا فهو سبب صحيح ، وما كان منها سببًا موهومًا فهو سبب باطل ، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه ولسببيته ، فالعدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله ﷺ « لاَ يُورِدُ مُمرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ » أي لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ، لئلا تنتقل العدوى وقوله ﷺ « فِرَّ مِنَ

الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ » الْجُذَامُ : مرض خبيث معدٍ بسرعة ويتلف صاحبه ، حتى قيل إنه الطاعون ، فالأمر بالفرار لكي لا تقع العدوى ، وفيه إثبات العدوى لتأثيرها ، لكن تأثيرها ليس أمر حتمي بحيث تكون علة فاعلة ، ولكن أمر النبي ﷺ بالفرار من المجذوم ، وأن لا يورد ممرض على مصح ، من باب تجنب الأسباب ، لا من باب تأثير الأسباب بنفسها قال الله تعالى ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١) ولا يقال إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى ؛ لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى .

فإن قيل : إن الرسول ﷺ لما قال « لاَ عَدْوَى » . قال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الإِبِلَ تَكُونُ فِي الرِّمَالِ مِثْلَ الضِّبَا فَيَدْخُلُهَا الْجَمَلُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ » ؟!

فالجواب : أن النبي ﷺ أشار بقوله « فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ » إلى أن المرض انتقل من المريضة إلى هذه الصحيحات بتدبير الله عز وجل ، فالمرض نزل على الأول بدون عدوى بل نزل من عند الله عز وجل ، والشيء قد يكون له سبب معلوم ، وقد لا يكون له سبب معلوم ، وجَرَبُ الأول ليس معلومًا إلا أنه بتقدير الله تعالى وجرب الذي بعده له سبب معلوم ولو شاء الله تعالى ما جرب ، ولهذا أحيانًا تصاب الإبل بالجرب ثم يرتفع ولا تموت ، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية قد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ، ويسلم آخرون ولا يصابون ، فالإنسان يعتمد على الله ويتوكل عليه وقد جاء أن النبي ﷺ قدم عليه رجل مجذوم فأخذ بيده وقال له « كُلْ » أي من الطعام الذي كان يأكل

---

(١) البقرة : ١٩٥ .

منه الرسول ﷺ لقوة توكله ﷺ . فهذا التوكل مقام لهذا السبب المعدي .

وهذا الجمع الذي ذكرنا أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث ، وادَّعى بعضهم النسخ وهذه الدعوى غير صحيحة لأن من شرط النسخ تعذر الجمع ، وإذا أمكن الجمع وجب لأن فيه إعمال الدليلين ، وفي النسخ إبطال أحدهما ، وإعمالهما أولى من إبطال أحدهما لأننا اعتبرناهما وجعلناهما حجة .

٣٢٢ ــــــــــ سئل الشيخ : عن مسألة القَدَر ؟ وهل أصل الفِعْل مُقَدَّرُ والكيفية يخيَّرُ فيها الإنسان ؟ مثال ذلك إذا قَدَّرَ الله تعالى للعبد أنْ يبني مسجدًا فإنه سيبني لا محالة لكنه تَرَكَ لعقله الخيار في كيفية البناء ، وكذلك المعصية إذا قَدرَها الله فإن الإنسان سيفعلها لا محالة ، لكن ترك لعقله كيفية تنفيذها ، وخلاصة هذا الرأي أن الإنسان مخيّر في الكيفية التي ينفذ بها ما قُدِّرَ عليه ، فهل هذا صحيح ؟

فأجاب بقوله : هذه المسألة – أي مسألة القَدَر – محل جدل بين البشر من قديم الزمان . ولذلك انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام ، طرفين ووَسَطا . أما الطرفان :

فأحدهما : نظر إلى عموم قَدَر الله فعَمِيَ عن اختيار العبد . وقال : إنه مُجْبر على أفعاله ، وليس له فيها أي اختيار ، فسقوط الإنسان من السقف بالرِّيح ونحوها كنزوله منه مختارًا من الدَّرَج .

وأما الطَّرف الثاني فنظر إلى أنّ العبد فاعل تارك باختياره ، فعَمِيَ عن قَدَر الله . وقال : إنّ العبد مستقل بأفعاله ، ولا تعلّق لقَدَر الله تعالى فيها .

وأما الوسط فأبصروا السببين ، فنظروا إلى عموم قدر الله تعالى ، وإلى اختيار العبد ، فقالوا : إن فعل العبد كائن بقدر الله تعالى وباختيار العبد ، وأنه يعلم بالضرورة الفرق بين سقوط الإنسان من السقف بالريح ونحوها ، ونزوله منه مختارًا من الدرج ، فالأول من فعله بغير اختياره ، والثاني باختياره ، والكل منهما واقع بقضاء الله وقدره لا يقع في مُلْكه مالا يريد ، لكن ما وقع باختيار العبد فهو مناط التكليف ، ولا حجة له بالقدر في مخالفة ما كُلِّف به من أوامر أو نواهٍ ، وذلك لأنه يقدم على المخالفة حين يقدم عليها وهو لا يعلم ما قدّر الله عليه ، فيكون إقدامه الاختياري على المخالفة هو سبب العقوبة سواء كانت في الدنيا أم في الآخرة ، ولذلك لو أجبره مجبر على المخالفة ، لم يثبت عليه حكم المخالفة ولا يعاقب عليها لثبوت عذره حينئذ . وإذا كان الإنسان يدرك أن هروبه

من النار إلى موضع يأمن فيه منها يكون باختياره ، وأن تقدمه إلى بيت جميل واسع طيب المسكن ليسكنه يكون باختياره أيضًا ، مع إيمانه أن هروبه وتقدمه المذكورين واقعان بقضاء الله وقدره وأن بقاءه لتدركه النار ، وتأخره عن سكنى البيت يُعدّ تفريطًا منه وإضاعة للفرصة يستحق اللوم عليه ؛ فلماذا لا يُدرك هذا بالنسبة لتفريطه بترك الأسباب المنجية له من نار الآخرة الموجبة لدخوله الجنة ؟ !

وأما التمثيل بأن الله إذا قَدَّر للعبد أن يبني مسجدًا فإنه سيبني هذا المسجد لا محالة ، لكنه ترك لعقله الخيار في كيفية البناء ، فهذا تمثيل غير صحيح ، لأنه يوحي بأن كيفية البناء يستقل بها العقل ولا تدخل فى قدر الله تعالى ، وأن أصل فكرة البناء يستقل بها القدر ولا مدخل للاختيار فيها . والحقيقة أن أصل فكرة البناء تدخل في اختيار العبد لأنه لم يجبر عليها كما لا يجبر على فكرة إعادة بناء بيته الخاص أو ترميمه مثلًا ، ولكن هذه الفكرة قد قدرها الله تعالى للعبد من حيث لا يشعر ، لأنه لا يعلم بأن الله قدر شيئًا ما حتى يقع ذلك الشيء ، إذ القدر سرّ مكتوم لا يعلم إلا بإطّلاع الله تعالى عليه بالوحى أو بالوقوع الحِسِّيّ . وكذلك كيفية البناء هى بقدر الله تعالى ، فإن الله تعالى قد قدّر الأشياء كلها جملة وتفصيلًا ، ولا يمكن أن يختار العبد ما لم يُرِدْه أو يُقَدِّرْه ، بل إذا اختار العبد شيئًا وفعله علم يقينًا أن الله تعالى قد قضاه وقدّره . فالعبد مختار بحسب الأسباب الحسية الظاهرة التى قدّرها الله تعالى ، أسبابًا لوقوع فعله ، ولا يشعر العبد حين يفعل الفعل بأن أحدًا

أجبره عليه ، لكنه إذا فعل ذلك بحسب الأسباب التي جعلها الله تعالى أسبابا علمنا يقينًا بأن الله تعالى ، قد قَدّرها جملةً وتفصيلًا .

وهكذا نقول في التمثيل بفعل الإنسان المعصية حيث قلتم : إن الله قدّر عليه فعل المعصية فهو سيفعلها لا محالة ، ولكن ترك لعقله كيفية تنفيذها والسعي إليها .

فنقول فيه ما قلناه في بناء المسجد : إن تقدير الله تعالى عليه فعل المعصية لا ينافي اختياره لها ، لأنه حين اختياره لها لا يعلم بما قدر الله تعالى عليه ، فهو يقدم عليها مختارًا لا يشعر بأن أحدًا يجبره ، لكنه إذا أقدم وفعل علمنا أن الله قد قدر فعله لها ، وكذلك كيفية تنفيذ المعصية والسعي إليها الواقعة باختيار العبد ، لا تنافي قدر الله تعالى ، فالله تعالى قد قدر الأشياء كلها جملة وتفصيلا ، وقدر أسبابها الموصلة إليها ، ولا يشذ عن ذلك شيء من أفعاله ولا من أفعال العباد الاختيارية منها والاضطرارية ، كما قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾(٢) . وقال : ﴿ **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا**

---

(١) الحج : ٧٠ .

(٢) الأنعام : ١٢ .

فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(١) . وقال : **﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾**(٢) .

وبَعْدُ . فإنّ الجدير بالمرء ألا يبحث في نفسه ولا مع غيره في مثل هذه الأمور التى توجب له التشوّش ، وتُوهِمُ معارضة الشرع بالقَدَر ، فإن ذلك ليس من دَأْب الصحابة – رضي الله عنهم – وهم أحرص الناس على معرفة الحقائق وأقربهم من معين إرواء الغُلَّة ، وكشف الغُمَّة ، وفي صحيح البخاري عن عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبيَّ ﷺ قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ وقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ ومَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ » . فقُلْنَا : يا رَسُولَ الله أَفَلاَ نَتَّكِلُ ؟ (وفي روايةٍ : أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا ونَدَع الْعَمَلَ ؟) قال : « لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّر » (وفي رواية : اعْمَلُوا فَكُل مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وأمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَة فَيُيَسَّرُ لِعَمَل أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمّ قَرَأ : **﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُه لِلْيُسْرَى . وأَمَّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنَى ، وكَذَّبَ بالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾** . فنهى النبي ﷺ عن الاتكال على الكتاب وتَرْك العمل ، لأنه لا سبيل إلى العلم به ، وأمر بما يستطيعه العبد ويمكنه ، وهو العمل واستدل بالآية التي تدل على أن من عمل صالحًا وآمن فسييَسر لليسرى ، وهذا هو الدواء الناجع المثمر ، الذي يجد فيه العبد بلوغ عافيته

---

(١) الأنعام : ١٣٧

(٢) البقرة : ٢٥٣

وسعادته ، حيث يشمِّر للعمل الصالح المبني على الإيمان ، ويبتبشر بذلك حين يقارنه التوفيق لليسرى في الدنيا والآخرة . أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعًا للعمل الصالح . وأن ييسرنا لليسرى ، ويجنبنا العسرى ، ويغفر لنا في الآخرة والأولى ، إنه جواد كريم .

٣٢٣ كيف يمكن أن يكون القضاء والقدر معينًا على زيادة إيمان المسلم ؟

يكون الإيمان بالقَضَاء والقَدر عَوْنًا للمسلم على أُمور دينه ودنياه ؛ لأنه يؤمن بأن قدرة الله عز وجل فوق كل قدرة وأن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد شيئًا فلن يحول دونه شيء ، فإذا آمن بهذا فعل الأسباب التي يتوصل بها إلى مقصوده ، ونحن فيما سبق من التاريخ أن هناك انْتصارات عظيمة انتصر فيها المسلمون مع قلة عَدَدهم وعُددهم ، كل ذلك لإيمانهم بوعد الله عزَّ وجلَّ وبقضائه وقدره وأن الأمور كلها بيده سبحانه .

٣٢٤ ماذا نقول لمن ندعوه إلى التوبة والرجوع إلى الله فيقول : إن الله لم يكتب لي الهداية ، والثاني يقول : إن الله يهدي من يشاء ؟

أما الأول فإنه يقول : إن الله لم يكتب لي الهداية ، وبكل بساطة نقول : أطَّلَعْت الغيب أم اتخذت عند الله عَهْدًا ؟ ! فإن قال : نعم ،

فنقول : إذن كَفَرْتَ ، لأنَّك ادَّعَيْتَ علم الغيب ، وإن قال : لا ، فنقول : غلبت ، إذا كنت لم تَطَّلع أن الله لم يكتب الهدَاية فاهتد فالله ما منعك من الهِدَاية ، بل دعاك إليها وَرَغَّبك فيها ، وحذَّرك من الضَّلالة ونَهَاك عنها ، ولم يشأ الله عزَّ وجلَّ أن يدع عباده على ضلالة أبدًا قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾(١) . فَتُبْ إلى الله ، والله عزَّ وجلَّ أشدُّ فرحًا بتَوْبَتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه وأيس منها ونام تحت شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بخُطام ناقته متعلقًا بالشجرة ، فأخذ بخطام الناقة وقال : «اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدي وأنا رَبُّكَ» أخطأ من شِدَّة الفرح ، فكان يريد أن يقول : «اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّي وَأنا عَبْدُكَ» .

وأما الثاني الذى يقول : «إنَّ الله يهدي مَن يَشاءُ» ، فإذا كان الله يهدي من يشاء ، فهذه حجَّة عليك ، فاهتَدِ حتى تكون ممن شاء الله هِدايته ، والحقيقة أن هذا الجواب من العاصي هو لدفع الحجةِ بالنسبة لنا ، ولن ينفعه ذلك عند الله عز وجل يقول : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أشركُواْ لَوْ شَاءَ الله مَا أشْرَكْنَا وَلا آباؤُنا ولَا حَرَّمْنا مِن شيءٍ كذلك كَذَّب الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهِ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إلَّا الظَّنَّ وإنْ أنْتُمْ إلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(٢) .

---

(١) النساء : ٢٦ .

(٢) الأنعام : ١٤٨ .

٣٢٥ — **هناك شخص عاصي ، وعندما دُعِيَ للحق قال : إن الله لم يكتب لي الهداية : فكيف نتعامل معه ؟ أرشدونا ، أسكنكم الله الفردوس الأعلى من جنته . آمين .**

نقول بكل بساطة : أطَّلَعْتَ الغيبَ أم اتخذت عند الله عهدا ؟ هل أنت اطلعت الغيب على أن الله لم يكتب لك الهداية ؟ إن قال : نعم ، كفر لأنه ادعى علم الغيب . وإن قال : لا ، خُصِمَ وغُلب . إذا كنت لم تطلع أن الله لم يكتب لك الهداية فاهْتَدِ ، فالله ما منعك الهداية بل دعاك إلى الهداية ورغّبك فيها ، وحَذَّرَك من الضلالة ونهاك عنها ، ولم يشأ الله عز وجل أن يَدَعَ عباده على ضلالة أبدا قال تعالى : ﴿ **يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تَضِلُّوا** ﴾(١) . ﴿ **يُريدُ اللهُ لِيبينَ لكم ويهديَكم سُنَنَ الذين مِن قَبْلِكم ويَتُوبَ عليكم** ﴾(٢) فتُبْ إلى الله ، والله عز وجل أشد فرحا بتوبتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه وأيِسَ منها ونام تحت شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بخِطام ناقته متعلّق بالشجرة فأخذ بخطام الناقة فرحا وقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح . فنقول تُبْ إلى الله ، والله أمرك بالاهتداء وبَيَّن لك طريق الحق . والله ولي التوفيق .

---

(١) النساء ١٧٦

(٢) النساء ٢٦

٣٢٦ لماذا يُثقِّل الله عَلى المؤْمنين الَّذين يُكْثرُون العِبَادة بِالأمْراضِ والبَلايَا في حِين أن العُصَاة يتمتَّعُون بكُلِّ مَطايب الحياة ؟

هَذا السُّؤال يردُ على وجهين أحدهما اعتراض ، والثاني : اسْتِرْشاد فَأمَّا وُقُوعه عَلَى سَبيل الاعتِراض فإنَّه دليل على جهل السائل فَإنَّ حِكمةَ الله سُبْحانه وتَعَالى أعْظَمَ من أنْ تبلُغَها عُقُولنَا والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ **وَيسْألُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلًا** ﴾(١) .

فهذه الرُّوح التي هي بين جَنْبَيْنا والتي هي مادة حياتنا نحن لا نَعْرفها وقد عَجَز النُّظار والفلاسفة والمُتَكلمون عن تَحْديدها وكَيْفيتها فإذا كانت هذه الرُّوح التي هي أقْربُ مَخْلوق إلينا لا نَعْلَمُ منها مَا وُصف في الكتاب والسنة فما بالك بما وراء هذا فالله عزَّ وجلَّ أحْكَمُ وأعْظَمُ وَأجلُّ وَأقْدر فعلينا أنْ نُسَلِّم بقضائه تَسْليمًا تَامًّا : قَضَائُه الكَوْني وَقَضائُه القَدَري لأنَّنا عَاجزون عن إدْراك غَايات حِكْمتِهِ سُبْحانه وتعالى ، وعليه فالجواب عن هذا الوجه من السُّؤال أن نقول الله أعلم وأحكم وأقدر وأعظم .

---

(١) الإسراء : ٨٥

وأمَّا الثاني : سُؤَّال اسْترشاد فإنَّنا نقول لهذا السَّائل ، المؤْمن يُبْتلى وابتلاء الله له بما يُؤْذيه له فائدتان عظيمتان : الفائدة الأولى : اخْتبار هذا الرَّجل في إيمَانه هل إيمانه صَادِق أوْ مُتَزَعْزع ؟ صَادِق أوْ مُتَزَعزع ؟ فالمؤمن الصَّادق في إيمانه يصبر لقضاء الله وقدره ويحتسب الأجر منه وحينئذ يَهُون عليه الأمر ويذكر عن بعض العابدات أنه أُصيب أصْبعُها بَقطْعٍ أو جُرحٍ ولكنها لم تتألم ولم تُظْهر التَّضَجُّر فقِيلَ لها في ذلك فقالت إن حلاوة أجرها أنْستْنِي مَرَارة صَبْرها ، والمؤْمن يَحْتسب الأجر من الله تعالى ويسلم تسليمًا هذه فائدة أمَّا الفائدة الثَّانية : فإن الله سبحانه وتعالى أثْنى على الصَّابرين ثَنَاءً كثيرًا وأخبر أنَّهُ معهم ويُوَفيهم أجْرهم بغيرِ حساب ، والصَّبر درجة عالية لا يَنَالها إلَّا من ابتُلِي بالأمور التي يصبر عليها فإذا صَبَر نال هذه الدَّرجة العالية التي فيها هذا الأجر الكَثِير فيكون ابتلاء الله للمُؤْمنين بما يُؤْذيهم من أجْل أن ينالوا درجة الصَّابرين ولهذا كان الرَّسول عليه الصلاة والسلام وهو أعظم الناس إيمانًا وأتقاهم وأخشاهم لله كان يُوعك كما يُوعك الرَّجلان وشُدِّدَ عليه ﷺ عِنْد النَّزع ، كل ذلك لأجل أنْ تَتم له منزلة الصَّبر فإنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام أصْبر الصَّابرين . ومن هذا يتبيَّن لك الحكمة من كون الله سبحانه وتعالى يَبْتلِي المؤمن بمثل هذه المَصَائب ، أمَّا كونه يُعْطي العُصَاة والفُسَّاق والفُجَّار والكُفَّار العَافِية والرِّزق يُدره عليهم فهذا اسْتدراج منه سُبْحانه وتعالى لهم وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله : «إنَّ الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِن وجَنَّة الكافر» فهم يُعْطَوْنَ هذه الطَّيبات لِتعجل لهم طيباتهم في حياتهم الدُّنيا ويوم القيامة يَنَالون ما يَسْتَحِقُّونه من جَزَاءٍ

قال الله تعالى : **﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾**(١) .

فالحاصل أنَّ هذه الدُّنيا هي للكُفَّار يُسْتَدْرجون بها ، وهم إذا انتقلوا إلى الآخرة من هذه الحياة الدنيا التي نَعِمُوا بها وَجدوا العذاب – والعياذ بالله – فإنَّه يكون العذاب أشدَّ عليهم لأنَّهم يجدون في العذاب النَّكال والعقوبة ، ولأنَّه مع فوات محبوبهم من الدُّنيا ونعيمهم وترفهم وهذه فائدة ثالثة يمكن أن نُضيفهَا إلى الفائدتين السابقتين فيما سينال المؤمن من الأذى والأمراض ، فالمؤمن ينتقل إلى دار خير من هذه الدُّنيا فيكون قد انتقل من أمرٍ يؤذيه ويؤلمه إلى أمر يَسُرّه ويفرحه فيكون فرحه بما قَدِمَ عليه من النعيم مضاعفًا ؛ لأنه حصل به النَّعيم وفات عنه ما يجري من الآلام والمصائب .

٣٢٧ ـــ ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . وكذلك قوله ﷺ : «من أراد أن يُنسأ له في أجله ويبسط له في رزقه فليصل رحمه» ؟

قال تعالى : **﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ**

---

(١) الأحقاف : ٢٠

الكِتَابِ ﴾(١) . وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ ؛ لأن جميع ما يكتب مرجعه إلى اللوح المحفوظ ؛ لأن ما في اللَّوح المحفوظ لا يُغَيَّر ولا يُبَدَّل وهو الذي تستقر عليه الأمور ، وأما ما دون ذلك مما يكتب فهذا قابل للمحو والإثبات ، وقد مر علينا أن مع كل إنسان ملكين يكتبان ما يفعله : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾(٢) . هذا الذي يكتب إذا كتب فهو إثبات ، فإذا تاب الإنسان من ذلك مُحي ، فهذا محو وإثبات فيكون المحو والإثبات واقعين في الصحف التي بأيدي الملائكة ، أما ما في اللوح المحفوظ فإنه محفوظ وهو المرجع والأم .

وأما الحديث وهو قوله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه وَيُبْسَط لَه فِي رِزْقِه فَلْيَصِل رَحِمه» ، فَلَيْسَ معنى هذا أن يكون الإنسان له عُمْران عُمر إذا وصل رحمه ، وعُمر إذا لم يصل ، بل العُمر واحد ، والمقدار واحد ، والإنسان الذي قدر الله تعالى أن يصل رَحِمه سوف يَصِل رحمه ، والذي قدر الله تعالى أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ، ولابد ، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير ، كما نقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج ، فالزَّواج مكتوب ، والولد مكتوب ، فإذا كان الله قد أراد ان يحصل لك ولد ، أراد أن تتزوج ، ومع هذا فإن الزَّواج والولد كلاهما مكتوب ، كذلك هذا الرِّزق هو مكتوب من الأصل ، ومكتوب أن تصل رحمك ، لكنك أنت لا تعلم

---

(١) الرعد : ٣٩

(٢) الإنفطار : ٩ - ١٢

عن هذا ، فحثك النبي ﷺ عليه ، وبين لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يَبْسُط لك في الرزق ، وينسأ لك فى الأثر ، وإلا فكل شيء مكتوب بلا شك ، حتى الزواج ، وحتى شِراء البيت ، وغير ذلك ، لكن لما كانت صِلَةُ الرَّحم أمرًا ينبغي للإنسان أن يقوم به حثَّ النبي ﷺ أمته على ذلك بهذا .

ثم اعلم – بارك الله فيك – أن تَأْخِير الأجل وبسط الرزق أمر نسبي ليس أمرًا مُطْلَقًا ، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه وبسط له في رزقه بعض الشىء ، ولكن عمره يكون قصيرًا وهذا مشاهد فنقول هذا الذى كان عمره قصيرًا مع كونه وَاصِلًا لِرَحمه لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر ، ولكن الله تعالى قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سَيَصِلُ رحمه وسيكون منتهى عمره في وقت كذا .

﴾ عموم الرسالة ﴿

٣٢٨ هل يجب على الكافر أن يعتنق الإسلام ؟

يجب على كل كافر أن يعتنق دين الإسلام ولو كان نصرانيًا أو يهوديًا لأن الله تعالى يقول في الكتاب العزيز : ﴿ **قُلْ يا أَيُّها الناسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إليكم جميعاً الَّذي له مُلْكُ السّمواتِ والأرضِ لا إلهَ إلا هو يُحْي ويُمِيت فآمِنوُا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأُمِّي الذي يُؤْمِنُ باللهِ وكلماتِه واتَّبِعُوه لَعَلَّكم تَهْتَدُون** ﴾[1] فواجب على جميع الناس أن يؤمنوا برسول الله ﷺ .

إلا أن هذا الدين الإسلامي من رحمة الله عزّ وجلّ وحِكْمته أنه أباح لغير المسلمينْ أنْ يَبقوا على ديانتهم بشرط أن يخضعوا لأحكام المسلمين فقال تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الذينَ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ ولا باليوم الآخرِ ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُه ولا يَدينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذين أوتوا**

---

(١) لأعراف ١٥٨

الكتابَ حتى يُعطُوا الجزيَة عن يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ ﴾(١) . وفي صحيح مسلم من حديث بُرَيْدَةَ : أنّ النبيَّ ﷺ كان إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سَرِيَّةٍ أمَرَهُ بتقوَى اللهِ وبمَنْ مَعَه مِنَ المسلمينَ خَيْراً وقال : « ادْعُهُمْ إلى ثلاثِ خِصالٍ أو خِلال فأيَّتهُنَّ أجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُم وكُفَّ عَنْهُمْ » . ومن هذه الخصال أن يبذلوا الجزية .

ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الجزية تُقبل من غير اليهودِ والنصارَى .

فالحاصل أن غير المسلمين يجب عليهم : إما الدخول في الإسلام ، وإما الخضوعُ لأحكامِ الإسلامِ . والله الموفق .

٣٢٩ ـــــ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَوَيْلٌ للمُشْرِكينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٢) فما المقصود بالمشركين وكيف يؤمرون بالزكاة ؟

قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ﴾ يَحْتَمِلُ معنيين ، أحدهما : أنْ يُرَادَ بالزكاة زكاة النفسِ وهي تطهيرها من الشرك لقوله تعالى : ﴿ **قَدْ أفْلح مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾(٣) . فيكون قوله : ﴿ **الَّذِينَ**

---

(١) التوبة ٢٩ .

(٢) فصلت : ٦ ، ٧

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

لا يُؤتُونَ الزَّكَاة ﴾ تفسيرًا لقوله : ﴿ **لِلمُشْرِكِينَ** ﴾ أي الذين لا يُؤْتُون أنفُسهم زَكَاتها بالتَّخلي عن الشِّرك ووسائله .

والاحتمال الثاني : أن يكون المُراد بالزَّكاة زكاة المال ويكون تَرْكهم الزكاة – أي تركهم البَذْل – من أوصافهم وإن كان هذا لَيْس بالزَّكاة ، لأنه بالنِّسبة لهم لا يقبل منهم زَكاة ولا غيرها ما دَامُوا على شِرْكِهم .

الأنبياء والرسل

٣٣٠ هل هناك فَرْق بين الرَّسول والنَّبي ؟

نعم فأهل العلم يقولون : إنَّ النَّبي هو من أوْحَى الله إليه بشرع ولمْ يَأمره بتْبلِيغِهِ بل يَعْمل بِهِ في نَفِسِه دون إلزام بالتبليغ .

والرسول : هو من أوْحى الله إليه بشرع وأمرهُ بتبليغه والعمل به فكل رَسُوِل نبي وليس كل نبّي رَسولًا والأنبياء أكثر من الرُّسل وقد قصَّ الله بعض الرسل في القرآن ولم يقصص البعض الآخر .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أرسلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِك مِنْهُم مَنْ قَصَصْنا عَلَيْك ومنهم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلْيك وما كَان لِرَسُولٍ أنْ يَأتِي بآيةٍ إلَّا بإذْن الله . . . ﴾**(١) .

وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذُكِر في القرآن من الأنبياء فهو رسول .

---

(١) غافر : ٧٨

٣٣١ كيف نجمع بين قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهم عَلَى بَعْضٍ ﴾(١) . وقوله : لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنهم ﴾(٢)

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾(١) كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾(٢) .

فالأنبياء والرسل لا شكَّ أن بعضهم أفضل من بعض فالرسل أفضل من الأنبياء وأولوا العزم من الرُّسل أفضل ممَّن سواهم وأُولو العزم من الرُّسل هم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في آيتين من القرآن إحداهما في سورة الأحزاب : ﴿ وإِذْ أَخذْنَا مِنَ النَّبيين ميثَاقَهُمْ وَمِنْكَ ومِنْ نُوح وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَم ﴾(٣) . محمد عليه الصَّلاة والسَّلام ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم .

والآية الثانية في سورة الشُّورى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّن الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا والَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى ﴾(٤) .

---

(١) البقرة : ٢٥٣ .
(٢) البقرة : ١٣٦ .
(٣) الأحزاب : ٧ .
(٤) الشورى : ١٣ .

فهؤلاء خمسة وهم افضل ممن سواهم وأما قوله تعالى عن المؤمنين : ﴿ **كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلائِكَتِه وَكتبه وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾(١) . فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أن كلهم رسُل من عند الله حقًّا وأنهم ما كَذَبوا فهم صادقون مصَدّقونَ وهذا معنى قوله : ﴿ **لا نُفَرِّق بَيْنَ أحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾(٢) . أي في الإيمان بل نؤمن أن كلَّهم عليهم الصَّلاة والسَّلام رسل من عند الله حقًّا .

لكن في الإيمان المتضمن للإتباع هذا يكون لمن بعد الرَّسول ﷺ خاص بالرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ، لأنه ﷺ هو المتبع لأن شريعته نَسَخَت ما سِوَاها من الشَّرائع وبهذا نعلم أن الإيمان يكون للجميع كلّهم نؤمن بهم وأنهم رُسُل الله حقًّا وأن شَرِيعَتَه التي جاء بها حق وأمَّا بعد أن بعث الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام فإن جميع الأديان السَّابقة نُسِخَتْ بشريعته ﷺ وصار الواجب على جميع النَّاس أن يَنْصُروا مُحَمَّدًا ﷺ وَحْدَه ولقد نَسخ الله تعالى بحكمته جميع الأديان سوى دين الرَّسول ﷺ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إنّى رَسُولُ الله إلَيْكُم جَميعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّموَات والأرضِ لا إلهَ إلَّا هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فآمنُوا باللهِ وَرَسُوله النَّبى الأمِّى الَّذِي يُؤْمِنُ باللهِ وكَلِمَاتِهِ واتَّبِعُوه لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ** ﴾ .(٣) . فكانت الأديان سوى دين الرسول عليه الصلاة والسلام كلها منسوخة لكن الإيمان بالرسل وأنهم حق هذا أمْر لابُدَّ منْهُ .

---

(١) البقرة : ٢٨٥

(٢) البقرة : ٢٨٥

(٣) الأعراف : ١٥٨

٣٣٢ سئل الشيخ : مـن أَوَّل الرُّسُلِ ؟

فأجاب بقوله : أول الرُّسُلِ عليهم الصلاة والسلام نوح عليه الصلاة والسلام ، وأخرهم محمد ﷺ ، وأما قبل نوح فلم يُبْعَثْ رسول ، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** ﴾⁽¹⁾ وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة « إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ » فلا رسول قبل نوح ، ولا رسول بعد محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾⁽²⁾ وأما نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان فإنه لا ينزل على أنه رسول مجدد ، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد ﷺ ؛ لأنه الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ كما قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُم إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾⁽³⁾ وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد ﷺ كما صح ذلك عن ابن عباس وغيره .

---

(١) النساء : ١٦٣ .

(٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) آل عمران : ٨١ .

٣٣٣ سئل هل آدمُ عليه الصلاة والسلام رسول أو نبي ؟

فأجاب بقوله : آدم ليس برسول ولكنه نبي ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ سُئِلَ عَنْ آدمَ أَنَبِيّ هُوَ ؟ قَالَ : « نَعَم نَبِيّ مُكَلَّم » ولكنه ليس برسول والدليل قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّين مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين ﴾(١) وقوله ﷺ في حديث الشفاعة إِنَّ النَّاسَ يَذْهَبُون إِلَى نُوحٍ فيقُولُون « أَنتَ أَوَّل رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ » وهذا نص صريح بأن نوحًا أول الرسل .

٣٣٤ وسئل فضيلته : عن عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ؟

فأجاب : عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه أحد الرسل الكرام ، بل أحد الخمسة الذين هم أُولُوا العَزْم وهم محمد ﷺ ، وإبراهيم ، ونوح ، وموسى ، وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام . ذكرهم اللَّه في موضعينِ من كتابه في سورة الأحزاب ﴿ وإِذْ أَخذْنا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثاقَهم ومِنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعِيسَى

---

(١) البقرة : ٢١٣ .

ابْنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾⁽¹⁾ وفي سورة الشُّورَى **﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وَصَّى به نُوحًا والَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ومَا وَصَّيْنَا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾**⁽²⁾ **وأن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر من بني آدم ، مخلوق من أم بلا أب ، وأنه عَبْدُ اللَّه ورسوله فهو عَبْدٌ لا يُعْبَدُ ، ورسولٌ لا يُكَذِبُ** ، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء ، بل هو كما قال اللَّه تعالى **﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه وجَعَلْنَاه مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾**⁽³⁾ وأنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين مِن دُون اللَّه ، وإنما قال لهم ما أمره اللَّه به **﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكم ﴾**⁽⁴⁾ وأنه عليه السلام خُلِق بكلمة اللَّه عز وجل كما قال اللَّه تعالى **﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قال له كُن فَيَكُونُ ﴾**⁽⁵⁾ وأنه ليس بينه وبين محمدﷺ رسول كما قال اللَّه تعالى : **﴿ وإِذْ قال عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بالبَيِّنَاتِ قَالُوا هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾**⁽⁶⁾ ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عَبْدُ الله ورُسوله ، وأنه مُبَرَّأٌ ، ومُنَزَّهٌ عما وصفه به اليهود الذين قالوا : « إنه ابن بَغِيّ ، وإنه نشأ من الزنا » – والعياذ بالله – وقد بَرَّأه اللَّه تعالى من ذلك ، كما أنهم – أي المسلمين – يتبرؤن من طريق النصارى الذين ضلوا في فهم الحقيقة بالنسبة لعيسى ابن مريم حيث

---

(1) الأحزاب . ٧ .
(2) الشورى . ١٣ .
(3) الزخرف . ٥٩ .
(4) المائدة : ١١٧ .
(5) آل عمران : ٥٩ .
(6) الصف : ٦ .

اتخذوه وأمه إلهين من دون اللّه ، وقال بعضهم : إنه ابن اللّه ، وقال بعضهم : إنه ثالث ثلاثة .

أما فيما يتعلق بقتْله وصَلْبه ، فالله سبحانه وتعالى قد نَفى أن يكون قد قُتل أو صُلب نفيًا صريحًا قاطعًا فقال عز وجل ﴿ **وَمَا قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولكن شُبِّهَ لهم وإنَّ الذين اخْتَلَفُوا فِيه لَفِي شَكٍ مِّنْه مالَهُم بِه مِنْ عِلْمٍ إلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوه يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إلَيْه وكان اللّه عَزِيزًا حَكِيما . وإن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِه قَبْلَ مَوْتِه ويَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِم شَهِيدًا** ﴾⁽¹⁾ فمن اعتقد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قُتل وصُلب فقد كذّب القرآنَ ، ومن كذّب القرآن فقد كفر فنحن نؤمن بأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يُقتل ولم يُصلب ولكننا نقول : إن اليهود بآءو بإثْم القَتْل والصلب ، حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه ، وهم لم يقتلوه حقيقة ، بل قتلوا مَنْ شُبِّه لهم حيث أَلقى اللّه شبهه على واحد منهم فقتلوه وصلبوه ، وقالوا : إننا قتلنا السميح عيسى ابن مريم رسول اللّه ، فاليهود بآءو بإثم القتل والصلب بإقرارهم على أنفسهم ، والسميح عيسى ابن مريم بَرّأه اللّه من ذلك وحفظه ورفعه سبحانه وتعالى عنده إلى السماء ، وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض فيحكم بشريعة النبي ﷺ ثم يموت في الأرض ويُدفن فيها ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقول اللّه تعالى ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وفِيها نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾⁽²⁾ وقوله : ﴿ **فِيها تَحْيَونَ وفِيها تَمُوتُونَ ومِنْها تُخْرَجُون** ﴾⁽³⁾ .

---

(١) النساء : ١٥٧ -١٥٩ .

(٢) طه : ٥٥ .

(٣) الأعراف : ٢٥ .

القرآن الكـريم ، والكتب السـابقة

٣٣٥ سُئل الشيخ : عن عقيدة السَّلف في القرآن الكريم ؟

فأجاب قائلًا : عقيدة السَّلف في القرآن الكريم كعقيدتهم في سائر أسماء اللَّه وصفاته ، وهي عقيدة مبنية على مادل عليه كتاب اللَّه وسنة رسولهﷺ ، وكلنا يعلم أن اللَّه سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم بأنه كلامه ، وأنه منزل من عنده قال تعالى **﴿ وإنْ أحَدٌ مِّنَ المشْرِكِينَ استَجَارَك فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾**(١) والمراد بلا ريب بكلام اللَّه هنا القرآن الكريم وقال تعالى : **﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِك ﴾**(٢) وقال عز وجل : **﴿ إنَّ هذا القُرْآنَ يَقُصُّ على بَنِي إسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الذي هُمْ فِيه يَخْتَلِفُون ﴾**(٣) فالقرآن كلام اللَّه تعالى لفظًا ومعنى ، تكلّم اللَّه به حقيقة والقاه إلى جبريل الأمين ، ثم نزل به جبريل على قلب النبيﷺ ليكون من المُنذِرين بلسان عربي مبين .

---

(١) التوبة : ٦ .

(٢) النحل : ١٠٢ .

(٣) النمل : ٨٦ .

ويعتقد السلف أن القرآن منزل نزله الله عز وجل على محمد ﷺ مُنَجَّمًا – أي مُفَرَّقًا – في ثلاث وعشرين سنة حسب ما تقتضيه حكمة الله عز وجل ، ثم إن النزول يكون ابتدائيًا ويكون سببيًا بمعنى أن بعضه ينزل لسبب معين اقتضى نزوله ، وبعضه ينزل بغير سبب وبعضه ينزل في حكاية حال مضت للنبي ﷺ وأصحابه ، وبعضه ينزل في أحكام شرعية ابتدائية على حسب ما ذكره أهل العلم في هذا الباب .

ثم إن السلف يقولون إن القرآن من عند الله ابتداءً وإليه يعود في آخر الزمان هذا قول السلف في القرآن الكريم .

ولا يخفى علينا أن الله تعالى وصف القرآن الكريم بأوصاف عظيمة وصفه بأنه حكيم ، وبأنه كريم ، وبأنه عظيم ، وبأنه مَجيد ، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها كلامه تكون لمن تمسّك بهذا الكتاب وعمل به ظاهرًا وباطنًا فإن الله تعالى يجعل له من المَجْد ، والعَظَمة ، والحِكْمة ، والعِزَّة ، والسلطان ، مالا يكون لمن لم يتمسك بكتاب الله عز وجل ولهذا أدعو من هذا المنبر جميع المسلمين حكامًا ومحكومين ، علماء وعامة ، إلى التمسك بكتاب الله عز وجل ظاهرًا وباطنًا حتى تكون لهم العزة ، والسعادة ، والمجد ، والظهور في مشارق الأرض ومغاربها ، وأسأل الله تعالى أن يعيننا على تحقيق ذلك .

٣٣٦ أقرأ القرآن قراءة ضعيفة غير صحيحة في أحكام التلاوة فهل هذا حرام أم أوجر عليه ؟

إقرأ القرآن وأقم كلماته ما استطعت .

٣٣٧ يقول السَّائل ما حكم قِراءة القرآن الكريم وهو بيده من غير طهارة ؟

قراءة القرآن حِفْظًا عن ظَهْر قَلْبٍ ولو كان عليه حَدَث أصغر لا بَأْسَ به لأنَّه ليس من شرْط جواز القِراءة أنْ يكون الإنسان على طَهَارة وأمَّا إذا كان عليه جنابة فإنَّه لا يقرأ القرآن ولو عن ظَهْر قَلْب حتى يَغْتَسل ولكن لا بَأس أنْ يقرأ ذِكْرًا من القرآن مثل أنْ يقول ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أوْ يُصَاب بِمُصيبة فيقول ﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أو نحو ذلك من الأذكار المأخوذة من القُرآن .

٣٣٨ هل هناك دليل من السنة على أن يكبر الإنسان بين السورتين ؟

ليس هناك دليل من السنة على مَشْروعية التَّكبير بين السورتين ، إلا أن بعض القراء استحب أن يكبر بين السورتين من سورة الضحى إلى آخر القرآن ، فقال : إذا قلت : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾⁽¹⁾ فقل : (الله أكبر) ، وإذا قلت : ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾⁽²⁾ . فقل : (الله أكبر) وهكذا إلى آخر القرآن .

---

(١) الضحى : ١١

(٢) الشرح : ٨

والصحيح أن هذا ليس بِسُنَّة لا بعد الضُّحى إلى آخر القرآن ، ولا ما قبل ذلك .

٣٣٩ ــــــــ سئل أعلى درجته في الصديقين : هل تجوز كتابة بعض آيات القرآن الكريم « مثل آية الكرسي » على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها ؟

الجواب : **أولًا** يجب أن نعلم أن كتاب الله عز وجل أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد ، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز وجل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه ويمتهن ويرمى في البيت ويلعب به الصبيان ؟ ! **هذا العمل لا شك أنه حرام** وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها ، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها ، وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها فإن هذا لا يجوز ، حتى وإن قصد بذلك الاستشفاء فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح رضي الله عنهم .

٣٤٠ سئل الشيخ : هل يجوز للمسلم أن يقتني الإنجيل ليعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام ؟

الجواب : لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن من إنجيل أو توراة أو غيرهما لسببين :

السبب الأول : أن كل ما كان نافعًا فيها فقد بَيَّنَهُ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم .

السبب الثاني : أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾(٢) فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن .

أما قول السائل أنه يريد أن يعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى ، فإن النافع منه لنا قد قصه الله في القرآن فلا حاجة للبحث في غيره ، وأيضًا فالإنجيل الموجود الآن مُحَرَّف ، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل يخالف بعضها بعضًا وليست إنجيلًا واحدًا ، وإذن فلا يعتمد عليه .

---

(١) آل عمران : ٣ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل فلا مانع من معرفته لها لرد ما فيها من الباطل وإقامة الحجة على معتنقيها .

٣٤١ ـــــــــ سمعت أن جبريل عليه السَّلام كان يُسمع القرآن الكريم للنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ليتأكَّد من حفظِه له فهل كان ذاك صحيحًا ؟

نعم كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي تلاه على النبي ﷺ ثم إذا انتهى منه تلاه عليه النبى عليه الصَّلاة والسَّلام حتى يَتيقَّن من صحَّته وعلى هذا يدل قوله تعالى : **﴿ لا تُحَرِّك بِهِ لسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنه فإذا قرأناهُ فَاتبع قُرْآنَهُ ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيَانَهُ ﴾**(١) . وكان جبريل عليه السلام يُدَارس النَّبي عليه السَّلام القُرآن في كل مرة في رمضان . إلا في العام الذي تُوفي فيه فإنّه كان يُدارسه مرتين . كل ذلك من أجل التيقن والتّثبت من حفظ القُرآن العظيم ، والله سبحانه وتعالى حين أنْزله على محمد ﷺ قد تكفَّل بحفظه ، كما قال تعالى : **﴿ إنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لَحَافِظُون ﴾**(٢) .

---

(١) القيامة : ١٦ - ١٩

(٢) الحجر : ٩

ما يتعلق بالنبي ﷺ

٣٤٢ ما رأيكم في وصف النبي ﷺ بحبيب الله ؟

النبي ﷺ حبيب الله لا شك ، فهو حابٌّ لله ومحبوب لله ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل لله فالرسول عليه الصلاة والسلام خليل الله كما قال ﷺ : « إنّ اللهَ اتخذني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلا » ولهذا مَنْ وصفه بالمحبة فقط فإنه نزّله عن مرتبته ، فالخُلَّةُ أعظم من المحبة وأعلى ، فكل المؤمنين أحباء لله ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في مقام أعلى من ذلك ، وهي الخلة ، فقد اتخذه الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، لذلك نقول : إنَّ محمدا رسول الله ﷺ خليل الله ، وهذا أعلى من قولنا : حبيب الله ، لأنه متضمن للمحبة وزيادة ، لأنه غاية المحبة .

٣٤٣ ما حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ ؟

شَدُّ الرِّحال إلى زيارة القبور أيًا كانت هذه القبور لا يجوز ، لأن النبي ﷺ يقول : « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد : المسجدُ

الحرامُ ، ومَسْجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . والمقصود بهذا أنه لا تشد الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشد ، لأن الأمكنة التي تخصص بشد الرحال هي المساجد الثلاثة فقط ، وما عداها من الأمكنة لا تشد إليه الرحال ، فقبر النبي ﷺ لا تشد الرحال إليه وإنما تشد الرحال إلى مسجده ، فإذا وصل المسجد فإن الرجال يسن لهم زيارة قبر النبي ﷺ وأما النساء فلا يسن لهن زيارة قبر النبي ﷺ . والله الموفق .

٣٤٤ **يقول عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدُنا . فقال : « السيدُ اللهُ تبارك وتعالى » . رواه أبو داود . فكيف نجمع بين هذا وبين ما جاء في التشهد « اللهمّ صَلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدِنا محمّدٍ » . فبعض الناس ينكر هذا . أفتونا مأجورين ؟**

لا يرتاب عاقل أن محمدا ﷺ سيد ولد آدم ، فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك . والسيد هو ذو الشرف والطاعة والإمْرة . وطاعة النبي ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَن يُطعِ الرَّسُول فقَدْ أطَاعَ

الله ﷻ(١) ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا ﷺ سيدنا وخيرنا وأفضلنا عند الله سبحانه وتعالى ، وأنه المطاع فيما يأمر به صلوات الله وسلامه عليه . ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع عليه الصلاة والسلام أن لا نتجاوز ما شَرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ، ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد أن نقول : « اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنك حميد مجيد » . أو نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه ﷺ . ولا أعلم أن صفة وردت بالصيغة التي ذكرها السائل وهو اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد . وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي عليه الصلاة والسلام فإن الأفضل ألا نصلي على النبي ﷺ بها وإنما نصلي عليه بالصيغة التي عَلّمنا إياها . وبهذه المناسبة أَوَدُّ أَنْ أنبه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمدا ﷺ سيدنا ، فإن مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه وأن لا ينقص عنه ، فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه ولا ينقص من دين الله ما هو منه ، فإن هذا هو حقيقة السيادة التي هي من حق النبي ﷺ علينا وعلى هذا فإن أولئكم المبتدعين لأذكار أو صلوات على النبي ﷺ لم يأت بها شرع الله على لسان رسوله محمد ﷺ تنافي دعوى أن هذا الذي ابتدع يعتقد أن محمداً ﷺ سيد لأن مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع الله وأن لا ينقص منه فليتأمل الإنسان وليتدبر ما يعنيه بقوله حتى يتضح له الأمر ويعرف أنه تابع لا مشرع . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » .

---

(١) النساء ٨٠ .

والجمع بينه وبين قوله : (السيد الله) . أن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله وحده ، فإنه تعالى هو الذي له الأمر كله فهو الآمر وغيره مأمور ، وهو الحاكم وغيره محكوم ، وأما غيره فسيادته نسبية إضافية تكون في شيء محدود ؛ وفي زمن محدود ؛ ومكان محدود ؛ وعلى قوم دون قوم ؛ أو نوع من الخلائق دون نوع .

٣٤٥ ما صحة هذه العبارة « اجعل بينك وبين الله صِلَة ، واجعل بينك وبين الرسول ﷺ صِلَة » ؟

الذي يقول : اجعل بينك وبين الله صلة – أي بالتعبد له – واجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلة – أي باتّباعه – فهذا حق ، أما إذا أراد بقوله : اجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلة ؛ أي اجعله هو ملجأك عند الشدائد ومستغاثك عند الكربات فإن هذا محرم بل هو شرك أكبر مخرج عن الملة .

٣٤٦ سئل فضيلة الشيخ : لماذا وَجَّه اللَّهُ الخطاب إلى الرسول ﷺ في قوله ﴿ ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مالا يَنفعُكَ ولاَ يَضُرُّكَ ﴾(١) مع أن النبى ﷺ معصوم من الشِّرْك ؟

فأجاب بقوله : الخطاب هنا للرسول ﷺ في ظاهر سياق الآية .

وقال بعض العلماء : – لايصح أن يكون للرسول ﷺ ؛ لأن الرسول ﷺ يستحيل أن يقع منه ذلك والآية على تقدير « قل » وهذا ضعيف لإخراج الآية عن سياقها .

والصواب : – أنه إما خاص بالرسول ﷺ والحكم له ولغيره ، وإما عام لكل مَنْ يصح خطابه ويدخل فيه الرسول ﷺ ، وكونه يُوَجَّه إليه مِثْلُ هذا الخطاب لا يقتضي أن يكون ذلك ممكنًا منه قال تعالى : **﴿ ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾**(٢) فالخطاب له ولجميع الرسل ولا يمكن أن يقع ، فلا يمكن أن يقع منه ﷺ باعتبار حاله شركٌ أبدا ، **والحكمة من النهي** أن يكون غيره متأسيًا به ، فإذا كان النهي مُوَجَّهًا إلى مَنْ لا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن منه من باب أولى .

---

(١) يونس : ١٠٦ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

٣٤٧ ـــــ سُئل الشيخ : عَمَّنْ قال : إنّ تَزَوَّجَ النبيِّ ﷺ كان لِغَرَضَيْنِ : أحدُهما : مصلحة الدَّعْوَة ، والثاني : التمشي مع ما فَطَرَه الله عليه من التمتع بما أَحَلَّ الله له ؟

فأجاب بقوله : من المعلوم أن النبي ﷺ بَشَر أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة إلى الناس كافة ، وأن اتصافه بما تقتضيه الطبيعة البشرية من الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم والبول والغائط ومدافعة البرد والحر والعدو ومن التمتع بالنكاح وأطايب المأكول والمشروب وغيرها من مقتضيات الطبيعة البشرية لا يقدح في نبوته ورسالته ، بل قد قال الله له : ﴿ **قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴾(1) . وقال هو عن نفسه « إِنَّمَا أَنَا بَشَر مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ » . وانتفاء علم الغيب وطُرُوّ النسيان على العلم قصور في مرتبة العلم من حيث هو علم ، لكن لما كان من طبيعة البشر الذي خلقه الله ضعيفًا في جميع أموره ، لم يكن ذلك قصورًا في مقام النبوة ، ونقصًا في حق النبي ﷺ .

ولا ريب ان شهوة النكاح من طبيعة الإنسان فكمالها فيه من كمال طبيعته ، وقوتها فيه تدل على سلامة البنية واستقامة الطبيعة ، ولهذا ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه

قال ، كنا نتحدث أن يعني النبي ، ﷺ ، أُعْطِيَ قوةَ ثلاثين ، يعني على النساء ، وهذا والله أعلم ، ليتمكن من إدراك ما أحل الله منهن بلا حصر ولا مهر ، ولا ولي ، فيقوم بحقوقهن ، ويحصل بكثرتهن ما حصل من المصالح العظيمة الخاصة بهن والعامة للأمة جميعًا ، ولولا هذه القوة التي أمدّه الله بها ما كان يدرك أن يتزوّج بكلّ هذا العدد ، أو يقوم بحقهن من الإحصان والعشرة .

ولو فُرِضَ أن النبي ﷺ تزوج امرأة لمجرد قضاء الوَطَر من الشهوة والتمشي مع ما تقتضيه الفِطْرة بل الطبيعة لم يكن في ذلك قصور في مقام النبوة ، ولا نقص في حقه ، ﷺ كيف وقد قال ﷺ : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لمالِها ، وحَسَبِها ، وجَمَالِها ، ودِينِهَا ، فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّين » . بل قد قال الله له : ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** ﴾(١) . لكننا لا نعلم حتى الآن أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة لمجرد قضاء الوَطَر من الشهوة ، ولو كان كذلك لاختار الأبكار الباهرات جمالًا ، الشابات سِنًّا ، كما قال لجابر – رضي الله عنه – حين أخبره أن تزوج ثيِّبًا ، قال : فهَلَّا بِكْرًا تُلاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ » ؟ وفي رواية « وتُضَاحِكُهَا وتُضَاحِكُكَ » . وفي رواية« مالك ولِلْعَذَارَى ولِعَابِهَا » ، رواه البخاري ، وإنّما كان زواجه ، ﷺ إما تأليفًا أو تشريفًا أو جبرًا أو مكافأة أو غير ذلك من المقاصد العظيمة . وقد أجملها في فتح الباري ص١١٥ ج٩ المطبعة السلفية حيث

---

(١) الأحزاب : ٥٢ .

قال : « والذي تحصّل مِنْ كَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه :

أحدها : أن يَكْثُر مَنْ يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يَظُنُّ به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك .

ثانيها : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم .

ثالثها : الزيادة في تألّفهم لذلك .

رابعها : الزيادة في التكليف حيث كُلّف أن لا يشغله ما حُبِّبَ إليه منهن عن المبالغة في التبليغ .

خامسها : لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه .

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التي لا يطّلع عليها الرّجال ، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله .

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة . فقد تزوج أمّ حبيبة وأبوها يعاديه ، وصفية بعد مقتل أبيها وعمها وزوجها ، فلو لم يكن أكمل الخلق في خُلُقه لنفرن منه ، بل الذي وقع أنه كان أحبّ إليهن من جميع أهلهن .

ثامنها : ما تقدم مبسوطًا من خَرْق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال . وقد أمر من لم يقدر

على مؤن النّكاح بالصوم ، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته ، فانخرقت هذه العادة في حقّه ﷺ .

تاسعها وعاشرها : ما تقدم عن صاحب الشِّفَاء من تحصينهن والقيام بحقوقهن . أ . هـ .

قلت : الثامنة حاصلة لأن الله أعطاه قوة ثلاثين رجلًا كما سبق .

وثَمّ وجه حادي عشر : وهو إظهار كمال عدله في معاملتهن لتتأسى به الأمة في ذلك .

وثاني عشر : كثرة انتشار الشريعة فإنّ انتشارها من عدد أكثر من انتشارها من واحدة .

وثالث عشر : جَبْر قلب من فات شرفها كما في صفية بنت حُيَيّ ، وجُوَيْرِيَة بنت الحارِث سيد بني المُصْطَلِق .

ورابع عشر : تقرير الحكم الشرعي وانتشال العقيدة الفاسدة التي رسخت في قلوب الناس من منع التزوج بزوجة ابن التبني ، كما في قصة زينب فإن اقتناع الناس بالفعل أبلغ من اقتناعهم بالقول ، وانظر اقتناع الناس بحَلْقِ النبيّ ﷺ رَأْسَه في الحُدَيْبِيَة ، ومبادرتُهم بذلك حين حَلَق بعد أنْ تباطؤا في الحَلْق مع أمره لهم به .

وخامس عشر : التأليف وتقوية الصلة كما في أَمْر عائشة وحَفْصَة ، فإن النبي ﷺ شد صلته بخلفائه الأربعة عن طريق المصاهرة ، مع ما لبعضهم من القرابة الخاصة ، فتزوج ابنتي أبي بكر وعمر ، ووزَوّج بناته

الثلاث بعثمان وعليّ – رضي الله عن الجميع – . فسبحان من وهب نبيه ﷺ هذه الحِكَم ، وامدّه بما يحققها قدرًا وشرعًا ، فأعطاه قوة الثلاثين رجلًا ، واحلّ له ما شاء من النساء ، يرجي من يشاء منهن ، ويؤوي إليه من يشاء ، وهو سبحانه الحكيم العليم .

وأما عدم تزوجه بالواهبة نَفْسَها ، فلا يدل على أنه تزوج من سواها لمجرد الشهوة ، وقضاء وَطَر النكاح .

وأما ابنة الجَوْن فلم يَعْدِل عن تزوجها بل دخل عليها وخلا بها ، ولكنها استعاذت بالله منه ، فتركها النبي ﷺ وقال : « لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ ، فالْحَقِي بأَهْلِك » . ولكن هل تزوجها النبي ﷺ لمجرد جمالها وقضاء وَطَر النكاح أو لأمر آخر ؟ إن كان لأمر آخر سقط الاستدلال به على أن النبي ﷺ كان يتزوج لمجرد قضاء الوطر ، وإن كان لأجل قضاء الوطر فإن من حكمة الله تعالى أن حال بينه وبين هذه المرأة بسبب استعاذتها منه .

وأما سَوْدةَ – رضي الله عنها – فقد خافت أن يطلقها النبي ﷺ لكبر سنها فوهبت يومها لعائشة ، وخوفها منه لا يلزم من أن يكون قد هَمَّ به . وأما ما رُوي أنه طلّقها بالفعل فضعيف لإرساله .

وأما زواجه ﷺ بزينب ليس لجمالها بل هو لإزالة عقيدة سائدة بين العرب ، وهي امتناع الرجل من تزوج مفارقة من تبناه ، فأبطل الله التبني وأبطل الأحكام المترتبة عليه عند العرب ، ولما كانت تلك العقيدة السائدة راسخةً في نفوس العرب كان تأثير القول في اقتلاعها بطيئًا ،

وتأثير الفعل فيها أسرع فقيّض الله سبحانه بحكمته البالغة أن يقع ذلك من النبي ﷺ في تزوجه بمفارقة مولاه زيد بن حارثة الذي كان تبناه من قبل ليطمئن المسلمون إلى ذلك الحكم الإلهي ، ولا يكون في قلوبهم حَرَج منه ، وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحِكْمة بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ﴾(١) .

ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ زوجناكها ﴾ . فإنه يشعر بأن تزويجها إياه لم يكن عن طلب منه ، أو تشوّف إليه ، وإنما هو قضاء من الله لتقرير الحكم الشرعي وترسيخه ، وعدم الحرج منه ، وبهذا يعرف بطلان ما يروى أن النبي ﷺ أتى زيدًا ذات يوم لحاجة فرأى زينب فوقعت في نفسه وأعجبه حُسْنُها فقال : « سُبْحَانَ اللهِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبَ » . فأَخْبَرتْ زينبُ زيدًا بذلك ففطن له فكرهها وطلّقها بعد مراجعة النبي ﷺ وقوله : أمسك عليك زوجك ، واتق الله . فهذا الأثر باطل مناقض لما ذكر الله تعالى من الحكمة في تزويجها إياه ، وقد أعرض عنه ابن كثير – يرحمه الله – فلم يذكره ، وقال : أحببنا أن نضرب عنها أي عن الآثار الواردة عن بعض السلف صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها ، ويدل على بطلان هذا الأثر أنه لا يليق بحال الأنبياء فضلًا عن أفضلهم وأتقاهم لله – عز وجل – وما أشبه هذه القصة بتلفيق قصة داود عليه الصلاة والسلام ، وتحيّله على التزوج بزوجة من ليس له إلا زوجة واحدة ، على ما ذُكر في بعض كتب التفسير عند قوله تعالى : ﴿ وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

الْخَصْمِ ﴾⁽¹⁾ . إلى آخر القصة فإن من عَلِم قَدْرَ الأنبياء وبعدهم عن الظلم والعدوان والمكر والخديعة ، علم أن هذه القصة مكذوبة على نبي الله داود عليهِ الصلاة والسلام .

والحاصل أنه وإن للنبي ﷺ أن يتزوج لمجرد قضاء الوَطَر من النكاح وجمال المرأة وأن ذلك لا يقدح في مقامه فإننا لا نعلم أن النبي ﷺ تزوج زواجًا استقرت به الزوجة وبقيت معه من أجلَ هذا الغرض . والله أعلم .

---

(١) ص : ٢١ .

البدع

٣٤٨ وسئل حفظه الله : ما هي البِدَع ؟

البِدْعة قال فيها رسول الله ﷺ « إياكم ومحدثاتِ الأمور ، فإنَّ كلّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ، وكُلَّ ضَلاَلَة في النَّار » . وإذا كان كذلك فإن البدع سواء كانت ابتدائية أم استمرارية يأثم مَنْ تَلَبَّس بها ؛ لأنها كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام « في النار » أعْني أن الضلالة هذه تكون سبباً للتعذيب في النار ، وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام حذّر أمته من البدع ، فمقتضى ذلك أنها مفسدة مَحضَة لأن الرسول ﷺ عمّم ولم يخصص قال « كل بدعة ضلالة » .

ثم إن البدع في الحقيقة هي انتقاد غير مباشر للشريعة الإسلامية لأن معناها أو مقتضاها أن الشريعة لم تتمّ وأنّ هذا المبتدع أتّمها بما أحدث من العبادة التي يتقرب بها إلى الله كما زعم .

فعليه نقول : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، والواجب الحذر من البدع كلها وألا يتعبد الإنسان إلا بما شرعه الله ورسوله ﷺ ليكون

إمامه حقيقة لأن من سلك سبيل بدعة فقد جعل المبتدع إماما له في هذه البدعة دون رسول الله ﷺ . والله ولي التوفيق .

ـــــــــــ ٣٤٩ ما معنى البِدعة وما ضابطها ؟ وهل هناك بِدعَة حَسَنة ؟ وما معنى قولِ النبيِّ ﷺ « مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنة » وجزاكم الله عنا خيراً .

البدعة شرعا ضابطها التعبد لله بما لم يُشَرِّعْه الله ، وإنْ شئْتَ فقل : التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبيُّ ﷺ ولا خُلفاؤه الراشدون . فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **أم لهم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهم مِنَ الدِّينِ ما لم يَأْذَن به اللهُ** ﴾(١) ، والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثاتِ الأمور » فكل من تعبد لله بشيء لم يشرِّعْه الله أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه . أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعُرْف فهذه لا تُسمى بدعة في الدِّين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة ، ولكن ليست بدعة في الدين ، وليست هي التي حذّر منها رسول الله ﷺ وليس في الدين بدعة حسنة أبدا ، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع ، وهذه تشمل : أن يبدأ الإنسان بالسنة

---

(١) الشورى ٢١ .

أي يبدأ العمل بها أو يتبعها بعد تركها ، أو يفعل شيئا يسنه يكون وسيلة لأمر متعّبد به . فهذه ثلاثة أشياء :

الأول : إطلاق السّنة على من ابتدأ العمل وهذا سبب الحديث فإن النبي ﷺ حثّ على التصدّق على القوم الذين قدموا عليه ﷺ وهم في حال صعبة جدًّا ، فحثّ على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حِجْر النبي عليه الصلاة والسلام فقال النبي ﷺ « مَنْ سَنّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فله أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها » . فهذا الرجل سَنّ سُنّة ابتداء عمل ، لا ابتداء شَرْع .

والثاني : السّنة التي تُركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يُقال عنه سَنَّها بمعنى أحياها وإن كان لم يُشرِّعْها من عنده .

والثالث : أن يفعل شيئا وسيلةً لأمر مشروع ، مثل بناء المدارس وطَبع الكتب ، فهذا لا يتعبد لله بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

ـــــــ ٣٥٠ كيف يتعامل الإنسان الملتزم بالسنّة مع صاحب البِدعة ؟ وهل يجوز هَجْرُه ؟

أقول : إنّ البِدَع تنقسم إلى قسمين : بدع مُكَفِّرة ، وبدع دون ذلك ، وفي كلا القسمين يجب علينا نحن أن ندعوا هؤلاء الذين ينتسبون

إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحقّ ببيان الحقّ ، دون أن نهاجم ما هم عليه إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قَبول الحقّ لأن الله تعالى قال للنبيّ ﷺ : ﴿ **ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغيْرِ عِلْم** ﴾(١) فندعوا أولاً هؤلاء إلى الحق ببيان الحقّ وإيضاحه بأدلته ، والحقّ مقبول لدى كلّ ذي فِطْرة سليمة ، فإذا وُجد العِناد والاستكبار فإننا نبيّن باطلهم على أن بيانَ باطلهم في غير مجادلتهم أمر واجب .

أما هَجْرُهم فهذا يترتب على البدعة ، فإذا كانت البدعة مكفِّرة وجب هجره ، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره إن كان في هجره مصلحة فعلناه ، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه ، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ : « لا يَحِلُّ لرَجُل مُؤْمِن أنْ يَهْجُرَ أَخاه فَوْقَ ثَلاثٍ » . فكل مؤمن وإن كان فاسقا فإنّه يَحْرُمُ هجره ما لم يكن في الهجره مصلحة ، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه لأن الهَجْر حينئذٍ دواء ، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعُتُوّ ، فإنّ ما لا مَصْلَحَةَ فيه تَرْكُه هو المصلحةُ .

فإنْ قال قائل : يردُّ على ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ هَجَرَ كَعْبَ بنَ مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة تَبُوك . فالجواب : أن هذا حصل من النبي ﷺ وأمر الصحابةَ بهَجْرهم لأنّ في هَجْرِهم فائدةً عظيمة ، فقد ازدادوا تمسكا بما هم عليه حتى أن كعب بن مالك رضي الله عنه جاءه

---

(١) الأنعام ١٠٨ .

كتاب من ملك غسّان يقول فيه بأنه سمع أن صاحبك – يعني الرسول ﷺ – قد جفاك وأنك لست بدار هوان ولا مَذَلّة فالْحق بنا نُوَاسِك . فقام كعب مع ما هو عليه من الضيق والشدة وأخذ الكتاب وذهب به وأحرقه في التَّنُّور . فهؤلاء حصل في هَجرهم مصلحة عظيمة ثم النتيجة التي لا يعادلها نتيجة أن الله أنزل فيهم قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة قال تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ على النبيِّ والمهاجرين والأنصارِ الذين اتَّبعُوهُ في ساعة العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كَادَ يَزيغُ قلوبُ فَرِيقٍ منهم ثُمَّ تَابَ عليهم إنَّهُ بهم رَؤُفٌ رَحيمٌ . وعلى الثلاثةِ الَّذِين خُلِّفُوا حتى إذا ضَاقتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ وضَاقتْ عليهم أنْفُسُهم وظَنُّوا أن لاَّ مَلْجَأَ مِن اللهِ إلا إليه ثمّ تابَ عليهم ليتوبوا إنّ اللهَ هو التوابُ الرحيم ﴾(١) .

٣٥١ ما المراد بالوسط في الدين . نرجو من فضيلتكم بيان ذلك بيانا شافيا ؟ وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حَدّ اللهُ عزّ وجلّ ولا يَقصّر فيه فينقص عما حدّ الله سبحانه وتعالى .

الوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي ﷺ . والغلو في الدين أن يتجاوزها . والتقصير أن لا يبلغها . مثال ذلك : رجل قال أنا أريد أن

---

(١) التوبة ١١٧ ١١٨

أقوم الليل ولا انام كلَّ الدهر ، لأن الصلاة من أفضل العبادات فأحب أن أحْيي الليل كله صلاةً فنقول هذا غالي في دين الله ، وليس على حق ، وقد وقع في عهد النبي ﷺ مثل هذا ، اجتمع نفر فقال بعضهم أنا أقوم ولا أنام ، وقال الآخر أنا أصوم ولا أفطر ، وقال الثالث أنا لا أتزوج النساء ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « ما بَالُ أقوامٍ يقولون كَذَا وكَذَا ، أنا أَصُومُ وأُفْطِرُ ، وأقومُ وأنامُ ، وأتزوجُ النساء ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فلَيْسَ منّي » فهؤلاء غَلَوْ في الدين ، وتبرّأ منهم الرسول ﷺ لأنهم رغبوا عن سنته ﷺ ، التي فيها صوم وإفطار وقيام ونوم وتزوج نساء .

أما المُقَصِّر : فهو الذي يقول لا حاجة لي بالتطوع فأنا لا أتطوع وآتي بالفريضة فقط ، وربما أيضا يقصر في الفرائض فهذا مقصرّ .

والمعتدل هو الذي يتمشى على ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

مثال آخر : ثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق .

أحدهم قال : أنا لا أسلم على هذا الفاسق وأهجره وأبتعد عنه ولا أكلمه .

والثاني يقول : أنا أمشي مع هذا الفاسق وأسلّم عليه وأَبَشُّ في وجهه وأدعوه عندي وأُجيب دعوته وليس عندي إلا كرجل صالح .

والثالث يقول : هذا الفاسق أكرهه لفسْقه ، وأحبه لإيمانه ، ولا أهجره إلا حيث يكون الهَجر سبباً لإصلاحه فإن لم يكن الهجر سبباً لإصلاحه بل كان سبباً لازدياده في فسقه فأنا لا أهجره . فنقول الأول

مُفَرِّط غالي – من الغلو – والثاني مُفرِّط مقصِّر ، والثالث متوسط .

وهكذ نقول في سائر العبادات ومعاملات الخَلْق ، الناس فيها بين مقصر وغالي ومتوسط .

ومثال ثالث : رجل كان أسيرا لامراته توجّهه حيث شاءت ، لا يردها عن إثم ، ولا يحثها على فضيلة ، قد ملكت عقله وصارت هي القوّامة عليه .

ورجل آخر عنده تعسّف وتكبر وترفع على امرأته لا يبالي بها وكأنها عنده أقل من الخادم .

ورجل ثالث وسط يعاملها كما أمر الله ورسوله : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوفِ** ﴾(١) . « لا يَفرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها خُلُقًا آخَرَ » . فهذا الأخير متوسط والأول غالي في معاملة زوجته والثالث مقصر و قِسْ على هذه بقية الأعمال والعبادات .

---

(١) البقرة ٢٢٨ .

٣٥٢ ما الحُكْم الشرعي في الاحتفال بالمولد النبوي ؟

نرى أنّه لا يتم إيمان عبد حتّى يُحبّ الرسول ﷺ ويعظمه بما ينبغي أنْ يعظمه فيه ، وبما هو لآئق فى حقه ﷺ ولا ريب أنّ بعثة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ولا أقول مولده بل بعثته لأنه لم يكن رسولًا إلا حين بعث كما قال أهل العلم نُبِّئَ بإقرأ وأرسل المدثر لا ريب أنّ بعثته عليه الصّلاة والسّلام خير للإنسانية . . عامة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يأيُّها النّاسُ إنّي رسول الله إليْكُم جميعًا الّذي لَهُ مُلْكُ السّمواتِ والأرض لا إله إلّا هُو يُحْيي ويُميت فآمنُوا بالله وَرَسُولِهِ النّبِي الأمي الّذي يُؤمنُ بالله وكَلِمَاتِه واتّبعُوه لَعلّكُم تَهْتَدُون ﴾[1] . وإذا كان كذلك فإن من تعظيمه وتوقيره والتّأدب معه واتخاذه إمَامًا مَتبوعًا ألّا نتجاوز ما شرعه لنا من العبادات لأنّ رسول الله ﷺ تُوفّي ولم يَدَع لأُمّته خَيْرًا إلا دلّهم عليه وأَمَرهم بِهِ ولا شرًّا إلّا بيّنه وحذّرهم منه وعلى هذا فليس من حَقّنا ونحن نؤمن به إمَامًا متبوعًا أن نتقدم بين يديه بالاحتفال بمولده ، والاحتفال يعني الفرح والسُّرور وإظهار التعظيم وكل هذا من العبادات المقربة إلى الله ، فلا يجوزأنْ نشرع من العبادات إلا ما شرعه الله ورسوله فالاحتفال به يُعْتَبر من البِدْعة وقد قال النبي ﷺ : «كل بِدْعةٍ ضَلالَة» قال هذه الكلمة العامة ، وهو ﷺ . . أَعْلمُ النّاس بما يقول ، وأفصحُ النّاس بما ينطق ، وأنصحُ النّاس فيما يرشد إليه ، وهذا

---

(١) الأعراف : ١٥٨ .

أمر لا شك فيه ، لم يَسْتَثْنِ النبي ﷺ من البدع شيئًا لا يكون ضلالة ومعلوم أنَّ الضلالة خِلاف الهدى ، ولهذا روى النسائي آخر الحديث «وكل ضَلالةٍ في النَّار» ولو كان الاحتفال بمولده ﷺ من الأمور المحبوبة إلى الله ورسوله لكانت مَشْروعة ، ولو كانت مشروعة لكانت محفوظة ، لأن الله تعالى تَكفَّل بحفظ شريعته ، ولو كانت محفوظة ما تركها الخلفاء الرَّاشدون والصَّحابة والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم ، فلما لم يفعلوا شيئًا من ذلك علم أنه ليس من دين الله ، والذي أنصَح به إخواننا المسلمين عامَّة أن يتَجَنَّبوا مثل هذه الأمور التي لم يتبين لهم مَشْروعيتها لا في كتاب الله ، ولا فى سُنَّة رسوله ﷺ ، ولا في عمل الصَّحابة رضي الله عنهم ، وأنْ يَعْتنوا بما هو بيّن ظاهر من الشريعة ، ومن الفرائض والسُّنن المعلومة ، وفيها كفاية وصلاح للقلب وصلاح للفرد وصلاح للمجتمع .

وإذا تأمَّلت أحوال هؤلاء المُولعين بمثل هذه البدع وجدت أن عندهم فُتورًا في كثير من السُّنن بل في كثير من الواجبات والمفروضات ، وهذا أمر يجب أن يَفْطنوا له حتَّى يَسْتقيموا على ما ينبغي أن يكونوا عليه من المحافظة على ما ثَبَتَتْ شرعيته ، هذا بقطع النَّظر عما بهذا الاحتفالات من الغلو بالنبي ﷺ المؤدي إلى الشِّرك الأكبر المخرج عن الملة الذي كان رسول الله ﷺ نفسه يُحَارب النَّاس عليه ، ويستبيح دماءهم وأموالهم وذراريهم ، فإننا نسمع أنه يلقى في هذه الاحتفالات من القصائد ما يخرج عن الملة قطعًا كما يرددون قول البوصيري :

يا أَكْرَمَ الخَلْق ما لِي مَنْ أَلُوذ به
سِوَاكَ عِنْد حُدُوثِ الحَادثِ العَمَمِ
إن لَمْ تَكُنْ آخِذًا يَوْمَ المعَادُ يَدِي
صَفْحًا وإلَّا فقُلْ يا زَلَّة القَدِمِ
فإنَّ من جُودِك الدُّنْيا وضَرَّتِها
ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقلمِ

مثل هذه الأوصاف لا تصِحُّ إلَّا لله عزَّ وجلَّ ، وأنا أعجب لمن يتكلم بهذا الكلام إن كان يعقل معناه كيف يُسَوِّغ لنفسه أن يقول مُخَاطبًا النبيَّ عليه الصلاة والسلام : «فإن من جودك الدنيا وضرتها» ومِنْ للتَّبعيض والدُّنيا هي الدنيا وضرتها هي الآخرة ، فإذا كانت الدُّنيا والآخرة من جُود الرَّسول عليه الصلاة والسلام ، وليس كل جُوده ، فما الَّذي بقي لله عزَّ وجلَّ ، ما بقي له شيء من الممكن لا في الدُّنيا ولا في الآخرة .

وكذلك قوله : «ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والْقَلَم» ومِنْ : هذه للتبعيض ولا أدري ماذا يبقي لله تعالى من العِلْم إذا خاطبنا الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام بهذا الخطاب .

ورويدك يا أخي المُسْلم . إن كُنْت تَتَّقي الله عزَّ وجلَّ فأنزل رسول الله ﷺ منزلته التي أنْزله الله . أنه عبد الله ورسوله فقل هو عبد الله ورسوله ، واعتقد فيه ما أمره ربه أنْ يبلغه إلى الناس عامة : **﴿ قُلْ لا أقُولُ لَكُم عِنْدي خزَائنُ الله ولا أعْلَمُ الغَيْبَ وَلا أقُولُ لَكُم**

إني مَلَك إنْ أتبعُ إلَّا ما يُوحى إلي ﴾(١) ، وما أمره الله به في قوله **﴿ قُل أني لا أمـلِك لكـم ضـرًا ولا رَشـدًا ﴾** (٢) . وزيادة على ذلك **﴿ قُل إنّي لنْ يُجيرَني من الله أحَد ولنْ أجدَ مِنْ دُونه مُلتَحَدا ﴾**(٣) . حتى النبي عليه الصلاة والسلام لو أراد الله به شيئًا لا أحد يُجيره من الله سبحانه وتعالى .

فالحاصل أن هذه الأعياد أو الاحتفالات بمولد الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام لا تقتصر على مجرد كونها بدعة مُحْدثة في الدِّين بل هي يُضَاف إليها شيء من المنكرات مما يؤدي إلى الشرك .

وكذلك مما سَمِعْناه أنه يحصل فيها اختلاط بين الرِّجال والنِّساء ، ويحصل فيها تَصْفيق ودُفٌّ وغير ذلك من المُنْكرات التي لا يمتري في إنكارها مُؤْمن ، ونحن في غِنى بما شرعه الله لنا ورَسوله ففيه صَلاح القلوب والبلادِ والعبادِ .

٣٥٣ ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي ؟

أولا : ليلة مولد الرسول ﷺ ليست معلومة على الوجه القطعي ، بل إن بعضَ العصريين حَقّق أنها ليلة التاسع من ربيع الأول وليست ليلة الثاني عشر منه ، وحينئذ فجعل الاحتفال ليلة الثاني عشر منه لا أصل له من الناحية التاريخية .

---

(١) الأنعام : ٥٠ .

(٢) الجن : ٢١ .

(٣) الجن : ٢٢ .

ثانيا : ومن الناحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضا ، لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي ﷺ أو بَلّغه لأمته ، ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظا لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنّا له لَحَافِظُون** ﴾⁽¹⁾ . فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين الله ، وإذا لم يكن من دين الله فإنه لا يجوز لنا أن نتعبد به لله عز وجل ونتقرب به إليه ، فإذا كان الله تعالى قد وضع للوصول إليه طريقا معينا وهو ما جاء به الرسول ﷺ فكيف يسوغ لنا ونحن عباد أن نأتي بطريق من عند أنفسنا يوصلنا إلى الله ؟ هذا من الجناية في حق الله عز وجل أن نشرع في دينه ما ليس منه ، كما أنه يتضمن تكذيب قول الله عز وجل : ﴿ **اليومَ أَكْمَلْتُ لكم دِينَكم وأَتْمَمْتُ عليكم نعمتي** ﴾⁽²⁾ . فنقول هذا الاحتفال إنْ كان من كمال الدين فلابد أن يكون موجوداً قبل موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يكن من كمال الدين فإنه لا يمكن أن يكون من الدين لأن الله تعالى يقول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ . ومن زعم أنه من كمال الدين وقد حدث بعد الرسول ﷺ فإن قوله يتضمن تكذيب هذه الآية الكريمة ، ولا ريب أن الذين يحتفلون بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يريدون بذلك تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وإظهار محبته وتنشيط الهمم على أن يوجد منهم عاطفة في ذلك الاحتفال للنبي ﷺ وكل هذا من العبادات محبة الرسول عليه الصلاة والسلام عبادة بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحبَّ إلى الإنسان من نفسه وولده ووالده

---

(1) الحجر ٩

(2) المائدة ٣ .

والناس أجمعين ، وتعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام من العبادة ، كذلك إلهاب العواطف نحو النبي ﷺ من الدين أيضاً لما فيه من الميل إلى شريعته ، إذن فالاحتفال بمولد النبي ﷺ من أجل التقرب إلى الله وتعظيم رسوله ﷺ عبادة وإذا كان عبادة. فإنه لا يجوز أبدا أن يحدث في دين الله ما ليس منه . فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم ، ثم إننا نسمع أنه يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات العظيمة ما لا يقره شرع ولا حس ولا عقل ، فهم يتغنون بالقصائد التي فيها الغلو في الرسول عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه أكبر من الله والعياذ بالله ، ومن ذلك أيضا أننا نسمع من سفاهة بعض المحتفلين أنه إذا تلى التالي قصة المولد ثم وصل إلى قوله ولد المصطفى قاموا جميعا قيام رجل واحد يقولون إن روح الرسول ﷺ حضرت فنقوم إجلالا لها ، وهذا سَفَه ، ثم إنه ليس من الأدب أن يقوموا لأن الرسول ﷺ كان يكره القيام له فأصحابه وهم أشد الناس حبا له وأشد منا تعظيما للرسول ﷺ لا يقومون له لما يرون من كراهيته لذلك وهو حي ، فكيف بهذه الخيالات ؟ !

وهذه البدعة – أعني بدعة المولد – حصلت بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة وحصل فيها مايصحبها من هذه الأمور المنكرة التي تخل بأصل الدين فضلا عما يحصل فيها من الاختلاط بين الرجال والنساء وغير ذلك من المنكرات .

٣٥٤ ما الفَرْق بين ما يسمى بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهَّابِ رحمه الله ، والاحتفال بالمولد النبوي حيث يُنكر على مَنْ فعل الثاني دون الأول ؟

الفرق بينهما – حسب علمنا – من وجهين :

الأول : أن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهّاب رحمه الله تعالى لم يُتَّخَذْ تَقَرُّباً إلى الله عز وجل ، وإنما يقصد به إزالة شُبْهة في نفوس بعض الناس في هذا الرجل ويبين ما مَنَّ الله به على المسلمين على يد هذا الرجل .

الثاني : أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله لا يتكرر ويعود كما تعود الأعياد بل هو أمر بين للناس وكتب فيه ما كتب ، وتبين في حق هذا الرجل ما لم يكن معروفا من قبل لكثير من الناس ثم انتهى أمره .

٣٥٥ ما حكم إقامة الأسابيع كأسبوع المساجد وأسبوع الشجرة ؟

هذه الأسابيع لا أعلم لها أصلا من الشرع ، وإذا اتخذت على سبيل التعبد وخصصت بأيام معلومة تصير كالأعياد فإنها تلتحق بالبدعة لأن

كل شيء يتعبد به الإنسان لله عز وجل وهو غير وارد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ فإنه من البدع .

لكن الذين نظموها يقولون إن المقصود بذلك هو تنشيط الناس على هذه الأعمال التي جعلوا لها هذه الأسابيع وتذكيرهم بأهميتها ويجب أن ينظر في هذا الأمر وهل هذا مسوغ لهذه الأسابيع أو ليس بمسوغ ؟

٣٥٦ ما حكم الاحتفال بما يسمى عيد الأم ؟

إن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية كلها أعياد بدع حادثة ، ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح ، وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضا فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى . والأعياد الشرعية معروفة عند أهل الإسلام وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع « يوم الجمعة » ، وليس في الإسلام أعياد سوى هذه الأعياد الثلاثة ، وكل أعياد أُحدثت سوى ذلك فإنها مردودة على محدثيها وباطلة في شريعة الله سبحانه وتعالى لقول النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . أي مردود عليه غير مقبول عند الله . وفي لفظ « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فهو رَدٌّ » . وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز في العيد الذي ذُكِرَ في السؤال والمسمى « عيد الأم » لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد كإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك . والواجب على المسلم أن يعتزّ بدينه ويفتخر به وأن يقتصر على ما حَدّه الله تعالى ورسوله ﷺ في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، فلا يزيد فيه ولا ينقص منه والذي

ينبغي للمسلم أيضا ألا يكون إِمَّعَةً يتبع كل ناعق ، بل ينبغي أن يُكَوِّن شخصيته بمقتضى شريعة الله تعالى حتى يكون متبوعا لا تابعا ، وحتى يكون أسوة لا متأسيا ، لأن شريعة الله والحمد لله كاملة من جميع الوجوه كما قال الله تعالى : ﴿ **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكم وأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُم الإِسلامَ دِيناً** ﴾⁽¹⁾ . والأم أحقُ من أن يحتفى بها يوما واحدا في السنة ، بل الأم لها الحق على أولادها أن يرعوها ، وأن يعتنوا بها ، وأن يقوموا بطاعتها في غير معصية الله عز وجل في كل زمان ومكان .

٣٥٧ ما حُكْمُ جَعْل مَدِيحِ النبيِّ ﷺ تجارة ؟

حكم هذا محرم ، ويجب أن يعلم بأن المديح للنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون مدحا فيما يستحقه ﷺ بدون أن يصل إلى درجة الغلو فهذا لا بأس به ، أي لا بأس أن يمدح رسول الله ﷺ بما هو أهله من الأوصاف الحميدة الكاملة في خُلُقه وهَدْيه ﷺ .

والقسم الثاني : من مديح الرسول ﷺ قسم يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ وقال : « لاتُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارى المسيحَ ابنَ مريمَ ، فإنَّما أنا عَبْدٌ ، فقولوا : عبدُ اللهِ ورسولُه » . فمَنْ مَدَحَ النبيَّ ﷺ بأنه غياث المستغيثين ومجيب دعوة المضطرين وأنه مالك الدنيا

---

(١) المائدة ٣ .

والآخرة وأنه يعلم الغيب وما شابه ذلك من ألفاظ المديح ، فإن هذا القسم مُحرَّم بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فلا يجوز أن يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بما يصل إلى درجة الغلو لنهي النبي ﷺ عن ذلك .

ثم نرجع إلى اتخاذ المديح الجائز حرفة يكتسب بها الإنسان فنقول أيضا إن هذا حرام ولا يجوز ، لأن مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بما يستحق وبما هو أهل له ﷺ من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة والهدي المستقيم مدحه بذلك من العبادة التي يتقرب بها إلى الله ، وما كان عبادة فإنه لا يجوز أن يتخذ وسيلة إلى الدنيا لقول الله تعالى : ﴿ **مَن كان يُريدُ الحَياةَ الدنيا وزِينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهَم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرةِ إلا النارُ ، وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وبَاطلٌ ما كانوا يعملون** ﴾(١) . والله الهادي إلى سواء الصراط .

٣٥٨ ـــ ما حكم استئجار قارىء ليقرأ القرآن الكريم على رُوح الميت ؟

هذا من البدع ، وليس فيه أجر لا للقارىء ولا للميت . ذلك لأن القارىء إنما قرأ للمال والدنيا فقط ، وكل عمل صالح يُقصد به الدنيا فإنه لا يقرب إلى الله ، ولا يكون فيه ثواب عند الله . وعلى هذا فيكون

---

(١) هود ١٥ - ١٦ .

هذا العمل – يعني استئجار شخص ليقرأ القرآن الكريم على روح الميت – يكون هذا العمل ضائعا ليس فيه سوى إتلاف المال على الورثة فليحذر منه فإنه بدعة ومنكر . والله الموفق .

۳٥۹ ما حكم الاجتماع عند القبر والقراءة وهل ينتفع الميت بالقراءة أم لا ؟

هذا العمل من الأمور المنكرة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح وهو الاجتماع عند القبر والقراءة .

وأما كون الميت ينتفع بها : فنقول : إن كان المقصود انتفاعه بالاستماع فهذا منتف لأنه قد مات . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا مات العَبْدُ انقطع عملُه إلاّ مِن ثلاثٍ : صدقةٌ جاريةٌ ، أو عِلْمٌ يُنتفع به ، أو وَلَدٌ صالحٌ يَدْعُو له » . فهو وإن كان يسمع إذا قلنا بأنه يسمع في هذه الحال فإنه لا ينتفع لأنه لو انتفع لزم منه ألا ينقطع عمله والحديث صريح في حصر انتفاع الميت بعمله بالثلاث التي ذكرت في الحديث .

وأما إن كان المقصود انتفاع الميت بالثواب الحاصل للقاريء ، بمعنى أن القاريء ينوي بثوابه أن يكون لهذا الميت ، فإذا تقرر أن هذا من البدع فالبدع لا أجر فيها « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » كما قال النبي ﷺ . ولا يمكن أن تنقلب الضلالة هداية . ثم إن هذه القراءة في الغالب تكون بأجرة ، والأجرة على الأعمال المقربة إلى الله باطلة ، والمستأجر للعمل

الصالح إذا نوى بعمله الصالح هذا الصالح من حيث الجنس - وإن كان من حيث النوع ليس بصالح كما سيتبين إن شاء الله - إذا نوى بالعمل الصالح أجرا في الدنيا فإن عمله هذا لا ينفعه ولا يقربه إلى الله ولا يثاب عليه لقوله تعالى : **﴿ مَن كان يُرِيدُ الحياة الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النارُ وحَبِطَ ما صَنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون ﴾**⁽¹⁾ . فهذا القاريء الذي نوى بقراءته أن يحصل على أجر دنيوي نقول له : هذه القراءة غير مقبولة بل هي حابطة ليس فيها أجر ولا ثواب وحينئذ لا ينتفع الميت بما أهدي إليه من ثوابها لأنه لا ثواب فيها . إذن فالعملية إضاعة مال ، وإتلاف وقت ، وخروج عن سبيل السلف الصالح رضي الله عنهم لا سيما إذا كان هذا المال المبذول من تَرِكَةِ الميت وفيها حق قُصر وصغار وسفهاء ، فيأخذ من أموالهم ما ليس بحق فيزاد الآثم إثما . والله المستعان .

---

(١) هود ١٥ - ١٦ .

٣٦٠ ما حكم المآتم ؟

المآتم كلها بدعة سواء كانت ثلاثة أيام أو على أسبوع أو على أربعين يوما لأنها لم ترد من فعل السلف الصالح رضي الله عنهم ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه ، ولأنها إضاعة مال ، وإتلاف وقت ، وربما يحصل فيها شيء من المنكرات من الندب والنياحة ما يدخل في اللعن فإن النبي ﷺ لعن النائحة والمستمعة .

ثم إنه كان من مال الميت – من ثلثه أعني – فإنه جناية عليه ، لأنه صرف له في غير الطاعة . وإن كان من أموال الورثة فإن كان فيهم صغار أو سفهاء لا يحسنون التصرف فهو جناية عليهم أيضا ، لأن الإنسان مؤتمن في أموالهم فلا يصرفها إلا فيما ينفعهم . وإن كان لعقلاء بالغين راشدين فهو أيضا سَفَه لأن بذل الأموال فيما لا يقرب إلى الله أو ينتفع به المرء في دنياه من الأمور التي تعتبر سفها . ويعتبر بذل المال فيها إضاعة له وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال . والله ولي التوفيق .

٣٦١ ما حكم قراءة القرآن الكريم على القبور ؟ والدعاء للميت عند قبره ؟ ودعاء الإنسان لنفسه عند القبر ؟

قراءة القرآن الكريم على القبور بدعة ، ولم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه وإذا كانت لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فإنه

لا ينبغي لنا أن نبتدعها من عند أنفسنا لأن النبي ﷺ قال فيما صحّ عنه : « كُلّ مُحْدَثَةٍ بدْعةٌ ، وكُلّ بدْعَةٍ ضَلالةٌ ، وكُلّ ضَلالةٍ في النار » . والواجب على المسلَمين أن يقتدوا بمن سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان حتى يكونوا على الخير والهدى ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ الكلامِ كلامُ اللهِ ، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ » . وأما الدعاء للميت عند قبره فلا بأس به ، فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما يتيسر مثل أن يقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم أدخله الجنة ، اللهم افسح له في قبره . وما أشبه ذلك .

وأما دعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قصده الإنسان فهو من البدع أيضا ، لأنه لا يخصص مكان للدعاء إلا إذا ورد به النص ، وإذا لم يرد به النص و لم تأت به السنة فإنه – أعني تخصيص مكان للدعاء – أيا كان ذلك المكان يكون تخصيصه بدعة .

٣٦٢ ما حكم القراءة على القبور هل هي جائزة أمْ لا وما حكم الشّرع في نظركم في أُناس يَزُورون قُبور الصّالحين والأَوْلياء كما يَزْعمون ويَطْلُبون الصّحة ومَتَاع الدُّنيا ؟

هذا السُّؤال تضمن مَسْألتَيْن :

الأولى : القراءة على القُبور ، والقراءة على القُبور غير مَشْروعة وهي

بِدْعة ورسول الله ﷺ وهو أعلم الخلق بشريعة الله وأعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق فيما يَنطِق به وأنصَح الخَلْق فيما يُريده ، يقول ﷺ «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة» وهذه الجملة الكُلّية العامَّة لا يستثنى منها شيء فجميع البِدَع ضَلالة بهذا النَّص المُحْكم البَليغ الَّذي لو أنَّ أحَدًا أراد أن يُفصِّله ويُفَسِّره لاحتمل سِفْرًا كبيرًا ، فالقِراءة على القُبور بِدْعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ، ولم يُسنَّها الرَّسول ﷺ لا بقوله ولا بفعله ولا بإقْرارِهِ وإنَّما كان يقول ويُرْشِدُ أمَّته إلى أنْ يقولوا : «السَّلام عَلَيْكُم دَارَ قَوْم مُؤْمِنين وإنَّا إنْ شَاءَ الله بِكُمْ لاحقون يَرْحَمُ الله المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا ومِنْكم والمُسْتأْخِرينَ ، نَسْأَل الله لَنا ولَكُم العَافِيَة اللَّهُمَّ لا تَحْرِمنَا أجْرَهُم ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُم واغْفِرْ لَنا ولَهُم» .

وأما المسألة الثانية : مما تضمَّنه هذا السُّؤال فهو الذِّهاب للقبور سواء كانت قُبورًا لعامَّة النَّاس أو قُبورًا لِمنْ يَزْعُمون أنَّهم أولياء ليستغيثوا بهم ويستَنْجدوهم ويطلبوا منهم تَيْسير أُمورهم المَعيشية وهذا شِرْك أكبر مُخْرج عن المِلّة لقول الله تعالى : **﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الله إلهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّه ، إنَّه لا يُفلِحُ الْكَافِرُون ﴾**(١) .

وهذه الآية أفَادت أنَّ كُلَّ مَنْ دعا مع الله إلهًا آخر فإنَّه لا برهان له بذلك ولا دَليل له ، بل الدَّليل يدل على سفهه وضَلالِهِ وَأفَادَت أيْضًا التَّهديد لِمَن دعا مع الله إلهًا آخر بقوله : **﴿ فإنَّما حِسَابُه عِنْد رَبِّه ﴾** ، وأفَادت أنَّ هذا الدَّاعي لَنْ يَفْلح بدعاءِ غير الله وأفادت بأنَّه كافر .

---

(١) المؤمنون : ١١٧

لقوله : ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ ودُعاء غَيْر الله ضَلال وسَفَه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾(١) . وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾(٢) .

ومن العَجَب أنْ يذهب هؤلاء إلى المَقْبورين الَّذين يعلمون أنَّهم جُثَث هامدة لا يستطيعون أن يتخلَّصوا مما هم فيه ، يطلبون منهم أنْ يُخلِّصوهم من الشَّدائد ويطلبون منهم تَفْريج الكُرُبات .

إذا تَأمَّل الإنْسانُ حَال هؤُلاء فإنَّه يفضي منها العَجَب العُجَاب ولو أنَّ هؤلاء رَجَعوا إلى أنْفسهم وإلى عُقُولهم لتَبين لهم سَفَههم وأنَّهم في ضَلالٍ مُبين فنسأل الله تعالى للمسلمين عامَّة أن يبصرهم في دينهم وأنْ يَهْديهم إلى الحق وأنْ يثبتهم عليه .

وإني أقول لهؤلاء إذا أردتُّم الدُّعاء النَّافع فالجأُوا إلى الله سُبْحانه وتعالى فإنَّه هو الَّذي يُجيبُ المُضطَّر إذا دَعَاه ويَكْشِفُ السُّوء وهو الذي بيده ملَكُوت كُلّ شيء وهو الذي يقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإذا سَأَلَكَ عِبَادي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبواْ لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٣) . وليجربوا إذَا اتَّجهوا إلى الله والتَجأُوا إليْه ودَعَوه بصدق وإخلاص أو افْتِقار وأمَلٍ في الإجابة حتى يتبيَّن لهم أنَّه لا ينفعهم إلا الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) البقرة : ١٣٠

(٢) الأحقاف : ٥

(٣) البقرة : ١٨٦

فإنْ قلت إنَّه قد يَحْصل أن يدعوا هؤلاء أصحاب هذه القبور الَّذين يزعمون أنَّهم أولياء ثمَّ يجري قضاء الله وقَدره ويَحْصُل لهم المَطْلوب فما موقفتا نحو هذه الحادثة . فالجواب أنَّ موقفنا أننا نَعْلم عِلْمَ اليقين أنَّ ما حصل لهم ليس من هَؤُلاء وليس بدعائهم هؤلاء ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ **ومَنْ أضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِنْ دُون الله مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْم القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غافِلُونَ** ﴾(١) . فإنَّ هؤلاء لا يستطيعون أن يجلبوا لهم ولا أنْ يدفعوا عنهم ضَرَرًا . كما قال تعالى : ﴿ **وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أحْيَاءٍ ومَايَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾(٢) فَلا يستطيع هؤلاء الأموات أنْ يُوجدوا لهم شيئًا بنَصِّ القُرآن وبإجماع المسلمين ولكن هذا حَصَلَ عند الدُّعاء لا به ، فِتْنَة من الله عزَّ وجلَّ .

والله سبحانه وتعالى قد يَفْتِنُ العباد بتَيْسير اسْباب المعصية لهم لِيَبْلُوَهَم ؛ ألم تَرَ ما امتحن الله به بني إسرائيل حين حَرَّم عليهم صَيْدُ الحِيتَان يوم السَّبت فكانت الحيتان تَأْتيهم يوم سبتهم شُرَّعًا على ظَهْر الماء وبِكَثْرة وفي غَيْر يوم السَّبت لا يَرَوْنها . فالتجأوا إلى حيلة وضعوا الشّبّاك يوم الجمعة فَتَقعُ بهذه الشّبّاك يوم السّبت فإذا كان يوم الأحد أَخَذُوها . فقال الله لهم : ﴿ **كُونُواْ قِرَدَةً خاسئينَ** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **واسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتي كَانَتْ حَاضِرةَ البَحْرِ إذْ يَعْدُونَ في السَّبْتِ إذْ تَأْتِيهِم**

---

(١) الأحقاف : ٥

(٢) النحل : ٢٠ ، ٢١

حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ويَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُم الَّذِين اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خاسِئِين * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يدَيْهَا ومَا خلْفَهَا ومَوْعِظَةً للمُتَّقِينَ ﴾**(٢) .

ثم ألا تَرَى إلى ما ابْتَلى به الله تعالى الصَّحابة رضي الله عنهم حين كانوا مُحْرِمين فقال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ الله بشيءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُه أيْدِيكُمْ ورِمَاحُكُم لِيَعْلَمَ الله مَنْ يَخَافُهُ بالْغَيْبِ ﴾**(٣) . فأرسل الله تعالى عليهم الصَّيد تَنَالُه الأيْدي فتمسك ما كان يعدو على الأرْضِ والرِّماح فتخْرق ما كان يَطِير .

فسهل الله لهم الحصول على هذا الصَّيد ولكن الصَّحابة رضي الله عنهم وهم خير القُرون لم يأْخذوا شَيْئًا من هذا الصَّيد الذي سَهَّله الله لهم لتَقْواهم لله عزَّ وجلَّ وخَوْفهم منه .

والمقصود أنَّ هؤلاء المشركين الذين يدعون هذه القبور ثم يجري القضاء والقدر بحصول ما دعوا به يكون هذا بلا شَكٍّ ابْتِلاءً من الله تعالى وامتحانًا لهم . . فنسأل الله أن يُرينا الحق حَقًّا ويرزقنا اتِّباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه .

---

(١) الأعراف : ١٦٣

(٢) البقرة : ٦٥ ، ٦٦

(٣) المائدة : ٩٤

٣٦٣

هل يجوز قراءة القُرْآن على قبر الميت والدُعاء له وما نوع الدُّعاء وهل يجوز أنْ يبكى عليه أيضًا وهل يجوز أن يُصَام عنه وأن يُصَلّى بدلًا عنه لأننا نقوم بَختْم القُرْآن عوضًا عنه ونُهْدي هذه الختْمة إلى رُوحه وإذا كان المتوفّى صَديق أو قَريب هل يجوز أن يحجّ عن نفسه وعن المُتَوفّى في نفس الوقت ؟

قراءة القرآن على القبور بِدْعة لم تَرِد عن النبي ﷺ ولا عن أصْحابه وإذا كانت لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فإنّه لا يَنْبغي لنا نحن أن نَبْتَدعَها من عند أنْفسنا لأنَّ النَّبي ﷺ قال فيما صحّ عنه «كُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة وكُلّ ضَلَالَةٍ في النَّار» .

والواجب على المسلمين أن يَقْتدوا بمن سلف من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان حتى يكونوا على الخير والهدى ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «خَيْرُ الكَلام كَلامُ الله وخَيْرُ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ .

أما الدُّعاء للميت عند قبره فلا بأس به فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما تيسر مثل أن يقول : «اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ اللَّهُمَّ ارْحمهُ اللَّهُمَّ قِهِ عَذَاب النَّار اللَّهُمَّ أدْخِلْهُ الجَنَّة اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ في قَبْره» ، وما أشْبَه

ذلك ، وأمَّا دُعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قَصَده الإنسان من البدع أيْضا لأنَّه لا يُخصَّص مكان للدُّعاء إلَّا إذا وردَ به النَّص وإذا لم يَرد به النَّص و لم تأْت به السُّنة عن النبي ﷺ فإنَّه أعني تَخْصيص مكان للدُّعاء أيًا كان ذلك المكان إذا لم يرد به الشَّرع يكون تَخْصيصه بدعة .

أما الصَّوم للميت والصَّلاة عنه وقراءة القُرْآن وما أشْبَه ذَلك من العبادات فإن هناك أربعة أنواع من العبادات تَصِل إلى الميت بالإجماع وهي : الدُّعاء – والواجب الذي تدخله النيابة – والصَّدقة – والعِتْق وما عدا ذلك فإنَّه موضع خلاف بين أهل العلم فمن العلماء من يقول إن الميت لا ينتفع بالأعْمَال الصَّالحة إذا أُهْدِيت له في غير هذه الأمور الأربعة ولكن الصَّواب أن الميت يَنْتفع بُكل عمل صالح جُعِلَ له ، إذا كان الميت مُؤْمنًا ولكنَّا لا نرى أنَّ إهداء القُرَب للأموات من الأمور المَشْروعة التي تُطْلَبُ من الإنسان بل نقول إذا أُهدى الإنْسان ثواب عمل من الأعمال أوْ نَوى بعمل من الأعمال أنْ يكون ثوابه لميتٍ مُسْلمٍ فإنَّه ينفعه لَكِنَّه غير مطلوب منه أوْ مُسْتحبّ له ذلك والدَّليل على هذا أنَّ النبي ﷺ لم يُرْشد أُمَّته إلى هذا العمل بل ثَبتَ عنه في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه قال : «إذا مَاتَ الإنْسانُ انْقَطَع عَملهُ إلَّا مِنْ ثَلاثٍ صَدَقةٍ جَاريةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفعُ بِهِ أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ، و لم يَقُل النبي ﷺ أوْ وَلَدٍ صالح يَعْمَلُ له أو يَتَعَبَّدُ له بِصَوْم أو صَلاةٍ أو غيرهما وهذا إشارة إلى أنَّ الَّذي يَنْبغي والذي يُشْرع هو الدُّعاء لأمواتنا لا إهداء العبادات لهم والإنسان العامل في هذه الدُّنيا يحتاج إلى العمل

الصَّالح فليجعل العمل الصَّالح وليُكْثِر من الدعاء لأموَاته فإن ذلك هو الخير وهو طَرِيقَةُ السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم .

٣٦٤ ما حُكْم إظهار الفرح والسرور بيوم العيد – عيد الفطر وعيد الأضحى – وبليلة السابع والعشرين من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، ويوم عاشوراء ؟

أما إظهار الفرح والسرور في أيام العيد عيد الفطر أو عيد الأضحى فإنه لا بأس به إذا كان في الحدود الشرعية ومن ذلك أن يأتي الناس بالأكل والشرب وما أشبه هذا ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عَزّ وجلّ » يعني بذلك الثلاثة الأيام التي بعد عيد الأضحى وكذلك في العيد فالناس يضحون ويأكلون من ضحاياهم ويتمتعون بنعم الله عليهم ، وكذلك في عيد الفطر لا بأس بإظهار الفرح والسرور ما لم يتجاوز الحد الشرعي . أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب أو في ليلة النصف من شعبان أو في يوم عاشوراء ، فإنه لا أصل له ويُنهى عنه ولا يحضر الإنسان إذا دعي إليه ، لقول النبي ﷺ : « إيّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » . فأما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يَدَّعون أنها ليلة المِعراج التي عُرج بالرسول ﷺ فيها إلى الله عز وجل ، وهذا لم

يثبت من الناحية التاريخية ، وكل شيء لم يثبت فهو باطل والمبني على الباطل باطل . ثم على تقدير ثبوت أن ليلة المعراج ليلة السابع والعشرين من رجب فإنه لا يجوز لنا أن نُحْدِثَ فيها شيئاً من شعائر الأعياد أو شيئاً من العبادات لأن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ وأصحابه ، فإذا كان لم يثبت عمّنْ عُرج به ولم يثبت عن أصحابه الذين هم أُوْلى الناس به وهم أشد الناس حِرْصاً على سنته وشريعته فكيف يجوز لنا أن نُحْدِث ما لم يكن على عهد النبي ﷺ في تعظيمها شيء ولا في إحيائها وإنما أحياها بعض التابعين بالصلاة والذكر ، لا بالأكل والفرح وإظهار شعائر الأعياد .

وأما يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال : « يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ » يعني التي قبله . وليس في هذا اليوم شيء من شعائر الأعياد ، وكما أنه ليس فيها شيء من شعائر الأعياد فليس فيه شيء من شعائر الأحزان أيضا ، فإظهار الحزن أو الفرح في هذا اليوم كلاهما خلاف السنة ، ولم يَرِدْ عن النبي ﷺ في هذا اليوم إلا صيامه ، مع أنه عليه الصلاة والسلام أمر أن نصوم يوماً قبله أو يوماً بعده حتى نخالف اليهود الذين كانوا يصومونه وحده .

٣٦٥ سئل الشيخ : عن حُكْم التمسّح بالكعبة والركن اليماني طلبًا للبركة ؟

فأجاب قائلًا : ما يفعله بعض الجهلة من التمسح بالكعبة أو الركن اليماني أو الحجر الأسود طلبًا للبركة فهذا من البدع ، فإن مايمسح منها يمسح تعبدًا لاتبركًا ، قال عمر رضي اللّه عنه عندما قَبَّلَ الحَجَرَ الأسودَ قال : « إنِّي لَأَعْلَمُ إنَّكَ حَجَر لَا تَضرُّ ولَا تَنْفَعُ ولَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ » فالأمر مبني على الاتباع لا على الابتداع ، ولهذا لايمسح من الكعبة إلا الركن اليماني والحجر الأسود ، فمَنْ مسح شيئًا سواهما من الكعبة فقد ابتدع ، ولهذا أنكر ابن عباس رضي اللّه عنهما على معاويةَ رضي اللّه عنه استلام الرُّكْنَيْنِ الآخَرَيْنِ .

٣٦٦ سئل فضيلة الشيخ : ما رأيكم في هذه الورقة التي تسمى « رحلة سعيدة » .

البطاقة الشخصية :

الإسم : الإنسان « ابن آدم » .

الجنسية : من تراب .

العنوان : كوكب الأرض .

محطة المغادرة : الحياة الدنيا .

محطة الوصول : الدار الآخرة .

موعد الإقلاع : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تموت ﴾ .

موعد الحضور : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ ﴾ .

العفش المسموح به :

١ - متران قماش أبيض .
٢ - العمل الصالح .
٣ - دعاء الولد الصالح .
٤ - علم ينتفع به .
٥ - ما سوى ذلك لا يسمح باصطحابه في الرحلة .

شروط الرحلة السعيدة :

على حضرات المسافرين الكرام اتباع التعليمات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ، مثل :

* طاعة الله ومحبته وخشيته .
* التذكر الدائم للموت .

*** الانتباه إلى أنه ليس في الآخرة إلا جنة أو نار .**

*** أن يكون مأكلك ومشربك وملبسك من حلال .**

« لمزيد من المعلومات » يرجى الاتصال بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

ملاحظة : الاتصال مباشر ومجانا . لا داعي لتأكيد الحجز هاتف « ٤٣٤٤٢ » ؟

فأجاب بقوله : —

رأيي في هذه التذكرة التي شاعت منذ زمن وانتشرت بين الناس ووضعت على وجوه شتى منها هذا الوجه الي بين يدي ، وهذه الورقة تشبه أن تكون استهزاء بهذه الرحلة ، وانظر إلى قوله في أرقام الهاتف « ٤٣٤٤٢ » يشير إلى الصلوات الخمس : اثنين لصلاة الفجر ، وأربعة للظهر والعصر ، وثلاثة للمغرب ، وأربعة للعشاء ، فجعل الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين جعلها أرقامًا للهاتف ، ثم قال إن موعد الرحلة ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾⁽¹⁾ . فنقول أين الموعد في هذه الرحلة ؟ وقال أن موعد الحضور ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾⁽²⁾ . فأين تحديد موعد

---

(١) لقمان : ٣٤ .

(٢) الرعد : ٣٨

الحضور ؟ والمهم أن كل فقراتها فيها شيء من الكذب ، ومنها العفش الذي قال إن منه العلم الذي ينتفع به والولد الصالح ، وهذا لا يكون مصطحبًا مع الإنسان ولكنه يكون بعد الإنسان ، فالذي ارى أن تتلف هذه التذكرة ، وأن لا تنشر بين الناس ، وأن يكتب بدلها شيء من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، وحتى لا تقع مثل هذه المواعظ على سبيل الهزء ، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يغني عن هذا كله .

وإنني بهذه المناسبة أود أن أنبه إلى أنه كثر في هذه الأونة الأخيرة النشرات التي تنشر بين الناس ما بين أحاديث ضعيفة ، بل موضوعة على رسول الله ﷺ وبين مَرَائي مَنَامِيَّة تنسب لبعض الناس وهي كذب وليست بصحيحة ، وبين حِكَم تنشر وليس لها أصل ، وإنني أنبه إخواني المسلمين على خطورة هذا الأمر ، وأن الإنسان إذا أراد خيرًا فليتصل برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، وليعرض عليها ما عنده من المال الذي يحب أن ينشر ما ينتفع الناس به وهي محل ثقة وأمانة – والحمد لله – تجمع هذه الأموال وتطبع بها الكتب النافعة التي ينتفع بها المسلمون في هذه البلاد وغيرها .

أما هذه النشرات التي ليست مبنية على شيء ، وإنما هي أكذوبات أو أشياء ضعيفة ، أو حِكَم ليست حقيقية بل هي كلمات عليها مؤاخذات وملاحظات ، **فإنني لا أحب أن ينشر هذا بين المسلمين وفيما صح من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كفاية والله المستعان .**

---

(٤) الرعد : ٣٨ .

ـــــ ٣٦٧ سُئل الشيخ : عن بطاقة أُرسِلَتْ إليه فيها أذكار مرتّبة من بعض الصُّوفية ؟

فأجاب بقوله : اطلعتُ على صورة البطاقة ومن أجل العدل وبيان الحق أجبتُ عما فيها على سبيل الاختصار بما يلي :

١ - تضمّنت هذه البطاقةُ الحثَّ على ذكر الله تعالى ، وهذا حق ، ولكن ذكر الله تعالى عبادة يتقرب بها إليه فيجب التمشي فيها على ما شرعه الله - عز وجل - ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص لله تعالى ، والاتباع لرسول الله ﷺ ، وبذلك تتحقق شهادة أن لا إلهَ إلا الله ، وأن محمدًا رسولُ الله ، ولا يكون الاتباع إلا إذا كانت العبادة مبنية على الشرع في سببها ، وجِنْسها ، وقَدْرها ، وكيفيتها ، وزمانها ، ومكانها .

وإذا كان كذلك فإن الذكر الموجود في البطاقة لا يتضمن ما ذُكر فلا يصح أن يكون قُرْبَة إلى الله تعالى ، أو ذكرًا مرضيًا عنده ، كما هو ظاهر لمن رآه ، فأين في شريعة الله هذا النوع من الذكر الذي رتبوه ؟ ! وأين في شريعة الله هذا العدد الذي عَيَّنوه ؟ ! وأين في شريعة الله هذا الزمن الذي خصّصوه ؟ ! بحيث يكون هذا في الليل وهذا في النهار . وأين في شريعة الله تقديم الفاتحة عند البدء بهذا الذكر البِدْعي ؟ ! !

٢ - تضمنت هذه البطاقة قراءة الفاتحة لحضرة النبي ﷺ فإن أرادوا بحضرته ذاته وأن يقرأ الإنسان الفاتحة ويهدي ثوابها للنبي ﷺ ، فهذه

بدعة لم يفعله الصحابة – رضي الله عنهم – ، وهو من جهل فاعله ، فإنّ النبيَّ ﷺ يناله من الأجر على العمل مثل ما ينال فاعله من أمته ، لأنه هو الدال عليه ، ومن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله ، بدون أن يهدي إليه الفاعل ، وإن أرادوا أن النبي ﷺ يحضر بذاته فهو أدهى وأمَرّ ، وهو أمر منكر وزُور ، فالنبي ﷺ لا يحضر ولن يخرج من قبره إلاّ عند البعث ، قال الله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾(١) وقال تعالى ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾(٢) . وهذا عامٌّ لجميع المخاطبين ، وأشرف المخاطبين بذلك رسول الله ﷺ ولهذا قال الله له : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾(٣) .

٣ – تضمنت هذه البطاقة من أسماء الله تعالى ، (هو) ، وفَسَّره بأنه حاضر لا يغيب . والقول بأن (هو) من أسماء الله قول باطل مبني على الجهل والعدوان ، أما الجهل فلأن (هو) ضمير لا يدلّ على معنى سوى ما يتضمنه مرجع ذلك الضّمير ، وأسماء الله تعالى كلّها حسنى ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾(٤) وهل أحد إذا دعا يقول : يا هو اغفر لي ؟ ! وهل أحد يقول في البسملة بسم هو بدلًا عن اسم الله تعالى ؟ ! وأما العدوان فلأن إثبات اسم لله تعالى لم يسَمِّ

---

(١) طه ٥٥

(٢) المؤمنون : ١٦

(٣) الزمر : ٣٠ .

(٤) الأعراف : ١٨٠

به نَفْسَه عدوان على الله تعالى ، وقول عليه بلا علم وهو حرام ، لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ** ﴾(١) .

ثم إنّ تفسير « هو » بجملة (حاضر لا يغيب) كذب على اللغة العربية ، فإن كلمة (هو) ضمير غَيْبَةٍ وليس ضمير حضور ، ومَنْ فَسَّره بما يدل على الحضور فهو من أجهل الناس باللغة العربية ودلالات ألفاظها إن كان الذي حمله على ذلك الجهل ، أو من أعظم الناس افتراء إن كان قد قصد التَّقَوّل على الله ، وعلى اللغة العربية .

٤ - فسّر اسم الله (الواحد) : بأنه الذي لا ثاني له .

والصواب : لا شريك له ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقولنا : « لا شريك » ، كما أنه هو الوارد ، فهو أبلغ مما جاء في هٰذه البطاقة .

٥ - فسّر اسم (العزيز) : بأنّه الذي لا نظير له ، وهو قصور .

والصواب : الغالب الذي لا يغلبه أحد .

٦ - فسّر اسم (القَيّوم) ؛ بأنه القائم بأسباب مخلوقاته .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

والصواب : القائم بنفسه وعلى غيره ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾(١) . فهو قائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره ، وهو قائم على غيره ، فكل أحد محتاج إلى الله – عز وجل – . وتفسيره بالقائم بأسباب مخلوقاته قاصر جدًّا .

٧ – ذكر في هذه البطاقة البِدْعِية صيغة صلاة على رسول الله ﷺ ما أنزل الله بها من سلطان ، وهي : « اللهم صَلِّ على سيدنا محمدٍ ، عدد ما في عِلْمِ الله ، صلاةً دائمةً بداوم مُلْكِ الله » .

٨ – ذكر في هذه البطاقة البدعيّة أنّه يتأكد الصلاة عليه عَقِبَ كلّ صلاة مكتوبة ، ثلاث مرات بصيغة ذكرها وهي : « اللهمّ صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه عددَ حروف القرآن حرفًا حرفًا ، وعددَ كلِّ حرفٍ ألفًا ألفًا ، وعدد صفوف الملائكة صفًّا صفًّا ، وعدد كل صفٍّ ألفًا ألفًا ، وعدد الرمال ذرة ذرة ، وعدد كلِّ ذرةٍ ألفَ ألفَ مرة عدد ما أحاط به عِلْمك وجرى به قَلَمُك ونَفِذَ به حُكْمك ، في برك وبحرك وسائر خلقك ، عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل . اللّهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه مثل ذلك » .

وهاتان الصيغتان بِدْعيتان باطلتان مخالفتان لما علّمه النبي ﷺ أمّته ، حيث قالوا يا رسول قد عَلِمْنا كيف نُسَلِّمُ عليك ، فكيف نُصَلِّي عليك ؟ قال : قُولُوا اللَّهُمْ صَلِّ على مُحَمَّدٍ ، وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما

---

(١) الرعد : ٣٣

صَلَّيْتَ على إبْرَاهِيمَ ، وعلى آلِ إبْرَاهيمَ ، إنَّكَ حَمِيد مَجِيد ، وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ، وعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيد مَجيد » . وبهذا عُلِمَ أنّ الأذكار والصّلوات البدعية مع بطلانها وفسادها تستلزم الصَّدَّ – باعتبار حال فاعلها – عما جاءت به الشريعة من الأذكار والصّلوات الشرعيّة فحذار حذار أيّها المؤمن من البدع ، فإن كل بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار . كما قال النبي ﷺ وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان .

٣٦٨ ما رأيك في الحداثة ؟

قال فضيلته بعد أن استوضح الأمر من الحاضرين :

أولًا : الحداثة على حسب ما فهمنا أنها حرب للغة العربية التي هي لغة القرآن ، والذي فهمت الآن من كلامكم أن منها أُناسًا عَرَبًا فَتَنَكَّروا لعربيتهم ، وهذا لا شك لا يرضاه أي إنسان عاقل أن يتنكر للغته مهما كان ، ولهذا تجد أن الإنجليز في القمة في الفرح والسُّرور أن تكون لغتهم هي المُسْتَخْدمة في عامة العالم ، لأن استخدام اللغة وبقاء اللغة هو بقاء لأهلها ، فهؤلاء القوم الآن يريدون أن يقتلوا أنفسهم بمحو لغتهم التي يمحى بها وجودهم ، ويكونوا بين الناس لا يُشعر بعروبتهم ، ولا بلغتهم التي هي أكمل لغة في العالم منذ خلق الله العالم إلى اليوم .

ثانيًا : فهمت منكم أيضًا أنهم يريدون القَضَاء على الأديان السَّماوية حتى اليهودية والنَّصرانية ، فهم لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا مسلمين ،

ولا يهود ، ولا نصارى ، لأن هذا ينتمي إلى دين ، وهم على حسب ما سمعت من شروحكم لا يريدون الانتماء إلى شيء سابق ، حتى لو كان دين الله وشريعة الله .

ولا شك أن هذا إلحاد تام يشبه قول من قال الله فيهم : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾⁽¹⁾ . ولا يرتاب عاقل أن هذه ردَّة ، وأن من قام بها يستتاب ، فإن تاب وإلا وجب قتله ، لأنه مُرْتَدّ ، وقد قال النبي ﷺ : «من بَدَّلَ دِينه فَاقْتُلُوه» .

ثالثًا : فهمت من كلامكم أيضًا أنهم يُريدون القَضَاء على كل خلق حسن ما دام قد كان سابقًا ، لأن القاعدة يجب أن تَنْجرَّ على كل شيء ، على دين ، خلق ، لغة ، وما أشبه ذلك . إذن يجب القضاء على كل خلق حسن سليم . وحينئذ ينسلخ الإنسان حتى من بشريته ، ويلتحق بالبهائم العجم التي إذا اشتهى الفحل أن ينزو على الأنثى نَزَا عليها وأقرانه يُشاهدونه ، وإذا اشتهى أي شيء لم يمنعه عن تناوله أي عقل .

رابعًا : وفهمت من تقريركم لها أن هذه الحداثة تلبس لباس النفاق وهو البلية العظمى ، وقد قال الله تعالى في المنافقين : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُون ﴾⁽²⁾ . وقال عن الشيطان : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾⁽³⁾ . ومن تأمل الفرق بين الأسلوبين وجد أن المنافقين أعظم ضررًا على المؤمنين من الشياطين .

---

(١) المؤمنون : ٣٧

(٢) المنافقون : ٤

(٣) فاطر : ٦

فيجب علينا مَعْشَر المُسْلمين – أن ندعو هؤلاء بالوازع الإيماني دعوة صدق وإخلاص إلى أن يرجعوا إلى دين الله عزَّ وجلَّ ، وإلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وأن نبرهن لهم أن هذا كفر محض ، فإن لم يُجْد شيئًا فالواجب علينا وعلى ولاة الأمور أن يستعملوا معهم الرَّدع السُّلطاني المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى لا ينتشر هذا السُّمُّ القاتل في جسم الأمة الإسلامية .

وإذا كنا نحاول القضاء على المُخَدّرات ، وهو من واجبنا لأن المخدرات قتل للمعنويات وللرجولة وفَسَادُ الأخلاق ، فيجب علينا القضاء على هذا المذهب الخبيث أكثر وأكثر من القضاء على المخدرات والمسكرات وسيئات الأخلاق .

وعلى شبابنا المُثَقَّف أن يُبَيِّن ما يخفى تحت ستار تغيير الأسلوب في النظم والنثر أن يَكْشِفَ ما يخفى تحت هذا الستار من هذه المعاني التي ذكرتموها لإخوانكم هنا ، فالأمر خطير مَا دَام هذا شأنه .

ليست المسألة أن تغير أسلوب :

قِفَا نَبْك مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسَقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدخُولِ فَحَوْمَلِ

إلى كلام منثور لا يعرف أوله من آخره ، وليس بين معانيه ارتباط ، ولا بين ألفاظه تناسب ، فهو عار عن الفَصَاحة وخال من البلاغة .

وسبحان الله إذا انْتَكَسَت القلوب رأت المَعِيبة حَسَنة ، وإلا فمن قرأ هذه الأشعار عرف أنّه ليس بشعر . شخص يأتي بشطر كامل مكون

من كلمة والشطر الذي بعده من عشر كلمات فهل يُسَمَّى هذا شعرًا ؟ أين الشّعر الذي يهز المشاعر ؟ وأين النظم الذي يكون رائقًا للنُّفوس محببًا إليها ؟ ولكن لا نحب أن نذكر مثالًا يَليق بهذا الذَّوق ونسأل الله تعالى لهم الهداية ، وأن يَرُدَّهم إلى الحق ، وأن يعيذنا وإياكم من مُضِلاّت الفِتَن وأن يجعلنا ممن رأى الحق حقًا واتّبعه ورأى الباطل بَاطلًا واجْتنبه .

٣٦٩ ــ فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين : السلام عليكم ورحمه الله وبركاته : هل يَجُوز للرِّجال الإنشاد الإسلامي ؟ وهل يجوز مع الإنشاد الضَّرب بالدُّف لهم ؟ وهل الإنشاد جائِز في غير الأعياد والأفراح ؟

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الإنشاد الإسلامي إنشاد مبتدع ما ابتدعته الصوفية ولهذا ينبغي العدول عنه إلى مواعظ القرآن والسنة اللهم إلَّا أن يكون في مواطن الحرب ليستعان به على الإقدام والجهاد في سبيل الله تعالى فهذا حسن . وإذا اجتمع معه الدف كان أبعد عن الصواب .

٣٧٠ هل يجوز قراءة الفاتحة على الموتى وهل تَصِلُ إليهم ؟

قراءة الفاتحة على الموتى لا أعْلَمُ فيها نَصًّا من السُّنة وعَلَى هذا فلا تُقْرأ لأنَّ الأصل في العبادات الحَظْر والمَنْع حتَّى يقوم دَليل على ثُبوتها وإنَّها مِنْ شَرْع الله عزَّ وجلَّ ودليل ذلك : أنَّ الله أنْكر على من شَرعوا في دين الله ما لم يأْذن به الله ، فقال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُم مِنَ الدِّين مَا يأْذَنْ بِهِ الله** ﴾⁽¹⁾ .

وثَبَتَ عن النَّبي ﷺ أنه قال : «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَد» ، وإذا كان مَرْدُودًا كان باطلًا وعبثًا يُنَزَّه الله عزَّ وجلَّ أن يُتَقربَ به إليه .

وأمَّا استئجار قَارىء يَقرأ القرآن ليكون ثوابه للميت فإنَّه حرام ولا يَصح أخْذُ الأجرة على قراءة القرآن ومن أخَذ أُجْرةً على قراءة القرآن فهو آثم ولا ثواب لَهُ لأنَّ قراءة القرآن عبادة ولا يجوز أن تكون العبادة وسيلة إلى شيء من الدنيا قال الله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاة الدنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ** ﴾⁽²⁾ .

---

(١) الشورى : ٢١

(٢) هود : ١٥

٣٧١

عندنا في القرية وفي ليلة عيد الفطر أوْ ليلة عيد الأضحى المبارك عندما يعرف النّاس أنّ غدًا عيد يخرجون إلى القبور في اللّيل ويُضيئُون الشموع على قُبور مَوْتاهم وَيدْعُون الشيُّوخ ليقرأوا القرآن على القبور ، وما صِحّة هذا الفعل . . ؟

هذا فِعْل باطل مُحرَّم وهو سَبَب للعنةِ الله عز وجل فإنَّ النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِرَات القُبور والمتَّخذِينَ عَلَيْهَا المسَاجد والسُّرج» والخروج إلى المقابر في لَيْلة العيد ولو لزيارتها بِدْعة فإن النبي ﷺ لم يَرِدْ عنه أنَّه كان يُخَصِّص لَيْلة العيد ولا يوم العيد لزيارة المقبرة وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «إيَّاكُم ومُحْدثَاتِ الأُمُور فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَة وكُلّ بِدْعةً ضَلالَة وكُلّ ضَلالةٍ في النَّار» ، فعلى المرء أنْ يَتحَرَّى في عباداته وكل ما يفعله ممَّا يُتَقَرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ أن يتحرى في ذلك شَريعة الله تبارك وتعالى لأنَّ الأصل في العبادات المَنْع والحَظْر إلا ما قام الدَّليل على مَشْروعيته وما ذكره السَّائل من إسْراج القبور ليلة العيد قد دلَّ الدليل على مَنْعه وعلى أنَّه من كبائر الذنوب كما أشَرْتُ إليه قبل قَليل من قبل أنَّ النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِراتِ القُبُور والمُتَّخِذين عَلَيْها المَسَاجِد والسُّرج» .

وأما قضية زيارة القبور فإنها مَشروعة في سَائر الأيَّام لا في يوم الجُمعة خَاصَّة ولا في يوم العيد خاصَّة بل في سائر الأيَّام زيارة القبور مشروعة الزِّيارة الشَّرعية التي يكون القصد منها الاعتبار والاتعاظ بالموتى والتَّوبة إلى الله سُبحانه وتعالى و تَذَكُّر الموت كما قال ﷺ «زُورُوا القُبُور فَإنَّها تُذَكِّر بِالآخِرَة» ويكون القَصْد منها أيضًا نفْع الأموات بالدُّعاء لهم والاستغفار لهم والتَّرحم عليهم فإنَّهم بحاجة إلى دعوات الأحياء واستغفارهم في سائر الأيَّام وتخصيص يوم الجمعة ويوم العيد لا أعلم له أصْلًا من السُّنة وكونهم تُرَدُّ أرْواحهم في هذين اليومين خاصَّة لم يَثْبُتْ فيه شيء عن النبي ﷺ وهذا من عِلْم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا يَجُوز الكلام فيه إلا بدليلٍ صَحيحٍ عن النبي ﷺ .

٣٧٢ ما ردكم على من ينكرون أحاديث الرجم ، وأحاديث المهدي المنتظر ، وأحاديث الخروج من النار ودخول الجنة وكذلك ينكرون الأحاديث القدسية وحديث الذبابة ؟

أولًا : الرجم وهو رجم الزاني المحصن أي إذا زنى الرجل أو المرأة المحصنان أي قد تزوجا بعقد صحيح وحصل الجماع وهما بالغان عاقلان حُرَّان فإنه حينئذ يجب رجمهما ، والرجم أن يرجم الزاني بالحجارة التي ليست بالكبيرة ولا الصغيرة إلى أن يموت ، والرجم ثابت بكتاب الله

وبسنة رسول الله ﷺ ، وهو من مشروعات الإسلام ، وحتى اليهود فإنه مشروع عندهم .

ثبت في الصَّحيحين من حديث عمر بن الخطابْ رضي الله عنه أنه خطب على منبر النبي ﷺ وعلى مَسْمَع من الصحابة وكان فيما قاله في خطبته : «أنَّ الله تَعَالى أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجْم قال : فَقَرَأْنَاهَا وَحَفظْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَرَجَم النَّبي ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَه ، وإنِّي أَخْشَى إنْ طَالَ بالنَّاس زَمَان أَنْ يَقُولوا إنَّا لا نَجِدُ الرَّجم في كتاب الله» وهذا الذي توقعه عمر وقع من مثل هذا الرجل الذي ينكر الرجم – قال : وإن الرَّجم حق ثابت في كتاب الله على من زَنى إذا أُحصِنَ إذا قامت البَينة ، أو كان الحَبَل ، أو الاعْتِراف . والذي خطب وقال ذلك هو عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لهذه الأمة ، وقال ذلك على منبر رسول الله ﷺ وفي مسجده ﷺ وحوله الصحابة أعدل الأمة . أترون بعد ذلك أن يكون كلام أمير المؤمنين عمر باطلًا ؟ لا والله أبدًا ، إن كنا نظن أن الشَّمس في رابعة النَّهار ليست هي الشَّمس فإننا نظن أن كلام عمر ليس هو الحق .

فالرَّجم ثابت في كتاب الله لكنه مَنْسُوخ لفظًا لا حكمًا ، لأن النَّسخ في كتاب الله إما أن يكون لفظًا وحكمًا ، أو لفظًا لا حكمًا ، أو حكمًا لا لفظًا .

وقد يقول قائل : ما هي الحكمة من نَسْخه لَفْظًا مع أهميته ؟

الحكمة – عندي – والله أعلم إظهار فضل هذه الأمة وامتثالها لأمر ربها ، فهي تُرْجُم ، وإن كان الرَّجم ليس ظاهرًا في القرآن ، بينما اليهود الرَّجم عندهم مكتوب في التَّوراة ويحاولون إخفاءه .

اليهود نزل الرجم في التوراة عندهم ، لكن لما كَثُر الزِّنا في أشرافهم والعياذ بالله استكبروا أن يَرْجموهم ، فقالوا : ضعوا عقوبة أخرى ، فوضعوا عقوبة فصاروا يُسَوِّدُون الزاني ، ويركبونه حمارًا هو والزانية أحدهما وجهه إلى دبر الحمار والآخر وجهه إلى رأس الحمار ، ويمشون في الأسواق وقالوا وهذا العار يكفي عن الرجم ، فشاء الله عز وجل أن يزني رجل بأمراة منهم في عهد النبي ﷺ . فقالوا : اذهبوا إلى هذا الرجل لعلكم تجدون عنده مخرجًا من الرجم ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فأمرهم بما في التوارة أن يرجموه وجيء بالتوراة ليقرأوها بين يدي الرسول ﷺ ، فوضع القارىء يده على آية الرَّجم في التَّوراة لإخفائها وكان عبد الله بن سلام رضي الله عنه من أحبار اليهود ولكنه أسْلَمَ فقال للقارىء : ارفع يدك – لأنه يعرف التَّوراة – فرفع القارىء يده ، فإذا آية الرجم تلوح ظاهرة فأمر النبي ﷺ برجمهما .

فهؤلاء اليهود حاولوا إخفاء ما كان مَكْتُوبًا في التَّوراة ، والأمة الإسلامية ولله الحمد نَفَّذت ما كان مَنْسوخًا لا يرى في القرآن ، لكنه ثابت في عهد الرسول ﷺ وقرىء وحفظ وفهم ونفذ .

فالرجم إذن ثابت في القرآن والسنة وإجماع المسلمين .

أما أحَاديث المَهْدِي فهي تَنْقَسِم إلى أَرْبعَة أقْسام : أحَاديث مَكْذُوبة ، وأحاديث ضَعِيفة ، وأحَاديث حَسَنَة لكنها بمجموعها تَصِل إلى درجة الصِّحة على أنها صَحِيحة لغيرها ، بل قال بعض العلماء إن فيها ما هو صَحِيحٌ لذاته .

ولكنه ليس المهدي المَزْعوم الذي يقال إنه في سِرْداب في العراق ، فإن هذا لا أصل له وهو خُرافة ولا حقيقة له ، ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم يُخلق ويولد في وقته ، ويخرج إلى الناس في وقته فهذه قصة المهدي فإنكاره مطلقًا خطأ وإثباته مطلقًا خطأ أي إثباته على وجه يشمل المهدي المنتظر الذي يقال إنه في السرداب هذا خطأ ، لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خبل في العقل وضلال في الشرع وليس له أصل ، وإثْبَاتُ المهدي الذي أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام وتكررت فيه الأحاديث والذي سيولد في وقته ويخرج في وقته هذا حق .

وأما الأحاديث القُدْسية فإنْكَارُها ضَلَال مُبين ، لأنها ثابتة عن الرسول ﷺ بسند الثِّقات في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، والأحاديث القدسية هي التي يرويها النبي ﷺ عن ربه مثل قول النبي ﷺ قال تعالى : « أنا أغْنَى الشُّركاء عَنِ الشِّرك مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ فِيه مَعي غَيْري تَرَكته وشِرْكه» ومثل قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : «يَا عبَادي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلْم عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْته بَيْنكم مُحَرَّمًا» .

وأمثلة هذا كثيرة جدًا ، وقد جمعها بعضهم حتى بلغت سُتّمائة حديث ، لكن منها – أي الستمائة – ما هو ضَعِيف لا يعتبر به ، وعلى كل حال فإن علماء الحديث وغيرهم يُثْبِتُون هذه وهي متواترة عن رسول الله ﷺ .

وأما حديث الذُّبابة ، فهو ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا وَقَع الذُّباب في شَرَاب أحَدكم فَلْيَغْمِسْهُ ثُمّ لينزعْه ، فإنَّ في أحَدِ جَنَاحَيْه دَاء وفِي الآخر شِفَاء » هذا حديث ثبت عن الرسول ﷺ ، والطب شاهد له .

وإني أقول إذا ثبت الحديث عن النبي ﷺ فلا يهمنا أن يشهد له الطب بصِدْقه أو لا يشهد ، بل بعبارة أعم إذا ثبت الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يهمنا أن يشهد له العلم الحديث سواء كان طِبًّا أو غيره – أن يشهد – بصدقه أو لا يشهد ، لأن ما يقال إنه علم ويخالف الأحاديث الصحيحة فإننا نقول إنه ليس بعلم ، ولكنه وهم ، وستُبَيِّن الأيام صِدْق ما ثَبَتَتْ به الأحاديث عن رسول الله ﷺ .

فحديث الذُّبابة أنكره من أنكره من الناس وقالوا هذا لا يمكن ، ولكن المحققين من أهل الطِّب أثبتوا أن هذا ممكن وأنه تحت جناحه غدة إذا وقع في شراب انفجرت واختلطت بهذا الشراب فكانت داء وفي الجناح الآخر غدة تنفجر بإذن الله إذا غمس الجناح الثاني في هذا الشراب فتقضي على داء الغدة الأولى ، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ

ليبين سبحانه وتعالى لعباده عظيم قدرته ، فهذه الذبابة التي هي أضعف المخلوقات اجتمع فيها ضدان داء ودواء .

وقد زاد الترمذي أو أبو داود – والنسيان مني – «وَإِنَّه يتقى بِجَنَاحه الَّذِي فِيهِ الدَّاء» أي إنه عندما يسقط يسقط على الجنَاح الذي فيه الداء ، ولكنه يزول ذلك بِغَمْسِه .

بقي أن يقول قائل : إذا سقط في لبن مَثَلًا وغمسته وأخرجته ورميت به هل يلزمني أن اشرب هذا اللبن ؟ فالجواب : أنه لا يلزمه أن يشربه ، لكن لا يتجنبه خوفًا من الداء ، لأن الداء كفى شره بالدواء الذي في الجناح الثاني .

التصوير

٣٧٣ ما رأي فضيلتكم في التصوير الفوتوغرافي ؟

الصور الفوتوغرافية الذي نرى فيها أن هذه الآلة التي تُخرج الصورة فورا وليس للإنسان في الصورة أي عمل نرى أن هذا ليس من باب التصوير ، وإنما هو من باب نقل صورة صوّرها الله عز وجل بواسطة هذه الآلة ، فهي انطباع لا فعل للعبد فيه من حيث التصوير ، والأحاديث الواردة إنما هي في التصوير الذي يكون بفعل العبد ويضاهي به خلق الله ويتبين لك ذلك جيدا بما لو كتب لك شخص رسالة فصورتها في الآلة الفوتوغراقية فإن هذه الصورة التي تخرج ليست هي من فعل الذي أدار الآلة وحرّكها ، فإن هذا الذي حرك الآلة ربما يكون لا يعرف الكتابة أصلا ، والناس يعرفون أن هذه كتابة الأول ، والثاني ليس له أي فعل فيها ولكن إذا صور هذا التصوير الفوتوغرافي لغرض محرّم فإنه يكون حراما تحريم الوسائل .

٣٧٤ ما حُكْم لبْس الثيابِ التي فيها صُوَرٌ ؟

لا يجوز للإنسان أن يلبس ثيابا فيها صورة حيوان أو إنسان ، ولا يجوز أيضا أن يلبس غُتْرة أو شماغا أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان ، وذلك لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال « إنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فيه صورةٌ » ولهذا لا نرى لأحد أن يقتني الصور للذكرى كما يقولون ، وأن من عنده صور للذكرى فإن الواجب عليه أن يتلفها سواء كان قد وضعها على الجدار أو وضعها في ألبوم أو في غير ذلك ، لأن بقاءها يقتضي حرمان أهل البيت من دخول الملائكة بيتهم ، وهذا الحديث الذي أشرت إليه قد صَحّ عن النبي ﷺ . والله أعلم .

٣٧٥ ما حُكْم رَسم ذوات الأرواح ؟ وهل هو داخل في عموم الحديث القدسي « ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلْقِي ، فلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أو ليخلقوا حَبَّةً أو ليخلقوا شَعِيرَةً » ؟

نعم هو داخل في هذا الحديث . لكن الخَلْق خَلْقان خلق جسمي وصفي ، وهذا في الصور المجسّمة . وخلق وَصْفِي لا جسمي وهذا في الصور المرسومة .

وكلاهما يدخل في الحديث المتقدم ، فإن خَلْق الصفة كخلق الجسم وإن كان الجسم أعظم لأنه جمع بين الأمرين الخلق الجسمي والخلق الوصفي ، ويدل على ذلك – أي العموم – وإن التصوير محرّم باليد ، سواء كان تجسيما أم كان تلوينا عمومُ لَعْنِ النبيِّ ﷺ للمصورين فعموم لعن النبي ﷺ للمصورين يدل على أنه لا فرق بين الصور المجَسَّمة والملونة التي لا يحصل التصوير فيها إلا بالتلوين فقط ، ثم إن هذا هو الأجوط والأولى بالمؤمن أن يكون بعيدا عن الشُبَه ، ولكن قد يقول قائل أليس الأحوط في اتباع ما دل عليه النص لا في اتباع الأشد ؟ فنقول : صحيح إن الأحوط اتباع ما دلَ عليه النص لا اتباع الأشد ، لكن إذا وجد لفظ عام يمكن أن يتناول هذا وهذا فالأحوط الأخذ بعمومه وهذا ينطبق تماما على حديث التصوير فلا يجوز للإنسان أن يرسم صورة ما فيه روح من إنسان وغيره لأنه داخل في لَعْن المصورين . والله الموفق .

٣٧٦ ما حكم تعليق الصور على الجُدْران ؟

تعليق الصور على الجدران ولا سيما الكبيرة منها حرام حتى وإن لم يخرج إلا بعض الجسم والرأس وقصد التعظيم فيها ظاهر وأصل الشرك هو هذا الغلو كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في أصنام قوم نوح التي يعبدونها : إنها كانت أسماء رجال صالحين صَوَّرُوا صُوَرَهم ليتذكروا العبادة ثم طال عليهم الأَمَدُ فعبدوهم .

٣٧٧ ـــ ما حكم اقتناء الصور للذِّكْرى ؟

اقتناء الصور للذكرى مُحَرَّم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ، وهذا يدل على تحريم اقتناء الصور في البيوت . والله المستعان :

٣٧٨ ـــ ما حُكْم صُنْع التماثيل ؟ والله يحفظكم ويرعاكم .

صنع التماثيل المجسمة إن كانت من ذوات الأرواح فهي محرمة لا تجوز ، لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه لَعَنَ المصورين وثبت أيضا عنه أنه قال : « قال الله عز وجل : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلْقِي » وهذا محرّم .

أما إذا كانت التماثيل ليست من ذوات الأرواح فإنه لا بأس بها ، وكسبها حلال لأنها من العمل المباح . والله الموفق .

٣٧٩ ـــ سئل فضيلة الشيخ : ما حكم التصوير ؟

فأجاب بقوله : التصوير على أنواع : ـ

النوع الأول : أن يصور ماله ظل وجسم على هيئة إنسان أو حيوان ، وهذا حرام ولو فعله عبثًا ولو لم يقصد المضاهاة ؛ لأن المضاهاة لا يشترط

فيها القصد حتى لو صنع هذا التمثال لابنه لكي يهدئه به .

فإن قيل : أليس المحرم ما صور لتذكار قوم صالحين كما هو أصل الشرك في قوم نوح ؟

أجيب : إن الحديث في لعن المصورين عام ، لكن اذا إنضاف إلى التصوير هذا القصد صار أشد تحريمًا .

النوع الثاني : أن يصور صورة ليس لها جسم بل بالتلوين والتخطيط ، فهذا محرم أيضًا لعموم الحديث ، ويدل له حديث النُّمْرقَة حيث أقبل النبي ﷺ إلى بيته فلما أراد أن يدخل رأى نُمْرُقَةً فيها تصاوير فوقف وتأثر ، وعرفت الكراهة في وجهه ﷺ فقالت عائشة رضي الله عنها : ما أذنبت يا رسول الله . فقال : « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » فالصور بالتلوين كالصور بالتجسيم على الصحيح ، وقوله في صحيح البخاري « إِلَّا رَقْماً فِي ثَوْبٍ » إن صحت الرواية هذه فالمراد بالاستثناء ما يحل تصويره من الأشجار ونحوها ليتفق مع الأحاديث الأخرى .

النوع الثالث : أن تلتقط الصورة التقاطًا بأشعة معينة بدون أي تعديل أو تحسين من المُلْتَقِط ، فهذا محل خلاف العلماء المعاصرين على قولين :

القول الأول : أنها صورة وإذا كان كذلك فإن حركة هذا الفاعل تعتبر تصويرًا إذ لولا تحريكه إياها ما انطبعت هذه الصورة على هذه الورقة ونحن متفقون على أن هذه صورة فحركته تعتبر تصويرًا فيكون داخلًا في العموم .

٥٢٧ من المجلد المذكور على حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالنبات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلَي فيلعبن معي .

قال في شرحه : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخُصَّ ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور قال وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ وخَصَّهُ بعضهم بالصغار .

وإن من المؤسف أن بعض قومنا الآن صاروا يقتنون هذه الصور ويضعونها في مجالسهم أو مداخل بيوتهم نزلوا بأنفسهم إلى رتبة الصبيان مع اكتساب الإثم والعصيان نسأل الله لنا ولهم الهداية .

النوع الثاني : أن تكون الصورة غير مجسمة بأن تكون رقما على شيء فهذه أقسام :

القسم الأول : أن تكون معلقة على سبيل التعظم والإجلال مثل ما يعلق من صور الملوك والرؤساء والوزراء والعلماء والوجهاء والآباء وكبار الأخوة ونحوها فهذا القسم حرام لما فيه من الغلو بالمخلوق والتشبه بِعُبَّادِ الأصنام والأوثان مع أنه قد يجر إلى الشرك فيما إذا كان المُعَلَّقُ صورة عالم أو عابد ونحوه .

القسم الثاني : أن تكون معلقة على سبيل الذكرى مثل من يعلقون صور أصحابهم وأصدقائهم في غرفهم الخاصة فهذه محرمة فيما يظهر لوجهين :

الوجه الأول : أن ذلك يوجب تعلق القلب بهؤلاء الأصدقاء تعلقا لا ينفك عنه وهذا يؤثر تأثيرًا بالغًا على محبة الله ورسوله وشرعه ويوجب تشطير المحبة بين هؤلاء الأصدقاء وما تجب محبته شرعًا وكأن قارعًا يقرع قلبه كلما دخل غرفته . انتبه . انتبه . صديقك . صديقك . وقد قيل :

أَحْبِبْ حَبِيبَك هَوْنًا مَا   فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بغِيضكَ يَوْمًا مَا

الوجه الثاني : أنه ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْب وَلاَ صُورَة » وهذه عقوبة ولا عقوبة إلا على فعل محرم .

القسم الثالث : أن تكون معلقة على سبيل التجميل والزينة فهذه محرمة أيضًا لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سَفَرٍ وقد سترت بِقِرَامٍ لي على سَهْوَةٍ لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ هَتَكَهُ وقال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَة الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله » قالت : فجعلته وسادة أو وسادتين . رواه البخاري

القِرَامُ : خِرْقَةٌ تفرش في الهَوْدَجِ أو يغطى بها يكون فيها رقوم ونقوش .

والسَّهْوَةُ : بيت صغير في جانب الحجرة يُجْعَلُ فيه المتاع .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نُمْرُقَةً فيها تصاوير فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية قالت : فقلت : أتوب إلى الله ماذا أذنبت ؟ قَالَ : « مَا هَذِهِ النُّمرُقَةُ » ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها فقال النبي ﷺ : « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَة يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَة لاَ تَدْخُلُ

بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ » رواه البخاري . النمرقة : الوسادة العريضة تصلح للاتكاء والجلوس .

القسم الرابع : أن تكون ممتهنة كالصورة التي تكون في البساط والوسادة وعلى الأواني وسماط الطعام ونحوها فنقل النووي عن جمهور العلماء من الصحابة والتابعين جوازها وقال : هو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي وهو كذلك مذهب الحنابلة ونقل في فتح الباري ص ١٩٣ ج ١٠ ط السلفية حاصل ما قيل في ذلك عن ابن العربي فقال : حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع وإن كانت رقما فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقًا على ظاهر قوله في حديث الباب إلا رقما في ثوب .

الثاني : المنع مطلقًا حتى الرقم .

الثالث : إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز قال وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقا لم يجز ا .هـ . والذي صححه هو ظاهر حديث النمرقة والقول الرابع هو ظاهر حديث القرام ويمكن الجمع بينهما بأن النبي ﷺ لما هتك الستر تفرقت أجزاء الصورة فلم تبق كاملة بخلاف النمرقة فإن الصورة كانت فيها كاملة فحرم اتخاذها وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ

فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي عَلَى بَابِ الْبَيْتِ يُقْطَع فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ وَمُر بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَع فَلْيُجْعَل مِنْهُ وِسَادَتَانِ مَنْبُوذَتَانِ تُوطَآنِ وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيَخْرُج » ففعل رسول الله ﷺ رواه أهل السنن وفي رواية النسائي إمَّا أن تَقطَعَ رُؤُسَهَا أَوْ تَجْعَلَ بُسُطًا تُوطَأ ذُكِرَ هذا الحديث في فتح الباري ص ٢٩٣ من المجلد العاشر السابق وزعم في ص ٩٣٠ أنه مؤيد للجميع الذي ذكرناه وعندي أن في ذلك نظر ؛ فإن هذا الحديث ولا سيما رواية النسائي تدل على أن الصورة إذا كانت في شيء يمتهن فلا بأس بها وإن بقيت كاملة وهو رأي الجمهور كما سبق .

القسم الخامس : أن تكون مما تعم به البلوى ويشق التحرز منه كالذي يوجد في المجلات والصحف وبعض الكتب ولم تكن مقصودة لمقتنيها بوجه من الوجوه بل هي مما يكرهه ويبغضه ولكن لا بد له منها والتخلص منها فيه عسر ومشقة وكذلك ما في النقود من صور الملوك والرؤساء والأمراء مما ابتليت به الأمة الإسلامية فالذي يظهر لي أن هذا ألا حرج فيه على من وقع في يده بغير قصد منه إلى اتخاذه من أجل صورة بل هو يكرهه أشد الكراهة ويبغضه ويشق عليه التحرز منه فإن الله تعالى لم يجعل على عباده في دينهم من حرج ولا يكلفهم شيئًا لا يستطيعونه إلا بمشقة عظيمة أو فساد مال ولا يصدق على مثل هذا أنه متخذ للصورة ومقتن لها .

وأما سؤالكم عن الصورة التي تمثل الوجه وأعلى الجسم فإن حديث أبي هريرة الذي أشرنا إليه يدل على أنه لابد من قطع الرأس وفصله فصلًا تامًا عن بقية الجسم فأما إذا جمع إلى الصدر فما هو إلا رجل جالس بخلاف ما إذا أبين الرأس إبانة كاملة عن الجسم ولهذا قال الإمام أحمد

رحمه الله : الصورة الرأس . وكان إذا أراد طمس الصورة حك رأسها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فليس هو صورة . فتهاون بعض الناس في ذلك مما يجب الحذر منه .

نسأل الله لنا ولكم ولإخواننا المسلمين السلامة والعافية مما لا تحمد عقباه إنه جواد كريم .

٣٨١ —— سئل فضيلة الشيخ : هل يجب إتلافُ الرأسِ في الصورِ لزَوالِ التحريمِ ؟ أو يَكْفِي فَصلُه عن الجِسْمِ ؟ وما حكم الصور التي في العلب والمجلات والصحف ورخص القيادة والدراهم ؟ وهل تمنع من دخول الملائكة ؟

فأجاب بقوله : إذا فصل الرأس عن الجسم فظاهر الحديث « مُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ فَلْيُقْطعْ » أنه لا يجب إتلاف الراس ، لأنه لم يذكر في الحديث إتلافه وإن كان في ذلك شيء من التردد .

وأما الجسم بلا رأس فهو كالشجرة لا شك في جوازه .

وأما بالنسبة لما يوحد في العلب والمجلات والصحف من الصور فما يمكن التحرز منه ، فالورع تركه ، وأما ما لا يمكن التحرز منه والصورة فيه غير مقصودة فالظاهر أن التحريم يرتفع فيه بناءً على القاعدة

الشرعية ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾⁽¹⁾ والمشقة تجلب التيسير والبعد عنه أولى .

وكذلك بالنسبة لما يوجد في رخص القيادة ، وحفائظ النفوس والشهادات والدراهم فهو ضرورة لا إثم فيه ولا يمنع ذلك من دخول الملائكة .

وأما قوله ﷺ : « وَأَن لاَ تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا » ففيه احتمال قوي أن المراد كل صورة مقصودة اتخذت لذاتها لا سيما في أوقاتهم فلا تجد صورة في الغالب إلا مقصودة لذاتها . ولا ريب أن الصور المقصودة لذاتها لا يجوز اقتناؤها كالصور التى تتخذ للذكرى أو للتمتع بالنظر إليها أو للتلذذ به ونحو ذلك .

٣٨٢ وسئل : أيضًا عن حكم التصوير ؟ وكيف يفعل من طلب منه التصوير في الامتحان ؟ وما حكم مشاهدة الصور في المجلات والتلفزيون ؟

فأجاب بقوله : سؤالكم عن التصوير فالتصوير نوعان :

أحدهما : أن يكون تصوير غير ذوات الأرواح كالجبال والأنهار والشمس والقمر والأشجار فلا بأس به عند أكثر أهل العلم وخالف بعضهم فمنع تصوير ما يثمر كالشجر والزروع ونحوها والصواب قول الأكثر .

---

(١) الحج : ٧٨ .

الثاني : أن يكون تصوير ذوات الأرواح فإن كان باليد فلاشك في تحريمه وأنه من كبائر الذنوب لما ورد فيه من الوعيد الشديد مثل حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » رواه مسلم ، وحديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور رواه البخاري ، وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ » . رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم : « الذين يشبهون بخلق الله » وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمْ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شعيرَةً » رواه البخاري ومسلم . والتصوير المذكور ينطبق على التصوير باليد بأن يخطط الإنسان الصورة بيده حتى يكملها فتكون مثل الصورة التي خلق الله تعالى لأنه حاول أن يبدع كإبداع الله تعالى ويخلق كخلقه وإن لم يقصد المشابهة لكن الحكم إذا علق على وصف تعلق به فمتى وجد الوصف وجد الحكم والمصور إذا صنع الصورة تحققت المشابهة بصنعه وإن لم ينوها والمصور في الغالب لا يخلو من نية المضاهاة ولذلك تجده يفخر بصنعه كلما كانت الصورة أجود وأتقن . وبهذا تعرف سقوط ما يموه به بعض من يستسيغ التصوير من أن المصور لا يريد مشابهة خلق الله لأننا نقول له : المشابهة حصلت بمجرد صنعك شئت أم أبيت . ولهذا لو عمل شخص عملا يشبه عمل شخص آخر لقلنا نحن وجميع الناس إن عمل هذا يشبه عمل ذاك وإن كان هذا العامل لم يقصد المشابهة .

فأما إن كان تصوير ذوات الأرواح بغير اليد مثل التصوير بالكاميرا التي تنقل الصورة التي خلقها الله تعالى على ما هي عليه من غير أن يكون للمصور عمل في تخطيطها سوى تحريك الآلة التي تنطبع بها الصورة على الورقة فهذا محل نظر واجتهاد لأنه لم يكن معروفًا على عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ومن ثَمَّ اختلف فيه العلماء المتأخرون فمنهم من منعه وجعله داخلًا فيما نهى عنه نظرًا لعموم اللفظ له عرفًا ومنهم من أحله نظر للمعنى فإن التصوير بالكاميرا لم يحصل فيه من المصور أي عمل يشابه به خلق الله تعالى وإنما انطبع بالصورة خلق الله تعالى على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها ونظير ذلك تصوير الصكوك والوثائق وغيرها بالفتوغراف فإنك إذا صورت الصك فخرجت الصورة لم تكن الصورة كتابتك بل كتابة من كتب الصك انطبعت على الورقة بواسطة الآلة فهذا الوجة أو الجسم المصور ليست هيئته وصورته وما خلق الله فيه من العينين والأنف والشفتين والصدر والقدمين وغيرها ليست هذه الهيئة والصورة بتصويرك أو تخطيطك بل الآلة نقلتها على ما خلقها الله تعالى عليه وصورها . بل زعم أصحاب هذا القول أن التصوير بالكاميرا لا يتناوله لفظ الحديث كما لا يتناوله معناه فقد قال في القاموس : الصورة الشكل قال : وصور الشيء : قطعه وفصله . قالوا وليس في التصوير بالكاميرا تشكيل ولا تفصيل وإنما هو نقل شكل وتفصيل شَكَّلَهُ وفَصَّلَهُ الله تعالى قالوا والأصل في الأعمال غير التعبدية الحل إلا ما أتى الشرع بتحريمه كما قيل :

والأَصْلُ فِي الأَشْيَاءِ حِل وَامْنَعْ   عِبَادَةً إِلَّا بِإِذْنِ الشَّارِعِ
فَإِنْ يَقَعْ فِي الْحُكْمِ شَكٌّ فَارْجِعَ   لِلأَصْلِ فِي النَّوْعَينِ ثُمَّ اتبعِ

والقول بتحريم التصوير بالكاميرا أحوط ، والقول بحِلِه أقعد لكن القول بالحل مشروط بأن لا يتضمن امرًا محرمًا فإن تضمن أمرًا محرمًا كتصوير امرأة أجنبية أو شخص ليعلقه في حجرته تذكارًا له أو يحفظه فيما يسمونه (ألْبُوم) ليتمتع بالنظر إليه وذكراه كان ذلك محرما لأن اتخاذ الصور واقتناءها في غير ما يمتهن حرام عند أهل العلم أو أكثرهم كما دلت على ذلك السنة الصحيحة .

ولا فرق في حكم التصوير بين مَا لَهُ ظِل وهو الجسم وما لا ظل له لعموم الأدلة في ذلك وعدم المُخَصِّص .

ولا فرق أيضًا في ذلك بين ما يصور لعبا ولهوا وما يصور على السبورة لترسيخ المعنى في أفهام الطلبة كما زعموا وعلى هذا فلا يجوز للمدرس أن يرسم على السبورة صورة إنسان أو حيوان . وإن دعت الضرورة إلى رسم شيء من البدن صَوَّرَهُ منفردًا بأن يصور الرِّجْلَ وحدها ثم يشرح ما يحتاج إلى شرح منها ثم يمسحها ويصور اليد كذلك ثم يمسحها ويصور الرأس وهكذا كل جزء وحده فلا بأس به إن شاء الله تعالى .

وأما من طلب منه التصوير في الامتحان فليصور شجرة أو جبلًا أو نهرًا لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مع أني لا أظن ذلك يطلب منه إن شاء الله تعالى . .

وأما مشاهدة الصور في المجلات والصحف والتلفزيون فإن كانت صور غير آدمي فلا بأس بمشاهدتها لكن لا يقتنيها من أجل هذه الصور وإن كانت صور آدمي فإن كان يشاهدها تلذذًا أو استمتاعا بالنظر فهو

حرام وإن كان غير تلذذ ولا استمتاع ولا يتحرك قلبه ولا شهوته بذلك فإن كان ممن يحل النظر إليه كنظر الرجل إلى الرجل ونظر المرأة إلى المرأة أو إلى الرجل أيضًا على القول الراجح فلا بأس به لكن بقتنيه من أجل هذه الصور وإن كان ممن لا يحل له النظر إليه كنظر الرجل إلى المرأة الأجنبية فهذا موضع شك وتردد والاحتياط أن لا ينظر خوفًا من الفتنة وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا » والنعت بالصورة أبلغ من النعت بالوصف إلا أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد من وجه آخر بلفظ : لِتَنْعِتَهَا لِزَوْجِهَا وذكر في الفتح الباري ص ٣٣٨ ح٩ الطبعة السلفية أن النسائي زاد في روايته : في الثَّوْبِ الواحِدِ وهو مفهوم من قوله : لا تباشر ومجموع الروايات يقتضي أن الزوجة عمدت إلى مباشرة المرأة لتصف لزوجها ما تحت الثياب منها ومن أجل هذا حصل عندنا الشك والتردد في جواز نظر الرجل إلى صورة المرأة في الصحف والمجلات والتلفزيون والبعد عن وسائل الفتن مطلوب والله المستعان .

٣٨٣ ــــــــــ سئل فضيلة الشيخ : ما حكم صور الكرتون التي تخرج في التلفزيون ؟ وما قولكم في ظهور بعض المشائخ فيه ؟ وما حكم استصحاب الدراهم التي فيها صور ؟

فأجاب قائلًا : أما صور الكرتون التي ذكرتم أنها تخرج في التلفزيون فإن كانت على شكل آدمي فحكم النظر إليها محل تردد هل يلحق بالصور الحقيقية أولا ؟ والأقرب أنه لا يلحق بها . وإن كانت على شكل غير آدمي فلا بأس بمشاهدتها إذا لم يصحبها أمر منكر من موسيقى أو نحوها ولم تله عن واجب . وأما ظهور بعض المشائخ في التلفزيون فهو محل اجتهاد إن أصاب الإنسان فيه له أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ولا شك أن المحب للخير منهم قصد نشر العلم وأحكام الشريعة لأن التلفزيون أبلغ وسائل الإعلام وضوحًا وأعمها شمولًا وأشدها من الناس تعلقًا فهم يقولون إن تكلمنا في التلفزيون وإلا تكلم غيرنا وربما كان كلام غيرنا بعيدا من الصواب فننصح الناس ونوصد الباب ونسد الطريق أمام من يتكلم بغير علم فيضل ويضل .

وأما استصحاب الرجل ما ابتلي به المسلمون اليوم من الدراهم التي عليها صور الملوك والرؤساء فهذا أمر قديم وقد تكلم عليه أهل العلم ولقد كان الناس هنا يحملون الجنيه الفرنجي وفيه صورة فرس وفارس ويحملون الريال الفرنسي وفيه صورة رأس ورقبة وطير والذي نرى في هذا أنه لا إثم على من استصحبه لدعاء الحاجة إلى حمله إذ الإنسان لابد له من حمل شيء من الدراهم في جيبه ومنع الناس من ذلك فيه حرج وتعسير وقد قال الله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾(٢) وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَن يُشَادَّ

---

(١) البقرة . ١٨ .

(٢) الحج ٠ ٧٨ .

الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا » رواه البخارى . وقال لمعاذ ابن جبل وأبي موسى عند بعثهما إلى اليمن : « يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا » وقال لناس حين زجروا الأعرابي الذي بال في المسجد : « دَعُوهُ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواهما البخاري أيضًا .

فإذا حمل الرجلِ الدراهم التي فيها صورة أو التابعية أو الرخصة وهو محتاج إليهما أو يخشى الحاجة فلا حرج في دلك ولا إثم إن شاء الله تعالى إذ كان الله تعالى يعلم أنه كاره لهذا التصوير وإقراره وأنه لولا الحاجة إليه ما حمله .

والله أسأل أن يعصمنا جميعًا والمسلمين من أن تحيط بنا خطايانا وأن يرزقنا الثبات والاستقامة على ديه إنه جواد كريم .

٣٨٤ **سئل الشيخ : هل استثناء بعض العلماء لعب الأطفال من التصوير صحيح ؟ وهل قول الشيخ .. بجواز الصور التي ليس لها ظل وإنما هي نقوش بالألوان قول صحيح ؟**

فأجاب بقوله : استثناء لعب الأطفال صحيح لكن ما هي اللعب المستثناه أهي اللعب التي كانت معهودة من قبل وليست على هذه الدقة في التصوير فإن اللعب المعهودة من قبل ليس فيها تلك العيون والشفاه

والأنوف كما هو المشاهد الآن في لعب الأطفال أن أن الرخصة عامة فيما هو لعب أطفال ولو كان على الصور المشاهدة الآن ؟

هذا محل تأمل والاحتياط تجنب هذه الصور الشائعة الآن والاقتصار على النوع المعهود من قبل .

وأما الصور التي ليس لها ظل وإنما هي نقوش بالألوان فإن دعوى الجواز فيها نظر حيث استند في ذلك إلى أنه كان ممنوعًا ثم أجيز ؛ لأن من شروط النسخ تعذر إمكان الجمع بين النصين والعلم بتأخر الناسخ وأما مع إمكان الجمع فلا تقبل دعوى النسخ ؛ لأن الجمع يكون فيه العمل بالدليلين والنسخ يكون فيه إبطال أحد الدليلين ثم إن طريق العلم بالمتأخر ليس الاستنتاج والتخمين ، بل النقل المجرد هو الطريق إلى العلم بالمتأخر ثم إن قول النبي ﷺ « إنَّ الْمَلائِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُوَرٌ » خبر والخبر لا يدخله النسخ إلا إذا أريد به الإنشاء وليس هذا مما أريد به الإنشاء . نعم الخبر يدخله التخصيص فينظر هل هذا الحديث مَخصَّصٌ بالصور التي ذكرها ؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم فمنهم من يرى أن هذا الحديث مخصص بقوله إِلَّا رَقْمًا في ثَوْبٍ وبحديث عائشة رضي الله عنها في الستر الذي فيه تمثال طائر وقد ذكر الشيخ .. أن حديث إلا رقما في ثوب رواه الخمسة وقد رواه البخاري ومسلم أيضًا ومن العلماء من يرى أن هذا الترخيص في الرقم في الثوب وتمثال الطائر كان في أول الأمر ثم نُهِيَ عنه على العكس من قول الشيخ ..

والذي يظهر لي أن الجمع ممكن وهو أن يحمل قوله إلا رقما في ثوب على ما ورد حلَّهُ مما يُتَّكَأُ عليه ويُمْتَهَنُ فيكون الرَّقْمُ في الثوب المراد به

ما كان في مخدة ونحوها لأنه الذي ورد حله وأن زيد بن خالد ألحق به الستر ونحوه وهو إلحاق غير صحيح لأن حديث عائشة رضي الله عنها في السهوة صريح في المنع منه حيث هتكه النبي ﷺ وتلون من أجله وجهه . وأما حديث مسلم في تمثال الطائر فيحمل على أنه تمثال لا رأس فيه وعلى أن النبي ﷺ كرهه لا من أجل أنه صورة ولكن من أجل أنه من باب الترف الزائد ولهذا قال حوليه فإني كلما دخلت ورأيته ذكرت الدنيا ويؤيد هذا الحمل ما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن النبي ﷺ خرج في غزاته فأخذت نمطًا فسترته على الباب فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : « إنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُو الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ » .

وعلى هذا فتكون النتيجة في هذا تحريم اقتناء الصور المجسمة والملونة والمنقورة والمزبورة إلا الملونة إذا كانت في شيء يمتهن كالفراش ونحوه فلا تحرم لكن الأولى التنزه عنها أيضًا لما في الصحيحين من حديث عائشة أنها اشترت نُمْرُقَةً للنبي ﷺ فيها تصاوير ليقعد عليها ويتوسدها فلما رآها قام على الباب ولم يدخل وعرفت الكراهية في وجهه ثم أخبر أن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال أحيوا ما خلقتم ثم قال : « إنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ » والله الموفق .

٣٨٥ سئل الشيخ عن حكم إقامة مجسم لقلب إنسان لأجل التذكير بقدرة الله وعظمته عز وجل ؟

فأجاب فضيلته : صورة القلب أو غيره من الأجزاء ليس من الصور المحرمة لأنه بعض صورة وعلى هذا فيجوز رسم القلب أواليد أو الرِّجْلِ أو الرأس كل واحد على حِدَةٍ ولكن المشكل في السؤال صرف الأموال في مثل هذا لأن النفع الحاصل به لا يساوي الأموال المصروفة فيه ولا يقرب منها فجواز صرف الأموال في هذا محل نظر والسلامة أسلم . والله تعالى الموفق .

٣٨٦ سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول النبي ﷺ « إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله » وبين كون المشرك أشد الناس عذابًا يوم القيامة ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : ذكر في الجمع بينهما وجوه :

الوجه الأول : أن الحديث على تقدير « مِنْ » أي إن من أشد الناس عذابًا بدليل أنه قد جاء بلفظ « إنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا » فيحمل ما حذفت منه على ما ثبتت فيه .

الوجه الثاني : أن الأشدية لا تعني أن غيرهم لا يشاركهم بل يشاركهم غيرهم قال تعالى : ﴿ **أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(١) فيكون الجميع مشتركين في الأشد .

ولكن يرد على هذا أن المصور فاعل كبيرة فقط فكيف يسوى بمن هو كافر مستكبر ؟

الوجه الثالث : أن الأشدية نسبية يعني أن المصورين أشد الناس عذابًا بالنسبة للعصاة الذين لم تبلغ معصيتهم الكفر لا بالنسبة لجميع الناس . وهذا أقرب الوجوه والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

٣٨٧ ــــــــــ سئل الشيخ : كثير من الألعاب تحوي صورًا مرسومة باليد لذوات الأرواح ، والهدف منها غالبًا التعليم مثل هذه الموجودة في الكتاب الناطق فهل هي جائزة ؟

فأجاب بقوله : إذا كانت لتسلية الصغار فإنّ من أجاز اللُّعَبَ للصغار يجيز مثل هذه الصور ، وأما من منع هذه الصور على أن هذه الصور ليست أيضًا مطابقة للصورة التي خلق الله عليها هذه المخلوقات المصورة كما يتضح مما هو أمامي . والخَطْب في هذا سهل .

---

(١) غافر : ٤٦ .

٣٨٨ سئل الشيخ : هناك أنواع كثيرة من العرائس منها ما هو مصنوع من القطن ، وهو عبارة عن كيس مفصل برأس ويدين ورجلين ، ومنها ما يشبه الإنسان تمامًا ، ومنها ما يتكلّم أو يبكي أو يمشي ، فما حكم صنع أو شراء مثل هذه الأنواع للبنات الصغار للتعليم والتسلية ؟

فأجاب بقوله : أما الذي لا يوجد فيه تخطيط كامل وإنما يوجد فيه شيء من الأعضاء والرأس ولكن لم تتبين فيه الخِلْقة فهذا لاشك في جوازه وأنه من جنس البنات اللاتي كانت عائشة – رضي الله عنها – تلعب بهن .

وأما إذا كان كامل الخلقة وكأنما تُشاهد إنسانًا ولا سيما إن كان له حركة أو صوت فإن في نفسي من جواز هذه شيئًا ، لأنه يُضَاهي خَلْق الله تمامًا ، والظاهر إنّ اللُّعب التي كانت عائشة تلعب بهن ليست على هذا الوصف ، فاجتنابها أولى ؛ ولكني لا أقطع بالتحريم نظرًا لأنّ الصغار يرخّص لهم مالا يرخّص للكبار في مثل هذه الأمور ، فإن الصغير مجبول على اللِّعب والتسلي ، وليس مكلّفًا بشيء من العبادات حتى نقول : إن وقته يضيع عليه هوًا وعبثًا ، وإذا أراد الإنسان الاحتياط في

مثل هذا فليقلع الرأس أو يحميه على النار حتى يلين ثم يضغطه حتى تزول معالمه .

٣٨٩ - وسئل الشيخ : هل هناك فرق بين أن يصنع الأطفال تلك اللعب ، وبين أن نصنعها نحن لهم أو نشتريها لهم ؟

فأجاب بقوله : أنا أرى أن صنعها على وجه يضاهي خلق الله حرام ، لأن هذا من التصوير الذي لا شكّ في تحريمه ، لكن إذا جاءتنا من النصارى أو غيرهم من غير المسلمين فإن اقتناءها كما قلت أولًا .

لكن بالنسبة للشراء بدلًا من أن نشتريها ينبغي أن نشتري أشياء ليست فيها صور كالدراجات أو السيارات أو الرافعات وما أشبهها .

أما مسألة القطن والذي ما تبين له صورة على الرغم مما هنالك من أنه أعضاء ورأس ورقبة ولكن ليس فيه عيون ولا أنف فما فيه بأس ، لأن هذا لا يضُاهي خلق الله .

٣٩٠ - وسئل فضيلته : عن حكم صنع ما يشبه هذه العرائس بمادة الصَّلْصَال ثم عَجْنُها في الحال ؟

فأجاب بقوله : كل من صنع شيئًا يضاهي خلق الله فهو داخل في الحديث ، وهو لَعْنُ النبيِّ ﷺ المصورين .

وقوله : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » . لكن كما قلت : إنه إذا لم تكن الصورة واضحة أي ليس فيها عين أو أنف ولا فم ولا أصابع فهذه ليست صورة كاملة ولا مضاهية لخلق الله – عز وجل – .

٣٩١ ـــــــــ **سئل الشيخ : في بعض المدارس يُطلب من الطالب أن يرسم صورة لذات رُوح ، أو يُعطَى مثلًا بَعْضَ دجاجة ، ويقال أكمل الباقي ، وأحيانًا يطلب منه أن يقصّ هذه الصورة ويلزقها على الورق ، أو يعطى صورة فيطلب منه تلوينها فما رأيكم في هذا – حفظكم الله – ؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الذي أرى في هذا أنه حرام يجب منعه ، وأن المسئولين عن التعليم يلزمهم أداء الأمانة في هذا الباب ، ومنع هذه الأشياء ، وإذا كانوا يريدون أن يثبّتوا ذكاء الطالب بإمكانهم أن يقولوا : اصنع صورة سيارة أو شجرة ، أو ما أشبه ذلك ، مما يحيط به علمه ، ويحصل بذلك معرفة مدى ذكائه وفِطْنته وتطبيقه للأمور ، وهذا مما ابتلى به الناس بواسطة الشيطان ، وإلا فلا فرق بلاشك في إجادة الرسم

والتخطيط بين أن يخطّط الإنسان صورة شجرة أو سيارة أو قصر أو إنسان .

فالذي أرى أنه يجب على المسئولين منع هذه الأشياء ، وإذا ابتلي الطالب ، ولابد فليصور حيوانًا ليس له رأس .

٣٩٢ ———— **وسئل الشيخ : قلتم في الفتوى السابقة : « إذا ابْتُلِيَ الطالبُ ولابدّ فليصوِّرْ حيوانًا ليس له رَأْس » ولكن قد يرسب الطالب إذا لم يرسم الرأس فما العمل ؟**

فأجاب قائلا : إذا كان هذا فقد يكون الطالب مضطرًّا لهذا الشيء ، ويكون الإثم على منْ أَمَرَه وكَلّفه بذلك ، ولكني آمل من المسئولين ألا يصل بهم الأمر إلى هذا الحدّ . فيضطروا عباد الله إلى معصية الله .

٣٩٣ ———— **سئل الشيخ : هل يلزم الإنسان طمْس الصور التي في الكتب ؟ وهل قطع الرأس بفاصل مع بقائه يزيل الحرمة ؟**

فأجاب - حفظه الله تعالى - بقوله : لا أرى أنه يلزم طمسها لأن في ذلك مشقة كبيرة ، ولأنها أي هذه الكتب ما قصد بها هذه الصورة إنما قُصد ما فيها من العلم .

ووضع خطّ بين الرقبة والجسم هذا لا يغير الصورة عما هي عليه .

٣٩٤ **وسئل الشيخ : عن حكم إلباس الصبي الثياب التي فيها صور لذوات الأرواح ؟**

فأجاب : يقول أهل العلم : إنه يحرم إلباس الصبي ما يحرم إلباسه الكبير ، وما كان فيه صور فإلباسه الكبير حرام ، فيكون إلباسه الصغير حرامًا أيضًا ، وهو كذلك ، والذي ينبغي للمسلمين أن يقاطعوا مثل هذه الثياب وهذه الأحذية حتى لا يدخل علينا أهل الشر والفساد من هذه النواحي ، وهي إذا قوطعت فلن يجدوا سبيلًا إلى إيصالها إلى هذه البلاد وتهوين أمرها بينهم .

٣٩٥ **سئل الشيخ : جاء في إحدى الفتاوى على لسانكم فيما يتعلق بمشاهدة الصور ما نصّه : « وإن كان ممن لا يحلّ له النظر إليه كنظر الرّجل إلى المرأة الأجنبية فهذا موضع شكّ وتردّد والاحتياط أن لا ينظر خوفًا من الفتنة . . » فهذا يفهم منه أن فضيلتكم لا يرى بأسًا في نظر الرّجل إلى الصورة ولو كانت صورة امرأة أجنبية**

فأجاب فضيلته بقوله : النقطة التي أشار إليها السائل وهي أن يفهم من كلامنا أننا لا نرى بأسًا في نظر الرّجل إلى الصورة ولو كانت صورة امرأة أجنبية فنقول هذه النقطة فيها تفصيل :

فإن كانت امرأة معينة ونظر إليها نظر تلذّذ وشهوة فهذا حرام ، لأن نفسه حينئذ تتعلّق بها وتتبعها وربما يحصل بذلك شرّ وفتنة ، فإن لم ينظر إليها نظر تلذّذ وشهوة وإنما هي نظرة عابرة لم تحرك له ساكنًا ، ولم تجب له تأملًا فتحريم هذا النظر فيه نظر ، فإن إلحاق نظر الصورة بنظر الحقيقة غير صحيح ، لما بينهما من الفرق العظيم في التأثير ، لكن الأُوْلَى البعد عنه لأنه قد يُفضي إلى نظر التأمل ثم التلذّذ والشّهوة ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا » رواه البخاري ، ورواه أحمد وأبو داود بلفظ : « لِتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا » . واللام للتعليل .

وأما إن كانت الصورة لامرأة غير معينة فلا بأس بالنظر إليها إذا لم يُخْشَ من ذلك محذور شرعي .

٣٩٦ ——— وسئل : عن تهاون كثير من الناس في النظر إلى صور النساء الأجنبيات بحجة أنها صورة لا حقيقة لها ؟

فأجاب بقوله : هذا تهاون خطير جدًّا وذلك أن الإنسان إذا نظر للمرأة سواء كان ذلك بواسطة وسائل الإعلام المرئية ، أو بواسطة

الصحف أو غير ذلك ، فإنه لابد أن يكون من ذلك فتنة على قلب الرجل ، تجره إلى أن يتعمد النظر إلى المرأة مباشرة ، وهذا شيء مشاهد . ولقد بلغنا أن من الشباب من يقتني صور النساء الجميلات ليتلذّذ بالنظر إليهن ، أو يتمتع بالنظر إليهن ، وهذا يدلّ على عظم الفتنة في مشاهدة هذه الصور ، فلا يجوز للإنسان أن يشاهد هذه الصور ، سواء كانت في مجلات أو في صحف أو غير ذلك إن كان يرى من نفسه التلذذ والتمتع بالنظر إليهن ، لأن ذلك فتنة تضرّه في دينه ، وفي اتجاهاته ، ويتعلق قلبه بالنظر إلى النساء ، فيبقى ينظر إليهن مباشرة .

٣٩٧ ——— **يقوم صاحب لي بالتّصوير في الأفراح ممّا يجعله ينْظر إلى النِّساء المُتَبرِّجات ويُخالطهن فما حكم الإسْلام في التصوير الفوتوغرافي وخاصّة في الأفراح وما يسمُّوه أعياد الميلاد ؟**

التصوير المَذكور لا يجوز لأن فيه فتنة .

٣٩٨ ما معنى جملة : «إلَّا رَقمًا في ثَوْب» التي وردت في الحديث الشريف ؟

إنَّ رَأْينا في الحديث : «إلَّا رقمًا في ثوب» من النُّصوص المُتَشَابهة .

والقاعدة السليمة : يُرَدُّ إلى المحكم . ولقوله تعالى : ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِين في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابه مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تأويلِهِ ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾(١) .

ويُرَدُّ المتشابه إلى المحكم ولا يبقى فيه اشتباه .

فهذا الحديث : «إلَّا رَقَمًا في ثَوْب» يحتمل أنه عام ، رقمًا : يشمل صورة الحيوان وصورة الأشجار وغير ذلك ، فإنه كان مُحْتملًا لهذا فإنه يُحْمل على النُّصوص المُحْكمة التي تُبَيِّن أن المُرَاد برقم الثوب ما ليس بصورة حيوان أو إنسان حتى تبقى النصوص مُتطَابِقة مُتَّفقة .

ونحن لا نرى ذلك ولتفضيل فيما له ظِل وما لَيْسَ له ظِل لأنَّ حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح مسلم . . أنَّه قال : «يا أبا الهياج ألَّا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألَّا تدع قبْرًا مُشرفًا إلَّا سَوَّيته ولا صُوره إلَّا طَمَسها» .

---

(١) آل عمران . ٧

رسالة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ . . . . . . حفظه الله تعالى ، وجعله من عباده الصالحين ، وأوليائه المؤمنين المتقين ، وحزبه المفلحين ، آمين .

وبعد فقد وصلني كتابكم الذي تضمّن السلام والنصيحة . فعليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته ، وجزاكم الله عنّي على نصيحتكم البالغة التي أسأل الله تعالى أن ينفعني بها .

ولا ريب أن الطريقة التي سلكتموها في النصيحة هي الطريقة المثلى للتناصح بين الإخوان ، فإن الإنسان محلّ الخطأ والنسيان ، والمؤمن مرآة أخيه ، ولا يؤمن أحد حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه .

ولقد بلغت نصيحتكم مني مبلغًا كبيرًا بما تضمنته من العبارات الواعظة والدعوات الصادقة ، أسأل الله أن يتقبلها ، وأن يكتب لكم مثلها .

وما أشرتم إليه – حفظكم الله – من تكرّر جوابي على إباحة الصورة المأخوذة بالآلة : فإني أفيد أخي أنني لم أبح اتخاذ الصورة – والمراد صورة ما فيه روح من إنسان أو غيره – إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه ، كالتابعية ، والرخصة ، وإثبات الحقائق ونحوها .

وأما اتخاذ الصورة للتعظيم ، أو للذكرى ، أو للتمتع بالنظر إليها ، أو التلذذ بها فإني لا أبيح ذلك ، سواء كان تمثالًا أو رَقْمًا ، وسواء كان مرقومًا باليد أو بالآلة ، لعموم قول النبي ﷺ : « لا تَدْخُلُ الملائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَة » . وما زلت أفتي بذلك وآمر من عنده صور للذكرى بإتلافها ، وأشدد كثيرًا إذا كانت الصورة صورة ميت .

وأما تصوير ذوات الأرواح من إنسان أو غيره فلا ريب في تحريمه ، وأنه من كبائر الذنوب ، لثبوت لعن فاعله على لسان رسول الله ﷺ وهذا ظاهر فيما إذا كان تمثالًا – أي مجسما – أو كان باليد ، أما إذا كان بالآلة الفورية التي تلتقط الصورة ولا يكون فيها أي عمل من الملتقط من تخطيط الوجه وتفصيل الجسم ونحوه ، فإن التقطت الصورة لأجل الذكرى ونحوها من الأغراض إلتي لا تبيح اتخاذ الصورة فإن التقاطها بالآلة محرم تحريم الوسائل ، وإن التقطت الصورة للضرورة أو الحاجة فلا بأس بذلك .

هذا خلاصة رأيي في هذه المسألة ، فإن كان صوابًا فمن الله وهو المانّ به ، وإن كان خطأ فمن قصورى أو تقصيرى ، وأسأل الله أن يعفو عنى منه ، وأن يهديني إلى الصواب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حفظ المنطق

٣٩٩ سئل شيخ عن عبارة « لم تسمح لي الظروف » ؟ أو « لم يسمح لي الوقت » ؟

فأجاب قائلا : إن كان المقصود أنه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به ، وإن كان القصد أن للوقت تأثيرا فلا يجوز .

٤٠٠ ما حُكْم القسَم بقول : « وحيَاة الله » ؟ وقول المرأة لزوجها : « حَرامٌ على رَبِّنا أَنْ تفعلَ كذا » ؟ وقولهم : « حَدُّ اللهِ بيني وبينك » ؟

أما صيغة القسم بقول الإنسان : وحياة الله . فهذه لا بأس بها لأن القَسَم يكون بالله سبحانه وتعالى وبأي اسم من أسمائه . ويكون كذلك بصفاته كالحياة والعلم والعزة والقدرة وما أشبه ذلك . فيجوز أن يقول الحالف : وحياة الله ، وعِلْم الله ، وعِزّة الله ، وقُدْرة الله ، وما أشبه

هذا مما يكون من صفات الله سبحانه وتعالى . كما يجوز القسم بالقرآن الكريم ، لأنه كلام الله . وبالمصحف ، لأنه مشتمل على كلام الله سبحانه وتعالى .

أما قول تلك المرأة « حرام علي ربنا » فإذا كانت تقصد أن الله حرام عليها فهذا لا معنى له ، ولا يجوز مثل هذا الكلام . فما هذا التحريم هل معناه عبادة الله حرام عليها لا أدري ما معنى هذا الكلام .

أما إذا كانت تريد حرام عليَّ هذا الشيء ، وحرام عليَّ أن لا تفعل أنت هذا الشيء ، وتقصد بربنا أي « يا ربنا » فهذه صيغة لتحريم الشيء ، والشيء إذا حُرِّم وقَصَدَ به الإنسان الامتناع عنه صار بمنزلة اليمين كما قال الله عز وجل : ﴿ **يا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحلَّ اللهُ لك تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ واللهُ غفورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لكم تَحِلَّةَ أَيْمَانِكم** ﴾(١) . فجعل الله هذا التحريم يمينا وقال : ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم** ﴾(٢) . فالإنسان إذا قال : هذا حرام عليّ ، أو حرام عليّ إن لم أفعل كذا ، وقَصْده بذلك الامتناع عن هذا الشيء ، فحكمه حكم اليمين . بمعنى أن نقول كأنك قلتَ : « والله لا أفعل الشيء ، أو والله لا ألبس هذا الثوب ، أو والله لا آكل هذا الطعام . فإذا حنث كَفَّر كفّارة يمين .

وأما بالنسبة للصيغة الثالثة « حَدُّ الله بيني وبينك » فهذه كأنه من باب الاستعاذة بالله عز وجل ، والاستعاذة بالله أمر النبي ﷺ أن يُجاب

---

(١) التحريم ١ - ٢

(٢) التحريم ٢ .

الإنسان عليها بمعنى أنه إذا استعاذ الرجل بالله عز وجل وجب علينا أن نعيذه ؛ إلا إذا كان ظالما في هذه الاستعاذة فإن الله سبحانه وتعالى لا يجيره إذا كان ظالما . مثل لو أردنا أن نأخذ الزكاة من شخص لا يؤديها فقال أعوذ بالله منكم فإننا لا نعيذه لأن إعاذته مقتضاها إقراره على معصية الله عز وجل ، والله سبحانه وتعالى لا يرضى ذلك فإذا كان الله لا يرضاه فنحن لا نوافقه عليه . فالمهم أن من استعاذ بالله سبحانه وتعالى فإننا مأمورون بإعاذته وتجنبه ما لم يستعذ بالله من أمر واجب عليه يخاف أن نُلزمه به فإننا لا نعيذه في هذه الحال . والله المستعان .

٤٠١ ـ ما حُكْم ما دَرَجَ على ألسنة بعض الناس من قولهم « حرام عليك أن تفعل كذا وكذا » ؟

هذا الذي وصفوه بالتحريم إما أن يكون مما حرّمه الله كما لو قالوا حرام أن يعتدي الرجل على أخيه وما أشبه ذلك فإن وصف هذا الشيء بالحرام صحيح مطابق لما جاء به الشرع .

وأما إذا كان الشيء غير محرم فإنه لا يجوز أن يوصف بالتحريم ولو لفظا ، لأن ذلك قد يُوهِمُ تحريمَ ما أحلَّ الله عز وجل أو يوهم الحَجْر على الله عز وجل في قضائه وقدره ، بحيث يقصدون بالتحريم التحريم القَدَري ، لأن التحريم يكون قدرياً ، ويكون شرعياً . فما يتعلق

بفعل الله عز وجل فإنه يكون تحريماً قدرياً ، وما يتعلق بشرعه فإنه يكون تحريماً شرعيًا ؛ وعلى هذا فينهى هؤلاء عن إطلاق مثل هذه الكلمة ولو كانوا لا يريدون به التحريم الشرعي ، لأن التحريم القدري ليس إليهم أيضا بل هو إلى الله عز وجل هو الذي يفعل ما يشاء فيُحدثُ ما شاء أنْ يُحْدِثَه ، ويمنع ما شاء أن يمنعه . فالمهم أن الذي أَرَى أنهم يتنزهون عن هذه الكلمة وأن يبتعدوا عنها وإن كان قصدهم في ذلك شيئا صحيحاً . والله الموفق .

٤٠٢ ـــــ سئل الشيخ : عن عبارة « لكم تحياتنا » وعبارة « أهدي لكم تحياتي » ؟

عبارة لكم تحياتنا وأهدي لكم تحياتي ونحوهما من العبارات لا بأس بها قال الله تعالى : ﴿ **وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فحَيُّوا بأَحْسَنَ مِنها أو رُدُّوها** ﴾(١) . فالتحية من شخص لآخر جائزة . وأما التحيات المطلقة العامة فهي لله ؛ كما أن الحمد لله والشكر لله ومع هذا فيصح أن نقول : حمدتُ فلانا على كذا ، وشكرتُه على كذا ، قال الله تعالى : ﴿ **أنِ اشكُرْ لي ولوَالِدَيْك** ﴾(٢) .

---

(١) النساء ٨٦

(٢) لقمان ١٤ .

٤٠٣ ما رأي فضيلتكم في هذه الألفاظ : « جلالة » و« صاحب الجلالة » ، و« صاحب السُّمُو » ؟ وأرجو وآمُل ؟

فأجاب بقوله : لا بأس بها إذا كانت المقولة فيه أهْلا لذلك و لم يُخش منه الترفع والإعجاب بالنفس ، وكذلك أرجو وآمل .

٤٠٤ هل قول الإنسان « يا رحمةَ الله » يدخل في دعاء الصفة الممنوع ؟

إذا كان مراد الداعي بقوله « يا رحمة الله » الاستغاثة برحمة الله تعالى يعني أنه لا يدعو نفس الرحمة ولكنه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يعمّه برحمته كان هذا جائزا . وهذا هو الظاهر من مراده . فلو سألت القائل هل أنت تريد أن تدعو الرحمة نفسها أو تريد أن تدعو الله عز وجل ليجلب لك الرحمة ؟ لقال هذا هو مرادي . أما إن كان مراده دعاء الرحمة نفسها فقد سبق جوابه ضمن جواب السؤال السابق .

٤٠٥ إذا كتب الإنسان رسالة وقال فيها « إلى والدي العزيز » أو « إلى أخي الكريم » فهل في هذا شيء ؟ أثابكم الله ونفع بكم .

هذا ليس فيه شيء بل هو من الجائز قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيه ما عَنِتُّم حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رَّحِيم** ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **ولها عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾(٢) . وقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ الكَرِيمَ ابن الكَرِيم ابن الكَرِيم يُوسُفُ » فهذا دليل على أن مثل هذه الأوصاف تصح لله تعالى ولغيره ، ولكن اتصاف الله بها لا يماثله شيء من اتصاف المخلوق بها ، فإن صفات الخالق تليق به وصفات المخلوق تليق به .

وقول القائل لأبيه أو أمه أو صديقه : العزيز يعني أنك عزيز عليَّ غالي عندي وما أشبه ذلك ولا يقصد بها أبدا الصفة التي تكون لله وهي العزة التي لا يقهره بها أحدا ، وإنما يريد أنك عزيز علي وغالي عندي وما أشبه ذلك .

---

(١) التوبة ١٢٨

(٢) النمل ٢٣ .

٤٠٦ ـــ سئل الشيخ وَفَّقَه الله تعالى : ما قولكم نفع الله بكم وزادكم من فضله في هذه العبارة « لولا الله وفلان » ؟

فأجاب قائلا : قَرْنُ غيرِ اللهِ باللهِ في الأمور القدرية بما يفيد الاشتراك وعدم الفرق أمر لا يجوز ، ففي المشيئة مثلا لا يجوز أن تقول : ما شاء الله وشئتُ ، لأن هذا قرن لمشيئة الله بمشيئة المخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو نوع من الشرك ، لكن لابد أن تأتي بـ« ثُمَّ » فتقول ما شاء الله ثم شئت ، كذلك أيضا إضافة الشيء إلى سببه مقرون بالله بحرف يقتضي التسوية ممنوع فلا تقول « لولا الله وفلان أنقذني لغَرِقْتُ » فهذا حرام ولا يجوز ، لأنك جعلت السبب المخلوق مساويا لخالق السبب وهذا نوع من الشرك ، ولكن يجوز أن تضيف الشيء إلى سببه بدون قَرْن مع الله فتقول « لولا فلانٍ لغَرِقْتُ » إذا كان السبب صحيحا وواقعا ، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام في أبي طالب حين أُخبر أنّ عليه نعلين يغلي منهما دماغُه قال : « ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأَسْفلِ مِن النار » . فلم يقل لولا الله ثم أنا مع أنه ما كان في هذه الحال من العذاب إلا بمشيئة الله ، فإضافة الشيء إلى سببه المعلوم شرعا أو حسا جائز وإن لم يذكر معه الله جل وعلا ، وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسا جائز بشرط أن يكون بحرف لا يقتضي التسوية كـ« ثم »

وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسا بحرف يقتضي التسوية كـ« الواو » حرام ونوع من الشرك ، وإضافة الشيء إلى سبب موهوم غير معلوم حرام ولا يجوز وهو نوع من الشرك مثل العُقد والتمائم وما أشبهها فإضافة الشيء إليها خطأ مَحْض ونوع من الشرك ، لأن إثبات سبب من الأسباب لم يجعله الله سببا نوع من الإشراك به ؛ فكأنك أنت جعلت هذا الشيء سببا والله تعالى لم يجعله ، فلذلك صار نوعا من الشرك بهذا الاعتبار .

٤٠٧ ——— هل يجوز إطلاق « شهيد » على شخص بعينه فيقال الشهيد فلان ؟

لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد ، حتى لو قُتل مظلوماً أو قُتل وهو يدافع عن الحقّ ، فإنه لا يجوز أن نقول فلان شهيد . وهذا خلافا لما عليه الناس اليوم حيث رخّصوا هذه الشهادة وجعلوا كل مَن قُتل حتى ولو كان مقتولا في عصبية جاهلية يسمونه شهيدا . وهذا حرام لأن قولك عن شخص قتل هو شهيد يعتبر شهادة سوف تُسأل عنها يوم القيامة سوف يقال لك هل عندك علم أنه قتل شهيدا ؟ ولهذا لما قال النبي ﷺ : « ما مِنْ مَكْلُومٍ يُكلم في سَبِيل اللهِ واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيله إلا جاءَ يَوْمَ القيامةِ وكَلْمُه يَثْعُبُ دَماً ، اللَّوْنُ لوْنُ الدَّمِ والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ » فتأمل قولَ النبي ﷺ : « واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سبيله » – يُكْلَمُ يعني يُجْرَحُ – فإن بعض الناس قد يكون ظاهرة أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولكن الله يعلم ما في قلبه وأنه

خلاف ما يظهر من فعله ، ولهذا بَوَّبَ البخاري رحمه الله على هذه المسألة في صحيحه فقال (بابٌ لا يُقالُ فلانٌ شهيدٌ) لأن مدار الشهادة على القلب ، ولا يعلم ما في القلب إلا اللهُ عز وجل . فأمر النية أمر عظيم ، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض ، وذلك من أجل النية فقد قال النبي ﷺ : « إنّما الأعمالُ بالنياتِ ، وإنما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى ، فمَنْ كانت هِجرُتُه إلى اللهِ ورسولِه فهجرتهُ إلى اللهِ ورسولِه ، ومَنْ كانتْ هجرتهُ إلى دُنيا يُصِيبُها أو امرأةٍ يَنْكِحُها فهِجْرَتُه إلى ما هَاجَرَ إليه » . والله أعلم .

٤٠٨ ـ ما رَأْيُ فضيلتكم في التسمي بإيمان ؟

اسم إيمان يحمل نوعا من التزكية ولهذا لا ينبغي التسمية به لأن النبي ﷺ غيّر اسم بَرّة لكونه دالاً على التزكية ، والمخاطب في ذلك هم الأولياء الذين يسمون أولادهم بمثل هذه الأسماء التي تحمل التزكية لمن تسمّى بها ، أما ما كان علماً مجرداً لايفهم منه التزكية فهذا لا بأس به ولهذا نسمي بصالح وعلي وما أشبههما من الأعلام المجردة التي لا تحمل معنى التزكية .

٤٠٩ ـــــ نسمع كثيرا ونقرأ هذه العبارة « السيدة عائشة رضي الله عنها » فهل هذه العبارة سليمة ؟ والله يحفظكم ويرعاكم .

لا شك أن عائشة رضي الله عنها من سيدات نساء الأمة ، ولكن إطلاق « السيدة » على المرأة و« السيدات » على النساء هذه الكلمة متلقاه – فيما أظن من الغرب – حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع النساء ، لأنهم يُسَوِّدُون النساء : أي يجعلونهن سيدات مطلقا ، والحقيقة أن المرأة امرأة وأن الرجل رجل ، وتسمية المرأة بالسيدة على الاطلاق ليس بصحيح . نعم من كانت منهن سيدة لشرفها أو دينها أو جاهها أو غير ذلك من الأمور المقصودة فلنا أن نسميها سيدة ولكن ليس مقتضى ذلك أننا نسمي كل امرأة سيدة .

كما أن التعبير بالسيدة عائشة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفا عند السلف ، بل كانوا يقولون : أم المؤمنين عائشة ، أم المؤمنين خديجة . فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونحو ذلك .

٤١٠ ـــ فضيلة الشيخ : ما رأيكم دام فضلكم في ثناء الإنسان على نفسه وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ؟ .

الثناء على النفس إن أراد به الإنسان التحدث بنعمة الله عز وجل أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظرائه فهذا لا بأس به ، وإن أراد به الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه عز وجل فإن هذا فيه شيء من المِنَّة فلا يجوز ، وقد قال الله تعالى : **﴿ يَمُنُّونَ عليك أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عليكم أَنْ هداكُمْ للإيمان إن كُنتمْ صادقين ﴾**(١) .

وإن أراد به مجرد الخبر فلا بأس به ، لكن الأَوْلى تَرْكُه . فالأحوال إذن في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع :

الحال الأولى : أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات .

الحال الثانية : أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه .

فهاتان الحالان محمودتان لما يشتملان عليه من هذه النية الطيبة .

الحال الثالثة : أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله عز وجل بما هو عليه من الإيمان والثبات ، وهذا غير جائز لما ذكرنا

---

(١) الحجرات ١٧

الحال الرابعة : أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات فهذا جائز ولكن الأولى تركه .

٤١١ ——— **سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول الصحابة « الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ » بالعطف بالواو وإقرارهم على ذلك وإنكاره ﷺ على من قال « مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ » ؟**

فأجاب بقوله : قولهم « الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ » جائز . وذلك لأن علم الرسول من علم الله فالله تعالى هو الذي يعلمه مالا يدركه البشر ولهذا أتى بالواو .

وكذلك في المسائل الشرعية يقال : « الله ورسوله أعلم » لأنه ﷺ أعلم الخلق بشريعة الله وعلمه بها من علم الله الذي علمه كما قال الله تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلَ الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ** ﴾(١) وليس هذا كقوله « مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ » لأن هذا في باب قدرة والمشيئة ، ولا يمكن أن يجعل الرسول ﷺ مشاركًا لله فيها .

في الأمور الشرعية يقال « الله ورسوله أعلم » وفي الأمور الكونية لا يقال ذلك .

---

(١) النساء . ١١٣

ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب الآن على بعض الأعمال ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ** ﴾(١) لأن رسول الله ﷺ لا يرى العمل بعد موته .

٤١٢ سئل الشيخ عن الجمع بين قول النبي ﷺ « السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » وقوله ﷺ « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » وقوله « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » وقوله في الرقيق « وَلْيَقُلْ سَيِّدِي » ؟

فأجاب بقوله : اختلف في ذلك على أقوال :

القول الأول : أن النهي على سبيل الأدب ، والإباحة على سبيل الجواز فالنهي ليس للتحريم حتى يعارض الجواز .

القول الثاني : أن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى الغلو ، والإباحة إذا لم يكن هناك محذور .

القول الثالث : أن النهي بالخطاب أي أن تخاطب الغير بقولك « سيدي أو سيدنا » لأنه ربما يكون في نفسه عُجْبٌ وغُلُوٌّ إذا دُعِيَ بذلك ولأن فيه شيئًا آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف إذا جاء على غير هذا الوجه مثل « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » و « وأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » .

---

(١) التوبة : ١٠٥ .

لكن هذا يرد عليه إباحته ﷺ للرقيق أن يقول لمالكه « سَيِّدِي » ؟

لكن يجاب عن هذا بأن قول الرقيق لمالكه « سيدي » أمر معلوم لا غضاضة فيه ولهذا يحرم عليه أن يمتنع مما يجب عليه نحو سيده والذي يظهر لي – والله أعلم – أن هذا جائز لكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلًا لذلك ، وأن لا يخشى محذور من إعجاب المخاطب وخنوع المتكلم ، أما إذا لم يكن أهلًا كما لو كان فاسقًا أو زنديقًا فلا يقال له ذلك حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاهًا ، وقد جاء في الحديث « لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ أَغْضَبْتُمْ الله » وكذلك لا يقال إذا خُشِيَ محذور من إعجاب المخاطب أو خنوع المتكلم .

٤١٣ — سئل الشيخ : هل يجوز أن يقول الإنسان للمفتي ما حكم الإسلام في كذا وكذا ؟ أو ما رأي الإسلام ؟

فأجاب بقوله : لا ينبغي أن يقال ما حكم الإسلام في كذا ، أو ما رأي الإسلام في كذا فإنه قد يخطيء فلا يكون ما قاله حكم الإسلام ، لكن لو كان الحكم نصًا صريحًا فلا بأس مثل أن يقول : ما حكم الإسلام في أكل الميتة ؟ فنقول : حكم الإسلام في أكل الميتة أنها حرام .

٤١٤ سئل الشيخ عن مصطلح : « فكر إسلامي » و « مفكر إسلامي » ؟

فأجاب قائلًا : كلمة « فكر إسلامي » من الألفاظ التي يُحَذّر عنها إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد ، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر .

أما « مفكر إسلامي » فلا أعلم فيه بأسا لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكرًا .

٤١٥ سئل الشيخ : عن لقب « شيخ الإسلام » هل يجوز ؟

فأجاب بقوله : لقب شيخ الإسلام عند الإطلاق لا يجوز ، أي أن الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام لا يجوز أن يوصف به شخص ، لأنه لا يعصم أحد من الخطأ فيما يقول في الإسلام إلا الرسل .

أما إذا قصد بشيخ الإسلام أنه شيخ كبير له قدم صدق في الإسلام فإنه لا بأس بوصف الشيخ به وتلقيبه به .

٤١٦ وسئل : عن التسمي بالإمام ؟

فأجاب قائلًا : التسمي بالإمام أهون بكثير من التسمي بشيخ الإسلام لأن النبي ﷺ سمى إمام المسجد إمامًا ولو لم يكن معه إلا واحد ، ولكن ينبغي أن لا يتسامح في إطلاق كلمة « إمام » إلا على من كان قدوة وله

أتباع كالإمام أحمد وغيره ممن له أثر في الإسلام ، ووصف الإنسان بما لا يستحقه هضم للأمة ، لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام وهذا إمام ممن لم يبلغ منزلة الإمامة هان الإمام الحق في عينه .

٤١٧ سئل الشيخ : عن قول العامة تباركت علينا ؟ زارتنا البركة ؟

فأجاب قائلًا : قوله العامة تباركت علينا لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله عز وجل ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك ، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان ، قال أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ لما نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها قال : « مَا هَذِهِ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ » .

وطلب البركة لا يخلو من أمرين :

الأمر الأول : أن يكون طلب البركة بأمر شرعي معلوم مثل القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** ﴾(١) فمن بركته أن من أخذ به وجاهد به حصل له الفتح ، فأنقذ الله به أممًا كثيرة من الشرك ، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات وهذه يوفر للإنسان الجهد والوقت .

الأمر الثاني : أن يكون طلب البركة بأمر حسي معلوم ، مثل العلم فهذا الرجل يتبرك به بعلمه ودعوته إلى الخير ، قال أُسَيْدُ بن حُضَير « مَا

---

(١) الأنعام : ٩٢ .

هَذِهِ بأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ » فإن الله قد يجري على أيدي بعض الناس من أمور الخير مالا يجريه على يد الآخر .

وهناك بركات موهومة باطلة مثل ما يزعمه الدجالون أن فلانا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك ، فهذه بركة باطلة لا أثر لها ، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر لكنها لا تعدو أن تكون آثارًا حسية بحيث أن الشيطان يخدم هذا الشيخ فيكون في ذلك فتنة .

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة ؟ فيعرف ذلك بحال الشخص ، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتعدين عن البدعة فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره ، أما إن كان مخالفًا للكتاب والسنة ، أو يدعو إلى باطل فإن بركته موهومة وقد تضعها الشياطين له مساعدة على باطله .

٤١٨ ــــ سئل الشيخ عن هذه العبارة « مَا صَدَقْت عَلَى الله أنْ يَكُون كَذَا وَكَذَا » ؟

فأجاب قائلًا : يقول الناس ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا ، ويعنون ما توقعت وما ظننت أن يكون هكذا ، وليس المعنى ما صدقت أن الله يفعل لعجزه عنه مثلًا ، فالمعنى أنه ما كان يقع في ذهني هذا الأمر ، هذا هو المراد بهذا التعبير ، فالمعنى إذن صحيح لكن اللفظ فيه

إيهام ، وعلى هذا يكون تجنب هذا اللفظ أحسن لأنه موهم ، ولكن التحريم صعب أن نقول حرام مع وضوح المعنى وأنه لا يقصد به إلا ذلك .

٤١٩ وسئل عن قول « لَكَ الله » ؟

فأجاب بقوله : لفظ « لك الله » الظاهر أنه من جنس « لله دَرُّكَ » وإذا كان من جنس هذا فإن هذا اللفظ جائز ، ومستعمل عند أهل العلم وغيرهم والأصل في هذا وشبهه الحل إلا ما قام الدليل على تحريمه ، والواجب التحرز عن التحريم فيما الأصل فيه الحل .

٤٢٠ سئل الشيخ غفر الله له : ما حكم قول « لاَ قَدَّرَ الله » ؟

فأجاب بقوله : لاَ قَدَّرَ الله معناه الدعاء بأن الله لا يقدر ذلك ، والدعاء بأن الله لا يقدر هذا جائز وقول لا قدر الله ليس معناه نفي أن يقدر الله ذلك ، إذ أن الحكم لله يقدر ما يشاء ، لكنه نفي بمعنى الطلب فهو خبر بمعنى الطلب بلاشك ، فكأنه حين يقول « لا قدر الله » أي أسأل الله أن لا يقدره ، واستعمال النفي بمعنى الطلب شائع كثير في اللغة العربية وعلى هذا فلا بأس بهذه العبارة .

٤٢١ سئل الشيخ عن حكم قول فلان المغفور له ، فلان المرحوم ؟

فأجاب بقوله : بعض الناس ينكر قول القائل « فلان المغفور له ، فلان المرحوم » ويقولون : إننا لا نعلم هل هذا الميت من المرحومين المغفور لهم أو ليس منهم ؟ وهذا الإنكار في محله إذا كان الإنسان يخبر خبرًا أن هذا الميت قد رحم أو غفر له ، لأنه لا يجوز أن نخبر أن هذا الميت قد رحم ، أو غفر له بدون علم قال الله تعالى ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾(١) لكن الناس لا يريدون بذلك الإخبار قطعًا ، فالإنسان الذي يقول المرحوم الوالد ، المرحومة الوالدة ونحو ذلك لا يريدون بهذا الجزم أو الإخبار بأنهم مرحومون ، وإنما يريدون بذلك الدعاء أن الله تعالى قد رحمهم والرجاء ، وفرق بين الدعاء والخبر ، ولهذا نحن نقول فلان رحمه الله ، فلان غفر الله له ، فلان عفا الله عنه ، ولا فرق من حيث اللغة العربية بين قولنا « فلان المرحوم » و « فلان رحمه الله » لأن جملة « رحمة الله » جملة خبرية ، والمرحوم بمعنى الذي رُحِمَ فهي أيضًا خبرية ، فلا فرق بينهما أي بين مدلوليهما في اللغة العربية فمن منع فلان المرحوم يجب أن يمنع فلان رحمه الله .

على كل حال نقول لا إنكار في هذه الجملة أي في قولنا « فلان المرحوم ، فلان المغفور له » وما أشبه ذلك لأننا لسنا نُخْبِرُ بذلك خبرًا ونقول إن الله قد رحمه ، وإن الله قد غفر له ، ولكننا نسأل الله ونرجوه

---

(١) الإسراء : ٣٦ .

فهو من باب الرجاء والدعاء وليس من باب الأخبار ، وفرق بين هذا وهذا .

٤٢٢ سئل الشيخ : ما رأيكم في هذه العبارة « لاَ سَمَحَ الله » ؟

فأجاب قائلا : أكره أن يقول القائل « لاَ سَمَحَ الله » لأن قوله « لا سمح الله » ربما توهم أن أحدًا يجبر الله على شيء فيقول « لا سمح الله » والله عز وجل كما قال الرسول ﷺ « لاَ مُكْرِهَ لَهُ » قال الرسول ﷺ « لاَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إن شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إن شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعْظِم الرَّغْبَةَ فَإِنَّ الله لاَ مُكْرِهَ لَهُ ، وَلاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ » والأَوْلَى أن يقول : لا قَدَّرَ الله بدلًا من قوله : « لاَ سَمَحَ الله » لأنه أَبْعَدُ عن توهم مالا يجوز في حق الله تعالى .

٤٢٣ وسئل غفر الله له : عن قول بعض الناس « يَعْلَمُ الله كَذَا وَكَذَا » ؟

فأجاب بقوله : قول « يعلم الله » هذه مسألة خطيرة ، حتى رأيت في كتب الحنفية أن من قال عن شيء يعلم الله والأمر بخلافه صار كافرًا خارجًا عن الملة ، فإذا قلت يعلم الله أني ما فعلت هذا وأنت فاعله فمقتضى ذلك أن الله يجهل الأمر ، « يعلم الله أني ما زرت فلانًا » وأنت زائره صار لا يعلم بما يقع ومعلوم أن من نفي عن الله العلم فقد كفر ،

ولهذا قال الشافعي رحمه الله في القدرية قال : « جَادِلُوهُمْ بِالْعِلمِ فَإِنْ أَنكَرُوهُ كَفَرُوا ، وَإِنْ أَقَرُّوا به خُصِمُوا » ا . هـ . والحاصل أن قول القائل « يعلم الله » إذا قالها والأمر على خلاف ما قال فإن ذلك خطير جدًا وهو حرام بلا شك .

أما إذا كان مصيبًا ، والأمر على وفق ما قال فلا بأس بذلك ، لأنه صادق في قوله ولأن الله بكل شيء عليم كما قالت الرسل في سورة يس ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرسَلُونَ ﴾⁽¹⁾ .

٤٢٤ ـــــ سئل الشيخ : ما رأيكم في قول بعض الناس « يَا هادِي يَا دَلِيلُ » ؟

فأجاب بقوله : « يَا هَادِي يَا دَلِيلُ » لا أعلمها من أسماء الله ، فإن قصد به الإنسان الصفة فلا بأس كما يقول اللهم يا مجري السحاب يا منزل الكتاب وما أشبه ذلك ، فإن الله يهدي من يشاء و« الدليل » هنا بمعنى الهادي .

٤٢٥ ـــــ سئل الشيخ : ما حكم قولهم « دُفِنَ فِي مَثْوَاهُ الْأَخِيرِ » ؟

فأجاب قائلًا : قول القائل « دفن في مثواه الأخير » حرام ولا يجوز لأنك إذا قلت في مثواه الأخير فمقتضاه أن القبر آخر شيء له ، وهذا

---

(١) يس : ١٦ .

يتضمن إنكار البعث ، ومن المعلوم لعامة المسلمين أن القبر ليس آخر شيء ، إلا عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر فالقبر آخر شيء عندهم ، أما المسلم فليس آخر شيء عنده القبر وقد سمع أعرابي رجلًا يقرأ قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾(١) فقال : والله ما الزائر بمقيم لأن الذي يزور يمشي فلابد من بعث وهذا صحيح .

لهذا يجب تجنب هذه العبارة فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير ، لأن المثوى الأخير إما الجنة وإما النار في يوم القيامة .

٤٢٦ سئل الشيخ : عن قول الإنسان إذا خاطب مَلِكًا « يا مَوْلاَي » ؟

فأجاب بقوله : الولاية تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ولاية مطلقة وهذه لله عز وجل كالسيادة المطلقة ، وولاية الله بالمعنى العام شاملة لكل أحد قال الله تعالى : ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(٢) فجعل له سبحانه الولاية على هؤلاء المفترين ، وهذه ولاية عامة ، أما بالمعنى الخاص فهي خاصة بالمؤمنين المتقين قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾(٣) وقال الله تعالى : ﴿ أَلاَ

---

(١) التكاثر : ١، ٢ .

(٢) يونس : ٣٠ .

(٣) محمد : ١١ .

إنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾(١) وهذه ولاية خاصة .

القسم الثاني : ولاية مقيدة مضافة ، فهذه تكون لغير الله ، ولها في اللغة معان كثيرة منها الناصر ، والمتولى للأمور ، والسيد ، وقال الله تعالى : ﴿ **وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٢) وقال ﷺ « مَنْ كُنتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » وقال ﷺ « إِنَّما الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ » . وعلى هذا فلا بأس أن يقول القائل للملك : مولاي بمعنى سيدي مالم يخش من ذلك محذور .

٤٢٧ ــــ سئل الشيخ : عن حكم لعن الشيطان ؟

فأجاب بقوله : الإنسان لم يُؤمَر بلعن الشيطان ، وإنما أمر بالاستعاذة منه كما قال الله تعالى : ﴿ **وإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاستَعِذ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(٣) وقال تعالى في سورة فصلت ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(٤) .

---

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) التحريم : ٤ .

(٣) الأعراف : ٢٠٠ .

(٤) فصلت : ٣٦ .

٤٢٨ سئل الشيخ : ما حكم قول « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ » « طَالَ عُمُرُكَ » ؟

فأجاب قائلًا : لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء ؛ لأن طول البقاء قد يكون خيرًا وقد يكون شرًّا ، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله ، وعلى هذا فلو قال أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك .

٤٢٩ وسئل عن عبارة « أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ » ؟

فأجاب : قول « أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ » من الاعتداء في الدعاء لأن دوام الأيام محال مناف لقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ** ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشرٍ مِن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾⁽²⁾

٤٣٠ سئل الشيخ : عن عبارة « كُلُّ عَامٍ وَأَنْتُم بِخَيْرٍ » ؟

فأجاب بقوله : قول : « كل عام وأنتم بخير » جائز إذا قصد به الدعاء بالخير .

---

(١) الرحمن : ٢٦ -٢٧ .   (٢) الأنبياء : ٣٤ .

٤٣١ وسئل : عن هذه الكلمة « اللهُ غَيْرُ مَادِّي » ؟

فأجاب : القول بأن الله غير مادي قول منكر ؛ لأن الخوض في مثل هذا بدعة منكرة فالله تعالى ليس كمثله شيء وهو الأول الخالق لكل شيء وهذا شبيه بسؤال المشركين للنبي عليه الصلاة والسلام هل الله من ذهب أو من فضة أو من كذا وكذا ؟ وكل هذا حرام لا يجوز السؤال عنه وجوابه في كتاب الله ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَد** ﴾ فكف عن هذا مالك ولهذا السؤال .

٤٣٢ وسئل الشيخ عن قولهم « المَادَّةُ لاَ تَفْنَى وَلاَ تَزُولُ وَلَمْ تُخلَقْ مِنْ عَدَمٍ » ؟

فأجاب قائلًا : القول بأن المادة لا تفنى وأنها لم تخلق من عدم كفر لا يمكن أن يقوله مؤمن ، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عَدَمٍ كما قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾⁽¹⁾ وليس هناك شيء أزلي أبدي سِوَى الله .

---

(١) الزمر : ٦٢ .

وأما كونها لا تفنى فإن عَنَى بذلك أن كل شيء لا يفنى لذاته فهذا أيضًا خطأ وليس بصواب ؛ لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء ، وإن أراد به أن من مخلوقات ما لايفنى ، بإرادة الله فهذا حق فالجنة لا تفنى وما فيها من نعيم لا يفنى ، وأهل الجنة لا يفنون ، وأهل النار لا يفنون . لكن هذه الكلمة المطلقة « المَادَّةُ ليس لها أصل في الوجود وليس لها أصل في البقاء » هذه على إطلاقها كلمة إلحادية فنقول المادة مخلوقة من عدم ، فكل شيء سوى الله فالأصل فيه العدم .

أما مسألة الفناء فقد تقدم التفصيل فيها . والله الموفق .

٤٣٣ سئل الشيخ : عن حكم قول الإنسان « أنَا مُؤْمِن إن شاءَ اللهُ » ؟

فأجاب بقوله : قول القائل « أنا مؤمن إن شاء الله » يسمى عند العلماء (مسألة الاستثناء في الإيمان) . وفيه تفصيل :

أولًا : إن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر ؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه .

ثانيًا : إن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا ، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور .

ثالثًا : إن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله ، فهذا جائز والتعليق على هذا الوجه – أعني بيان التعليل – لا ينافي تحقيق المعلق فإنه قد ورد

التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالى ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ** ﴾(١) والدعاء في زيارة القبور « وإنا إن شاء الله بكم لاحقين » وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء في الإيمان بل لابد من التفصيل السابق .

٤٣٤ سئل الشيخ : ما حكم قول « يَا عَبْدِي » و« يَا أَمتِي » ؟

فأجاب : قول القائل : يا عبدي ، يا أمتي ، ونحوه له صورتان :

الصورة الأولى : أن يقع بصيغة النداء مثل : يا عبدي ، يا أمتي ، فهذا ؛ لا يجوز للنهي عنه في قوله ﷺ « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي » .

الصورة الثانية : أن يكون بصيغة الخبر وهذا على قسمين :

القسم الأول : إن قاله بغيبة العبد ، أو الأمة فلا بأس فيه .

القسم الثاني : إن قاله في حضرة العبد أو الأمة ، فإن ترتب عليه مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع وإلا فلا ، لأن القائل بذلك لا يقصد العبودية التي هي الذل وإنما يقصد أنه مملوك له وإلى هذا التفصيل الذي ذكرناه أشار في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) في باب لا يقول عبدي وأمتي . وذكره صاحب فتح الباري عن مالك .

---

(١) الفتح : ٢٧ .

٤٣٥ وسئل حفظه الله : ما حكم قول « رَبُّ الْبَيْتِ » ؟ « رَبُّ الْمَنزِلِ » ؟

فأجاب : قولهم رب البيت ونحوه ينقسم أقسامًا أربعة :

القسم الأول : أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب في معنى لا يليق بالله عز وجل مثل أن يقول أطعم ربك فهذا منهي عنه لوجهين :

الوجه الأول : من جهة الصيغة لأنه يوهم معنى فاسدا بالنسبة لكلمة رب ، لأن الرب من أسمائه سبحانه ، وهو سبحانه يُطِعم ولا يُطعَم ، وإن كان لا شك أن الرب هنا غير الرب الذي يُطِعم ولا يُطعَم .

الوجه الثاني : من جهة أنك تُشَعِرُ العبد أو الأمة بالذل لأنه إذا كان السيد ربا كان العبد مربوبًا والأمة مربوبة .

وأما إذا كان في معنى يليق بالله تعالى مثل أطع ربك كان النهي عنه من أجل الوجه الثاني .

القسم الثاني : أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب مثل ربه ، وربها ، فإن كان في معنىً لا يليق بالله كان من الأدب اجتنابه مثل أطعم العبد ربه أو أطعمت الأمة ربها لئلا يتبادر منه إلى الذهن معنى لا يليق بالله .

وأن كان في معنى يليق بالله مثل أطاع العبد ربه وأطاعت الأمة ربها فلا بأس بذلك لانتفاء المحذور .

ودليل ذلك قوله ﷺ في حديث اللُّقَطَةِ في ضالة الإبل وهو حديث متفق عليه « حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا » وقال بعض أهل العلم إن حديث اللقطة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل كالإنسان ، والصحيح عدم الفارق لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة بها . قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ** ﴾(١) وقال في العباد ﴿ **وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ** ﴾(٢) ليس جميعهم ﴿ **وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ** ﴾(٣) .

القسم الثالث : أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم فقد يقول قائل بالجواز لقوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾(٤) أي سيدي ، وأن المحذور هو الذي يقتضي الإذلال وهذا منتف لأن هذا من العبد لسيده .

القسم الرابع : أن يضاف إلى الاسم الظاهر فيقال : هذا رب الغلام فظاهر الحديث الجواز وهو كذلك مالم يوجد محذور فيمنع كما لوظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق لمملوكه .

٤٣٦ سئل الشيخ : ما حكم التَّسَمي بِقَاضِي القُضَاةِ ؟

فأجاب قائلًا : قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله عز وجل فمن تَسَمَّى بذلك فقد جعل نفسه شريكًا لله عز وجل فيما

---

(١) الحج : ١٨ .

(٢) الحج : ١٨ .

(٣) الحج : ١٨ .

(٤) يونس : ٢٣ .

لا يستحقه إلا الله عز وجل ، وهو القاضي فوق كل قاضي ، والحَكَمَ وإليه يرجع الحُكْمُ كله وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز لكن الأفضل أن لا يفعل لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله ، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد ، فلا يكون مشاركة لله عز وجل وذلك مثل قاضي قضاة العراق ، أو قاضي قضاة الشام ، أو قاضي قضاة عصره .

وأما أن قيد بفن من الفنون فبمقتضى التقيد يكون جائزًا ، لكن إن قيد بالفقة بان قيل : عالم العلماء في الفقه سواء قلنا بأن الفقه يشمل أصول الدين وفروعه على حد قوله ﷺ « مَنْ يُرِد اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدينَ » أو قلنا بأن الفقه معرفة الأحكام الشرعية العملية كما هو المعروف عند الأصوليين صار فيه عموم واسع مقتضاه أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه فأنا أشك في جوازه والأولى التنزه عنه . وكذلك إن قيد بقبيلة فهو جائز ولكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف حتى لا يغتر ويعجب بنفسه ولهذا قال النبي ﷺ للمادح « قَطَعْت عُنُقَ صَاحِبِكَ » .

٤٣٧ ــــ سئل الشيخ : عن قولهم « هَذَا نَوْءٌ مَحْمُودٌ » ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز وهو يشبه قول القائل مطرنا بنوء كذا وكذا الذي قال فيه النبي ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل « مَن قَالَ مُطِرْنَا بنوْءِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ كَافِر بِي مُؤْمِن بِالكَوْكَبِ » .

والأنواء ما هي إلا أوقات لا تحمد ولا تذم ، وما يكون فيها من النعم والرخاء فهو من الله تعالى وهو الذي له الحمد أولًا وآخرًا وله الحمد على كل حال .

٤٣٨ ــــــــ وسئل عن قول الإنسان « وَاللهِ وَحَيَاتِك » ؟

فأجاب قائلًا : قوله « وَالله وَحَيَاتِك » فيها نوعان من الشرك :

الأول : الحلف بغير الله .

الثاني : الإشراك مع الله بقوله « والله وحياتك » وضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية .

والقسم بغير الله إن اعتقد أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة فهو شرك أكبر وإلا فهو شرك أصغر .

٤٣٩ ــــــــ سئل الشيخ : عن قول بعض الناس تَكَهَّنَتْ مَصَادِرُ مُطَّلِعَة بِوُقُوعِ كَذَا وكَذَا ؟ أو أَتَكَهَّنُ أَنَّ فلانًا سَيَحْضُرُ ؟

فأجاب بقوله : لا ينبغي هذا اللفظ الدال على عمل محرم على أمر مباح فلا ينبغي أن يقول أتكهن بكذا ونحوه ، ولكن يقول أظن كذا ؛

لأن العَامِيَّ الذي لا يفرق بين الأمور يظن أن الكهانة كلها مباحة بدليل إطلاق هذا اللفظ على شيء مباح معلوم إباحته .

٤٤٠ ـــــــــــ **سئل الشيخ : ما حكم هذه الألقاب « حُجَّةُ اللهِ » « حُجَّةُ الإِسْلاَمِ » « آيَةُ الله » ؟**

فأجاب بقوله : هذه الألقاب « حجة الله » « حجة الإسلام » أَلقاب حادثة لا تنبغي ؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل . وأما « آية الله » فإن أريد المعنى الأعم فهو يدخل فيه كل شيء : وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه واحد .

وأن أريد أنه آية خارقة فهذا لا يكون إلا على أيدي الرسل ؛ لكن يقال عالم ، مفتي ، قاضي ، حاكم ، إمام لمن كان مستحقًا لذلك .

٤٤١ ـــــــــــ **سُئِلَ الشيخُ : يَدعِي بَعْضُ الناس ، أنّ سبب تَخَلف المسلمين هو تمسُّكُهم بدِينهم . وشُبْهَتُهم في ذلك ، أن الغَرْب لما تَخَلَّوا عن جميع الديانات وتحرروا منها ، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدم الحضاري ، وربما أَيَّدُوا**

شُبْهَتَهم بما عند الغرب من الأمطار الكثيرة والزروع ، فما رَأْيُ فضيلتكم ؟

فأجاب بقوله : هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان ، أو مفقود الإيمان ؛ جاهل بالتاريخ ، غير عالم بأسباب النصر ، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسكة بدينها في صدر الإسلام كان لها العزة والتمكين ، والقوة والسيطرة في جميع نواحي الحياة ، بل إن بعض الناس يقول : إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا ما نقلوه عن المسلمين فى صدر الإسلام ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيرًا عن دينها ، وابتدعت في دين الله ما ليس منه ، عقيدة ، وقولًا ، وفِعْلًا ، وحصل بذلك التأخر الكبير ، والتخلف الكبير ، ونحن نعلم علم اليقين ونُشهِد الله – عز وجل – أننا لو رجعنا إلى ما كان عليه أسلافنا في ديننا ، لكانت لنا العزة ، والكرامة ، والظهور على جميع الناس . ولهذا لما حدَّث « أبو سُفْيَانَ » « هِرَقْل » مَلِكَ الرُّوم – والروم في ذلك الوقت تُعتبر دولةَ عُظْمَى بما كان عليه الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه . قال : « إنْ كان ما تَقُولُ حَقًّا فسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ » . ولما خرج أبو سفيان وأصحابه من عند « هِرَقْل » ، قال : « لقد أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَة ، إنَّه لَيَخَافُه مَلِكُ بَنِي الأَصْفَر » .

وأما ما حصل في الدول الغربية الكافرة الملحدة من التقدم في الصناعات وغيرها ، فإن ديننا لا يمنع منه لو أننا التفتنا إليه ، لكن

مع الأسف ضيعّنا هذا وهذا ، ضيعنا ديننا ، وضيعنا دنيانا ، وإلا فإن الدين الإسلامي لا يعارض هذا التقدم ، بل قال الله تعالى : ﴿ وأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ ﴾⁽¹⁾ . وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾⁽²⁾ . وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾⁽³⁾ . وقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾⁽⁴⁾ . إلى غير ذلك من الآيات التى تعلن إعلانًا ظاهرًا للإنسان أن يكتسب ويعمل وينتفع ، لكن لا على حساب الدين ، فهذه الأمم الكافرة هي كافرة من الأصل ، دينها الذي كانت تَدَّعِيه دين باطل ، فهو وإلحادها على حد سواء ، لا فَرْق . فالله – سبحانه وتعالى – يقول : ﴿ ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامَ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾⁽⁵⁾ . وإن كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم بعض المزايا التي يخالفون غيرهم فيها ، لكن بالنسبة للآخرة هم وغيرهم سواء ، ولهذا أقسم النبي ، ﷺ ، أنه لا يسمع به من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم لا يَتَّبع ما جاء به ، إلا كان من أصحاب النار ، فهم من الأصل كافرون ، سواء انتسبوا إلى اليهودية ، أو النصرانية ، أم لم ينتسبوا إليها .

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) الملك : ١٥ .

(٣) البقرة : ٢٩ .

(٤) الرعد : ٤ .

(٥) آل عمران : ٨٥ .

وأما ما يحصل لهم من الأمطار وغيرها فهم يصابون بهذا ابتلاء من الله تعالى ، وامتحانًا ، وتُعَجَّلُ لهم طيباتُهم في الحياة الدنيا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب ، وقد رآه قد أثّر في جنبه حَصِير ، فبكى عمر فقال : يا رسولَ الله ، فَارِسُ والرُّومُ يَعِيشونَ فِيمَا يَعِيشُون فِيه مِن النَّعِيم ، وأَنْتَ على هَذِه الحال . فقال : « يا عُمَرُ هَؤلاءِ قَوْم عُجِّلَتْ لهم طَيِّبَاتهُم في حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا ، ولَنَا الآخِرَةُ » . ثم إنهم يأتيهم من القَحْط والبلايا والزلازل والعواصف المدمِّرة ما هو معلوم ، ويُنشر دائمًا في الإذاعات ، وفي الصحف ، وفي غيرها ، ولكن مَنْ وقع السؤال عنه أعمى ، أعمى الله بصيرتَه فلم يعرف الواقع ، ولم يعرف حقيقة الأمر ، ونصيحتي له أن يتوب إلى الله عز وجل عن هذه التصورات قبل أن يفاجئه الموت ، وأن يرجع إلى ربه ، وأن يعلم أنه لا عزة لنا ولا كرامة ولا ظهور ولا سيادة إلا إذا رجعنا إلى دين الإسلام ، رجوعًا حقيقيًا يصدّقه القول والفعل ، وأن يعلم أن ما عليه هؤلاء الكفار باطل ليس بحق ، وأن مأواهم النار ، كما أخبر الله بذلك في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، ﷺ ، وأن هذا الإمداد الذي أمدّهم الله به من النّعم ما هو إلا ابتلاء وامتحان وتعجيل طَيِّبات ، حتى إذا هلكوا وفارقوا هذا النعيم إلى الجحيم ازدادت عليه الحسرة والألم والحزن ، وهذا من حكْمة الله – عز وجل – بتنعيم هؤلاء ، على أنهم كما قلتُ لم يَسْلَمُوا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل والقَحْط والعواصف والفيضانات وغيرها ، فأسأل الله لهذا السائل الهدايةَ والتوفيق ، وأنْ يَرُدَّه إلى الحق ، وأنْ يُبَصِّرنا في ديننا ، إنه جَوَاد كَرِيم .

٤٤٢ سئل الشيخ : كيف نجمع بين قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه – عَزَ وجَلّ – : « يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ . . » الحديثَ ، وبين قول الرسول ﷺ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهـا . . » الحديث ؟

فأجاب بقوله : حديث « الدُّنْيَا مَلْعُونة مَا فِيها » لا أدري عن صحته ، والذي أظن أنه ضعيف ، ولكن على تقدير صحته فليس هذا من باب السب ، إنما هو من باب الخبر وأنه لا خير فيها إلا عالم ومتعلم ، أو ذكر الله وما والاه ، وأما سب الدهر فهو عَيْبُه ولَوْمُه والتسخط مما وقع فيه ، وإضافة هذا الشيء إلى الدهر مع أن الأمر كله بيد الله – عز وجل – كما جاء في الحديث نفسه : « وأنا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

٤٤٣ سُئل الشيخ : عما يقوله بعض الناس من أن تصحيح الألفاظ غير مُهِمّ مع سلامة القلب ؟

فأجاب بقوله : إن أراد بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية فهذا صحيح فإنه لا يهم – من جهة سلامة العقيدة – أن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية ما دام المعنى مفهومًا وسليمًا .

أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك فكلامه غير صحيح بل تصحيحها مهم ، ولا يمكن أن نقول للإنسان أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة بل نقول الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية .

٤٤٤ سئل الشيخ : عن قول من يقول إن الإنسان يتكوّن من عنصرين ، عنصر من التراب وهو الجسد ، وعنصر من الله وهو الرُّوح ؟

فأجاب بقوله : هذا الكلام يحتمل معنيين أحدهما : أن الروح جزء من الله . والثاني : أن الروح من الله خَلْقًا ، وأظهرهما أنه أراد أن الروح جزء من الله لأن لو أراد أن الروح من الله خلقًا لم يكن بينها وبين الجسد فرق إذا لكل من الله تعالى خلقا وإيجادًا .

والجواب على قوله : أن نقول لاشك أن الله أضاف روح آدم إليه في قوله تعالى : ﴿ **فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾(١) . وأضاف رُوح عيسى إليه فقال : ﴿ **ومَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنا** ﴾(٢) . وأضاف بعض مخلوقات أخرى إليه

---

(١) الحجر : ٢٩ .

(٢) التحريم : ١٢ .

كقوله : **﴿ وطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْقَائِمِينَ ﴾**(١) . وقوله : **﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وما فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾**(٢) . وقوله عن رسوله صالح : **﴿ فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله نَاقَةَ الله وسُقْيَاهَا ﴾**(٣) . ولكن المضاف إلى الله نوعان :

أحدهما : ما يكون منفصلًا بائنًا عنه قائمًا بنفسه أو قائمًا بغيره ، فإضافته إلى الله تعالى إضافة خَلْق وتكوين ، ولا يكون ذلك إلا فيما يُقصد به تشريف المضاف أو بيان عظمة الله تعالى ، لعظم المضاف ، فهذا النوع لا يمكن أن يكون من ذات الله تعالى ، ولا من صفاته ، أما كونه لا يمكن أن يكون من ذات الله تعالى ، فلأن ذات الله تعالى واحدة لا يمكن أن تتجزأ أو تتفرق ، وأما كونه لا يمكن أن يكون من صفات الله فلأن الصفة معنى في الموصوف لا يمكن أن تنفصل عنه ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والقوة ، والسمع ، والبصر وغيرها . فإن هذه الصّفات صفات لا تباين موصوفها . ومن هذا النوع إضافة الله تعالى روح آدم وعيسى إليه ، وإضافة البيت وما في السموات والأرض إليه ، وإضافة الناقة إليه ، فروح آدم وعيسى قائمة بهما ، وليست من ذات الله تعالى ، ولا من صفاته قَطْعًا ، والبيت وما في السموات والأرض والناقة أعيانٌ قائمة بنفسها ، وليست من ذات الله ولا من صفاته ، وإذا كان لا يمكن لأحد أن يقول : إن بيت الله وناقة الله من ذاته ولا من

---

(١) الحج : ٢٦ .

(٢) الجاثية : ١٣ .

(٣) الشمس : ١٣ .

صفاته فكذلك الروح التي أضافها إليه ليست من ذاته ولا من صفاته ، ولا فرق بينهما إذ الكل بائن منفصل عن الله – عز وجل – وكما أن البيت والناقة من الأجسام فكذلك الرّوح جسم تحل بدن الحي بإذن الله ، يتوفاها الله حين موتها ، ويمسك التي قضى عليها الموت ويتبعها بصر الميت حين تقبض ، لكنها جسم من جنس آخر .

النوع الثاني من المضاف إلى الله : مالا يكون منفصلًا عن الله بل هو من صفاته الذاتية أو الفعلية ، كوجهه ، ويده ، وسمعه ، وبصره ، واستوائه على عرشه ، ونزوله إلى السماء الدنيا ، ونحو ذلك . فإضافته إلى الله تعالى من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، وليس من باب إضافة المخلوق والمملوك إلى مالكه وخالقه .

وقول المتكلم « إن الرُّوح من الله » . يحتمل معنى آخر غير ما قلنا إنه الأظهر : وهو أن البدن مادته معلومة ، وهي التراب . أما الروح فمادتها غير معلومة ، وهذا المعنى صحيح . كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾⁽١⁾ . وهذه – والله أعلم – من الحِكْمة في إضافتها إليه أنها أمر لا يمكن أن يصل إليه علم البشر ، بل هي مما استأثر الله بعلمه كسائرالعلوم العظيمة الكثيرة التي لم نؤت منها إلا القليل ، ولا نحيط بشيء من هذا القليل إلا بما شاء الله تبارك وتعالى ، فنسأل الله تعالى أن يفتح علينا من رحمته وعلمه ما به صلاحنا ، وفلاحنا في الدنيا والآخرة .

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

٤٤٥ سئل فضليته : عن قول بعض الناس إذا انتقم الله من الظالم « الله مَا يَضْرِبُ بِعَصى » ؟

فأجاب بقوله : لا يجوز أن يقول الإنسان مثل هذا التعبير بالنسبة لله – عز وجل – ، ولكن له أن يقول : إن الله سبحانه وتعالى ، حكم لا يظلم أحدًا ، وانه ينتقم من الظالم ، وما أشبه هذه الكلمات التي جاءت بها النصوص الشرعية ، أما الكلمة التي أشار إليها السائل فلا أرى أنها جائزة .

٤٤٦ سئل الشيخ : عن قول بعض الناس إذا شاهد من أسرف على نفسه بالذّنوب يقول : « فلان بعيد عن الهداية ، أو عن الجنّة ، أو عن مغفرة الله » فما حكم ذلك ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز لأنه من باب التَّألّي على الله – عز وجل – وقد ثبت في الصحيح أن رجلًا كان مسرفًا على نفسه ، وكان يمرّ به رجل آخر فيقول : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله – عز وجل – « مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَّا أَغْفِرَ لِفُلانٍ ، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » . ولا يجوز للإنسان أن يستبعد رحمة الله – عز وجل – ، كم من إنسان قد بلغ في الكفر مبلغًا عظيمًا ، ثم هداه الله

فصار من الأئمة الذين يهدون بأمر الله – عز وجل – ، والواجب على من قال ذلك أن يتوب إلى الله ، حيث يندم على ما فعل ، ويعزم على أن لا يعود في المستقبل .

٤٤٧ . سئل الشيخ : عن هذا القول « أحبائي في رسول الله » ؟

فأجاب فضيلته قائلًا : هذا القول وإن كان صاحبه فيما يظهر يريد معنًى صحيحًا ، يعني أجتمع أنا وإياكم في محبة رسول الله ﷺ ولكن هذا التعبير خلاف ما جاءت به السّنة ، فإن الحديث من أحب في الله ، وأبغض في الله ، فالذي ينبغي أن يقول : أحبائي في الله – عز وجل – ولأن هذا القول الذي يقوله فيه عدول عما كان يقوله السلف ، ولأنه ربما يوجب الغلوّ في رسول الله والغفلة عن الله ، والمعروف عن علمائنا وعن أهل الخير . هو أن يقول : أحبّك في الله .

٤٤٨ سئل الشيخ : عن إطلاق عبارة : « كُتُب التُّراث » على كتب السلف ؟

فأجاب بقوله : الظاهر أنه صحيح ، لأن معناه الكتب الموروثة عمن سبق . ولا أعلم في هذا مانعًا .

٤٤٩ سُئل الشيخ : من الذي يستحق أن يُوصف بالسيادة ؟

فأجاب بقوله : لا يستحقّ أحد أن يُوصف بالسيادة المطلقة إلا الله – عز وجل – فالله تعالى هو السيد الكامل السُّؤْدُد ، أما غيره فيوصف بسيادة مقيَّدة ، مثل سيد ولد آدم ، لرسول الله والسيادة قد تكون بالنسب ، وقد تكون بالعلم ، وقد تكون بالكرم ، وقد تكون بالشجاعة ، وقد تكون بالمُلْك ، كسيد المملوك ، وقد تكون بغير ذلك من الأمور التي يكون بها الإنسان سيدًا ، وقد يقال للزوج سيد بالنسبة لزوجته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾(١) .

فأما السيد في النسب فالظاهر أن المراد به من كان من نسل رسول الله ﷺ وهو أولاد فاطمة – رضي الله عنها – أي ذريتها من بنين وبنات ، وكذلك الشريف ، وربما يراد بالشريف من كان هاشميًا ، وأيًا كان الرجل أو المرأة سيدًا أو شريفًا فإنه لا يمتنع شرعًا أن يتزوّج من غير السيد والشريف ، فهذا سيد بني آدم وأشرفهم ؛ محمد رسول الله ﷺ قد زوّج ابنتيه رُقَيَّة وأمَّ كُلْثُوم عثمان بن عفان ، وليس هاشميًا ، وزوج ابنته زينب أبا العاص بن الرَّبيع وليس هاشميًا .

---

(١) يوسف : ٢٥ .

٤٥٠ سئل الشيخ : عن هذه العبارة « أَعْطِني الله لا يَهِينُك » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : هذه العبارة صحيحة ، والله - سبحانه وتعالى - قد يهين العبد ويذلّه ، وقد قال الله تعالى في عذاب الكفار : إنهم يجزون عذاب الهُون بما كانوا يستكبرون في الأرض ، فأذاقهم الله الهوان والذلّ بكبريائهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق . وقال : ﴿ ومَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾(١) والإنسان إذا أمرك بأمر فقد تشعر بأن هذا إذلال وهوان لك فيقول : « الله لا يهينك » .

٤٥١ وسئل : هل هذه العبارة صحيحة « بفضل فلان تغيّر هذا الأمر ، أو بجُهْدِي صار كذا » ؟

فأجاب الشيخ بقوله : هذه العبارة صحيحة ، إذا كان للمذكور أثر في حصوله ، فإن الإنسان له فضل على أخيه إذا أحسن إليه ، فإذا كان للإنسان في هذا الأمر أثرًا حقيقيًا فلا بأس أن يُقال : هذا بفضل فلان ، أو بجهود فلان ، أو ما أشبه ذلك ، لأن إضافة الشيء إلى سببه المعلوم جائزة شرعًا وحسًا ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال في عَمِّه أبي طالب : « لَوْلَا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » . وكان

---

(١) الحج : ١٨ .

أبو طالب يعذب في نار جهنم في ضَحْضَاح من نار ، وعليه نعلان يغلي منهمادماغُه ، وهو أَهْوَنُ أهل النار عذابًا - والعياذ بالله - فقال النبي ﷺ : « لولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار » .

أما إذا أضاف الشيء إلى سبب وليس بصحيح فإن هذا لا يجوز . وقد يكون شِرْكًا ، كما لو أضاف حدوث أمر لا يحدثه إلا الله إلى أحد من المخلوقين ، أو أضاف شيئًا إلى أحدٍ من الأموات إنه هو الذي جَلَبه له فإن هذا من الشرك في الربوبية .

٤٥٢ سُئل الشيخ : عن وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق ؟

فأجاب بقوله : الحيوان الناطق يطلق على الإنسان كما ذكره أهل المنطق ، وليس فيه عندهم عيب ، لأنه تعريف بحقيقة الإنسان ، لكنه في العُرْف قول يعتبر قَدْحًا في الإنسان ، ولهذا إذا خاطب الإنسان به عاميًّا فإن العامي سيعتقد أن هذا قدحًا فيه ، وحينئذ لا يجوز أن يُخَاطب به العامي ؛ لأن كل شيء يسيء إلى المسلم فهو حرام ، أما إذا خوطب به من يفهم الأمر على حسب اصطلاح المناطقة ، فإن هذا لا حرج فيه ، لأن الإنسان لاشك أنه حيوان باعتبار أنه فيه حياة ، وأن الفصل الذي يميِّزه عن غيره من بقية الحيوانات هو النطق . ولهذا قالوا : إن كلمة « حيوان » جنس ، وكلمة « ناطق » فصل ، والجنس يعمّ المعرَّف وغَيْرَه ، والفصل يُمَيِّز المعرَّف عن غيره .

٤٥٣ ـــــ وسئل عن عبارة : « فَأْلُ الله ولا فَألَك » ؟

فأجاب : هذا التعبير صحيح ، لأن المراد الفَأْل الذي هو من الله ، وهو أني أتفاءل بالخير دونما أتفاءل بما قلتَ ، هذا هو معنى العبارة ، وهو معنى صحيح أن الإنسان يتمنى الفأل الكلمة الطيبة من الله – سبحانه وتعالى – دون أن يتفاءل بما سمعه من هذا الشخص الذي تشاءم من كلامه .

٤٥٤ ـــــ سُئل الشيخ : عن إطلاق بعض الأزواج على زوجاتهم وَصْف أمّ المؤمنين ؟

فأجاب فضيلته بقوله : هذا حرام ، ولا يحل لأحد أن يسمي زوجته أم المؤمنين ، لأن مقتضاه أن يكون هو نبيًا ، لأن الذي يوصف بأمهات المؤمنين هنَّ زوجات النبي ، عليه الصلاة والسلام ، وهل هو يريد أن يتبوأ مكان النبوة وأن يدعو نفسه بعد بالنبي ؟ بل الواجب على الإنسان أن يتجنب مثل هذه الكلمات ، وأن يستغفر الله تعالى ، مما جرى منه .

٤٥٥ وسُئل الشيخ : عن قول الإنسان لضيفه : « وَجْه الله إلاّ أن تأكل » ؟

فأجاب بقوله : لا يجوز لأحد أن يستشفع بالله – عز وجل – إلى أحد من الخلق ، فإن الله أعظم وأجل من أن يستشفع به إلى خلقه ، وذلك لأن مرتبة المشفوع إليه أعلى من مرتبة الشافع والمشفوع له ، فكيف يصح أن يجعل الله تعالى شافعًا عند أحد ؟ ! .

٤٥٦ وسئل عن قول الإنسان : « أنا حُر » ؟

فأجاب بقوله : إذا قال ذلك رجل حر وأراد أنه حر من رِقّ الخَلْق ، فنعم هو حُر من رِقّ الخلق ، وأما إن أراد أنه حر من رِقّ العبودية لله – عز وجل – فقد أساء في فَهْم العبودية ، ولم يعرف معنى الحرية ، لأن العبودية لغير الله هي الرقّ ، أما عبودية المرء لربه – عز وجل – فهي الحرية ، فإنه إن لم يذل لله لغير الله ، فيكون هنا خادعًا نفسه إذا قال : إنه حر يعني إنه متجرد من طاعة الله ، ولن يقوم بها .

٤٥٧ ــــــ سُئل عن قول العاصي عند الإنكار عليه « أنا حرّ في تصرفاتي » ؟

فأجاب بقوله : هذا خطأ ، نقول لست حرًّا في معصية الله ، بل إنك إذا عصيت ربك فقد خرجت من الرّق الذي تدعيه في عبودية -الله إلى رق الشيطان والهوىٰ .

٤٥٨ ــــــ سئل الشيخ : عن قول أحد الخطباء في كلامه حول غزوة بَدْر : « التقى إله وشَيْطَان » . فقد قال بعض العلماء إن هذه العبارة كفر صريح ، لأن ظاهر العبارة إثبات الحركة لله - عز وجل - نرجوا من فضيلتكم توضيح ذلك ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن هذه العبارة لا تنبغي ، وإن كان قائلها قد أراد التجوز فإن التجوز إنما يسوغ إذا لم يوهم مَعْنًى فاسدًا لا يليق به . والمعنى الذي لا يليق هنا أن يجعل الشيطان قبيلًا لله تعالى ، وندًّا له ، وقِرْنًا يواجهه . كما يواجه المرء قِرْنه ، وهذا حرام ، ولا يجوز .

ولو أراد الناطق به تنقص الله تعالى وتنزيله إلى هذا الحدّ لكان كافرًا ، ولكنه حيث لم يرد ذلك نقول له : هذا التعبير حرام ، ثم إن تعبيره

به ظانًّا أنه جائز بالتأويل الذي قصده فإنه لا يأثم بذلك لجهله ، ولكن عليه ألا يعود لمثل ذلك .

وأما قول بعض العلماء الذي نقلت : إن هذه العبارة كفر صريح فليس بجيد على إطلاقه ، وقد علمت التفصيل فيه .

وأما تعليل القائل لحُكْمه بكُفْر هذا الخطيب أن ظاهر عبارته إثبات الحركة لله – عز وجل – ، فهذا التعليل يقتضي امتناع الحركة لله ، وأن إثباتها كفر ، وفيه نظر ظاهر ، فقد أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أنه يفعل ، وأنه يجيء يوم القيامة ، وأنه استوى على العرش ، أى علا عليه علوًّا يليق بجلاله ، وأثبت نبيه ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول مَنْ يدعوني فأستجيبَ له ؟ مَنْ يسألني فأُعْطِيَه ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فأَغْفِرَ له ؟ واتفق أهل السنة على القول بمقتضى ما دلّ عليه الكتاب والسنة من ذلك غير خائضين فيه ولا مُحرّفين للكلِم عن مواضعه ، ولا معطلين له عن دلائله . وهذه النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنزول إلى السماء الدنيا إن كانت تستلزم الحركة لله فالحركة له حقّ ثابت بمقتضى هذه النصوص ولازمها ، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة ، ولهذا أجاب الإمام مالك من سأله عن قوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾(١) . كيف استوى ؟ فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . وإن

---

(١) طه : ٥١ .

كانت هذه النصوص لا تستلزم الحركة لله تعالى لم يكن لنا إثبات الحركة له بهذه النصوص ، وليس لنا أيضًا أن ننفيها عنه بمقتضى استبعاد عقولنا لها ، أو توهمنا أنها تستلزم إثبات النّقص ، وذلك أن صفات الله تعالى توقيفية ، يتوقف إثباتها ونفيها على ما جاء به الكتاب والسنة ، لامتناع القياس في حقه تعالى ، فإنه لا مِثْل له ولا نِد ، وليس في الكتاب والسنة إثبات لفظ الحركة أو نفيه ، فالقول بإثبات نفيه أو لفظه قول على الله بلا علم . وقد قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأَن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَن تَقُولُوا على الله مَالَا تَعْلَمُونَ** ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾(٢) . فإذا كان مقتضى النصوص السكوت عن إثبات الحركة لله تعالى أو نفيها عنه ، فكيف نكفّر من تكلم بكلام يثبت ظاهره – حسب زعم هذا العالم – التحرك لله تعالى ؟ ! وتكفير المسلم ليس بالأمر الهيّن ، فإن من دعا رجلًا بالكفر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان المدعو كافرًا باء بها ، وإلا باء بها الداعي .

وقد تكلّم شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – في كثير من رسائله في الصفات على مسألة الحركة ، وبيّن أقوال الناس فيها ، وما هو الحق من ذلك ، وإن من الناس من جزم بإثباتها ، ومنهم من توقّف ، ومنهم من جزم بنفيها .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

والصواب في ذلك : أن ما دلّ عليه الكتاب والسنة من أفعال الله تعالى ولوازمها ، فهو حق ثابت يجب الإيمان به ، وليس فيه نقص ولا مشابهة للخلق ، فعليك بهذا الأصل فإنه يفيدك . وأعرض عما كان عليه أهل الكلام من الأقيسة الفاسدة التي يحاولون صرف نصوص الكتاب والسنة إليها ليحرفوا بها الكَلِم عن مواضعه ، سواء عن نية صالحة أو سيئة .

٤٥٩ ـــــــــ وسئل الشيخ : عن عبارة « ما صَدَقْتُ على الله » ؟

فأجاب بقوله : « ما صدقت على الله » ، يعني ما ظننت أن الله تعالى يفعل هذا ، لأنه يستبعد في نظره وقوع ذلك ، ولهذا لا تقال إلا إذا حصل الشيء بعد معاناة وتعب . وعلى هذا فلا بأس بذلك . ولا أحد يعني بهذا القول أني ما صَدَّقْتُ الله .

٤٦٠ ـــــــــ وسئل عن هذه العبارة : « الله يَسْأَلُ عن حالك » ؟

فأجاب هذه العبارة : « الله يسأل عن حالك » ، لا تجوز لأنها توهم أن الله تعالى يجهل الأمر فيحتاج إلى أن يسأل ، وهذا من المعلوم أنه أمر منكر عظيم ، والقائل لا يريد هذا في الواقع لا يريد أن الله يخفى عليه شيء ، ويحتاج إلى سؤال ، لكن هذه العبارة قد تفيد هذا المعنى ، أو توهم هذا المعنى ، فالواجب العدول عنها ، واستبدالها بأن تقول : « أسأل الله أن يحتفي بك » . و« إن يَلْطُفَ بك » ، وما أشبهها

٤٦١ سئل الشيخ : عن تسمية بعض الزهور بـ « عَبَّاد الشمس » لأنه يستقبل الشمس عند الشروق والغروب ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز لأن الأشجار لا تعبد الشمس ، إنما تعبد الله – عز وجل – كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾(١) . وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كمراقبة الشمس ، ونحو ذلك من العبارات .

٤٦٢ وسُئل – حفظه الله – : عن قول « لا حَوْلَ الله » ؟

فأجاب : قول « لا حول الله » ، ما سمعت أحدًا يقولها وكأنهم يريدون « لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله » . فيكون الخطأ فيها في التعبير ، والواجب أن تعدل على الوجه الذي يُراد بها ، فيقال : « لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا الله » .

٤٦٣ وسئل فضيلته : يستخدم بعض الناس عبارة « راعني » ويقصدون بها انظرني ، فما صحة هذه الكلمة ؟

فأجاب قائلاً : الذي أعرف أن كلمة : « راعني » يعني من المراعاة أي أنزل لنا في السِّعْر مثلًا ، وانظر إلى ما أريد ، ووافقني عليه ، وما أشبه ذلك ، وهذه لا شيء فيها . وأما قول الله تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا** ﴾(١) .

فهذا كان اليهود يقولون « راعنا » ، من الرُّعونة فينادون بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، يُريدون الدعاء عليه ، فلهذا قال الله لهم : ﴿ **وقولوا انظرنا** ﴾ . وأما « راعني » ، فليست مثل « راعنا » ، لأن راعنا منصوبة بالألف وليست بالياء .

٤٦٤ سئل الشيخ عن هذه العبارات : « هذا زمان أَقْشَر » ، أو « الزمن غدّار » ، أو « يا خَيْبَةَ الزَّمَنِ الذي رَأَيْتُك فيه » ؟

فأجاب بقوله : هذه العبارات التي ذكرت في السؤال تقع على وجهين :

الوجه الأول : أن تكون سبًّا وقدحًا في الزّمن فهذا حرام . ولا يجوز ، لأن ما حصل في الزمن فهو من الله – عز وجل – فمن سبّه فقد سبّ الله ، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي : يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْرُ . بِيَدِيَ الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

والوجه الثاني : أن يقولها على سبيل الإخبار فهذا لا بأس به ، ومنه قوله تعالى عن لوط ، عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وقال هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾(1) . أى شديد ، وكل الناس يقولون : هذا يوم شديد . وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور ، وليس فيه شيء .

وأما قول « هذا الزمن غدّار » ، فهذا سبّ لأن الغَدْر صفة ذمّ ولا يجوز .

وقول « يا خيبة اليوم الذي رأيتك فيه » إذا قصد يا خيبتي أنا ، فهذا لا بأس فيه ، وليس سبًّا للدهر ، وإن قصد الزمن أو اليوم فهذا سب له فلا يجوز .

٤٦٥ ـــــ سئل الشيخ : عن قول « يا حاجّ » ، و« السيّد فُلان » ؟

فأجاب بقوله : قول « حاج » يعني أدى الحج لا شيء فيها .

وأما السيد فينظر إن كان صحيحًا أنه ذو سيادة فيقال : هو سيد بدون « أل » فلا بأس به . بشرط ألا يكون فاسقًا ولا كافرًا فإن كان

فاسقًا أو كافرًا فإنه لا يجوز إطلاق لفظ سيد إلا مضافًا إلى قومه ، مثل سيد بني فلان ، أو سيد الشّعْب الفلاني ونحو ذلك .

٤٦٦ وسئل : نسمع ونقرأ كلمة « حرية الفِكْر » كثيرًا ، وهي دعوة إلى حرّية الاعتقاد ، فما تعليقكم على ذلك ؟

فأجاب بقوله : تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حرّ الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر ، لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدّين بغير دين محمد ﷺ فإنه كافر بالله – عز وجل – يُسْتتاب ، فإن تاب وإلا وجب قتله . والأديان ليست أفكارًا ، ولكنها وَحْي من الله – عز وجل – ينزله على رسله ، ليسير عباده عليه ، وهذه الكلمة – أعني كلمة فكر – التي يقصد بها الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية لأنها تُؤدّي إلى هذا المعنى الفاسد ، وهو أن يقال عن الإسلام : فكر ، والنصرانية فكر ، واليهودية فكر – وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية – فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها مَنْ شاء مِن الناس ، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله عز وجل – يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله ، تعبّد بها عبادَه ، ولا يجوز أن يُطلق عليها فكر .

وخلاصة الجواب : أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتديّن بما شاء وأنه حرّ فيما يتدين به فإنه كافر بالله – عز وجل – لأن الله تعالىٰ

يقول : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1] . ويقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾[2] . فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوىٰ الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صَرَّح أهل العلم بأنه كافر كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّة .

٤٦٧ —— يستعمل بعض الناس عند أداء التحية عبارات عديدة منها : « مَسَّاك الله بالخير » . و« الله بالخير » . « وصَبَّحَك الله بالخير » . بدلًا من لفظة التحية الواردة ، وهل يجوز البدء بالسلام بلفظ : « عليك السلام » ؟

السلام الوارد هو أن يقول الإنسان : « السلام عليك » ، أو « سلام عليك » ، ثم يقول بعد ذلك ما شاء من أنواع التّحيات ، وأما « مسّاك الله بالخير » . و« صبحك الله بالخير » ، أو « الله بالخير » . وما أشبه ذلك فهذه تقال بعد السلام المشروع . وأما تبديل السلام المشروع بهذا فهو خطأ .

وأما البداءة بالسلام بلفظ : « عليك السلام » فهو خلاف المشروع ؛ لأن هذا اللفظ للردّ لا للبداءة .

٤٦٨ وسئل عن قول الإنسان إذا سئل عن شخص قد توفاه الله قريبًا قال : « فلان ربنا افتكره » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : إذا كان مراده بذلك أن الله تذّكر ثم أماته فهذه كلمة كفر ، لأنه يقتضي أن الله – عز وجل – ينسىٰ ، والله سبحانه وتعالىٰ لا ينسىٰ ، كما قال موسى ، عليه الصلاة والسلام لما سأله فرعون : ﴿ **فَمَا بَالُ الْقُرونِ الْأُولَى . قال عِلمُهَا عِندَ رَبِّي في كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي ولَا يَنسَى** ﴾(١) . فإذا كان هذا هو قصد المجيب وكان يعلم ويدري معنى ما يقول فهذا كفر . أما إذا كان جاهلًا ولا يدري ويريد بقوله : « أن الله افتكره » يعني أخذه فقط فهذا لا يكفر ، لكن يجب أن يُطهر لسانه عن هذا الكلام ، لأنه كلام موهم لنقص رب العالمين – عز وجل – ويجيب بقوله : « توفّاه الله أو نحو ذلك » .

٤٦٩ سئل الشيخ : عن قول بعض الناس إذا مات شخص ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز أن يُطلق على شخص بعينه ، لأن هذه شهادة بأنه من هذا الصنف .

٤٧٠ وسئل عن قول « فلانٌ المرحوم » . و« تغمدَ الله برحمته » و« انتقل إلى رحمة الله » ؟

فأجاب بقوله : قول « فلان المرحوم » ، أو « تغمده الله برحمته » لا بأس بها ، لأن قولهم « المرحوم » من باب التفاؤل والرجاء ، وليس من باب الخبر ، وإذا كان من باب التفاؤل والرجاء فلا بأس به . وأما « انتقل إلى رحمة الله » فهو كذلك فيما يظهر لي أنه من باب التفاؤل ، وليس من باب الخبر ، لأن مثل هذا من أمور الغيب ولا يمكن الجزم به ، وكذلك لا يُقال « انتقل إلى الرفِيق الأعْلَى » .

٤٧١ سئل الشيخ : عن قول « إنَّ فلانًا له المَثَل الأَعْلَى » ، أو « فلان كان المَثَل الأَعْلَى » ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز على سبيل الإطلاق ، إلا لله سبحانه وتعالى ، فهو الذي له المثل الأعلىٰ ، وإما إذا قال : « فلان كان المثل الأعلى في كذا وكذا » ، وقيّده فهذا لا بأس به .

٤٧٢ ــــــــــــ **سئل الشيخ : كثيرًا ما نرىٰ على الجدران كتابة لفظ الجلالة ، وبجانبها لفظة محمد ﷺ أو نجد ذلك على الرِّقاع ، أو على الكتب ، أو على بعض المصاحف ، فهل موضعها هذا صحيح ؟**

فأجاب قائلًا : موضعها ليس بصحيح لأن هذا يجعل النبي ﷺ ندًّا لله مساويًا له ، ولو أن أحدًا رأىٰ هذه الكتابة وهو لا يدري مَنْ المُسَمَّى بهما لأيقن يقينًا أنهما متساويان متماثلان ، فيجب إزالة اسم رسول الله ﷺ ويبقى النظر في كتابة : « الله » وحدها ، فإنها كلمة يقولها الصوفية ، ويجعلونها بدلًا عن الذكر . يقولون : « الله الله الله » ، وعلى هذا فتلغىٰ أيضًا ، فلا يكتب « الله » ، ولا « محمد » على الجدران ، ولا في الرِّقاع ولا في غيره .

٤٧٣ ــــــــــــ **وسئل الشيخ عن قول الإنسان مُتَسَخِّطًا : « لو أني فعلتُ كذا لكانِ كذا » ، أو يقول : « لَعْنَة الله على المرض هو الذي أعاقني » ؟**

فأجاب بقوله : إذا قال : « لو » فعلت كذا لكان كذا » ندمًا وسَخَطًا على القدر ، فإن هذا مُحَرَّم ولا يجوز للإنسان أن يقوله ، لقول

النبي ، عليه الصلاة والسلام : « احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ بالله ، ولا تَعْجِزْ فإنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وكَذَا ؛ فإنَّ « لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ، ولكن قُلْ قَدَّرَ الله وما شَاءَ فَعَلَ » . وهٰذا هو الواجب على الإنسان أن يفعل المأمور وأن يستسلم للمقدور ، فإنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وأما من يلعن المرض وما أصابه من فعل الله – عز وجل – فهذا من أعظم القبائح ، – والعياذ بالله – لأن لعنه للمرض الذي هو من تقدير الله تعالى بمنزلة سبّ الله سبحانه وتعالى ، فعلى من قال مثل هذه الكلمة أن يتوب إلى الله ، وأن يرجع إلى دينه ، وأن يعلم أن المرض بتقدير الله ، وأن ما أصابه من مصيبة فهو بما كسبت يده ، وما ظَلَمه الله ، ولكن كان هو الظالم لنفسه .

٤٧٤ ـــــ سئل الشيخ عن هذه العبارة : « العِصْمَةُ لله وَحْدَه » ، مع أن العصمة لابد لها من عاصم ؟

فأجاب قائلًا : هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله – عز وجل – وحُكْمه كله صواب ، وليس فيه خطأ ، وهي بهذا المعنى صحيحة ، لكن لفظها مستنكر ومستكره ، لأنه كما قال السائل قد يوحي بأن هناك عاصمًا عَصِمَ الله – عز وجل – ، والله – سبحانه وتعالى – هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فالأولى أن لا يعبر

الإنسان بمثل هذا التعبير ، بل يقول الصواب في كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ .

٤٧٥ —— وسئل الشيخ : عن قول : « على هواك » وقول بعض الناس في مثل مشهور : « الْعَيْنُ وما تَرَىٰ ، والنَّفس وما تَشْتَهِي » ؟

فأجاب بقوله : هذه الألفاظ ليس فيها بأس إلا أنها تقيد بما يكون غير مخالفٍ للشرع ، فليس الإنسان على هواه في كل شيء ، وليست العين في كل شيء تراه ، المهم أن هذه العبارة من حيث هي لا بأس بها لكنها مقيدة بما لا يخالف الشرع .

٤٧٦ —— وسئل الشيخ : عن هذه العبارة : « المكتوب على الْجَبِين لابد تراه العين » ؟

فأجاب بقوله : هذا وردت فيه آثار إنه يكتب على الجبين ما يكون على الإنسان ، لكن الآثار هذه ليست إلى ذاك في الصحة ، بحيث يعتقد الإنسان مدلولها ، فالأحاديث الصحيحة أن الإنسان يُكتب عليه في بطن أمِّه أجلُه وعملُه ورزقُه ، وشقي أم سَعِيد .

٤٧٧ وسئل يقول بعض الناس : « أوجد الله كذا » ، فما مدى صحتها ؟ وما الفرق بينها وبين : « خلق الله كذا » أو « صوّر الله كذا » ؟

فأجاب بقوله : أوجد وخلق ليس بينهما فرق ، فلو قال : أوجد الله كذا كانت بمعنى خلق الله كذا ، وأما صوّر فتختلف لأن التصوير عائد إلى الكيفية لا إلى الإيجاد .

٤٧٨ سئل الشيخ عن هذه العبارات : « بسم الوطن ، بسم الشعب ، بسم العروبة » .

فأجاب قائلًا : هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب ، أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به ، وإن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك ، وقد يكون شركًا أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به .

٤٧٩ — وسئل الشيخ : عما يقوله بعض الناس : « أنا نصراني لو فعلتُ كذا . . . » إلخ ؟

فأجاب بقوله : هذا من باب اليمين فحُكْمه حكم اليمين ، إذا حنث فيه يُكَفِّر كفارة يمين إذا تمت شروط الكفارة ، لكن ينبغي للإنسان أن يحلف بالله – عز وجل – لأن بعض الناس يظن أن هذه العبارة أوكد من الحلف بالله ، فيريد أن يؤكد ما يقول بمثل هذه العبارة ، ولكننا نقول يفعل ما أرشد إليه النبي ، عليه الصلاة والسلام ، في قوله : « مَنْ كان حَالِفًا فلْيَحْلِف بالله أَوْ لِيَصْمُتْ » .

٤٨٠ — سئل الشيخ : عن قول بعض الناس : « خَسَرْتُ في الْحَجِّ كذا ، وخسرت في العُمْرة كذا ، وخسرت في الجهاد كذا ، وكذا » .

فأجاب قائلًا : هذه العبارات غير صحيحة ، لأن ما بذل في طاعة الله ليس بخسارة ، بل هو الربح الحقيقي ، وإنما الخسارة ما صرف في معصية أو في مالا فائدة فيه ، وأما ما فيه فائدة دنيوية أو دينية فإنه ليس بخسارة .

٤٨١ سئل الشيخ : عن قول الإنسان لرجل : « أنت يا فلانُ خليفةُ الله في أرْضِه » ؟

فأجاب بقوله : إذا كان ذلك صدقًا بأن كان هذا الرجل خليفة يعني ذا سلطان تامّ على البلد ، وهو ذو السلطة العليا على أهل هذا البلد ، فإن هذا لا بأس به ، ومعنى قولنا « خليفة الله » أن الله استخلفه على العباد في تنفيذ شرعه ، لأن الله تعالىٰ استخلفه على الأرض ، والله – سبحانه وتعالىٰ – مستخلفنا في الأرض جميعًا وناظر ما كنا نعمل ، وليس يُراد بهذه الكلمة أن الله تعالى يحتاج إلى أحد يخلفه في خلقه أو يعينه على تدبير شئونهم ، ولكن الله جعله خليفة يخلف من سبقه ، ويقوم بأعباء ما كلّفه الله .

٤٨٢ سئل الشيخ : عن قول الإنسان إذا شاهد جنازة : « مَنْ المُتَوفي » بالياء ؟

فأجاب بقوله : الأحسن أن يقال « مَنْ المتوفّىٰ » ؟ وإذا قال من المتوفي ؟ فلها معنى في اللغة العربية لأن هذا الرجل توفّىٰ حياته وأنهاها .

٤٨٣ **وسئل عن قول : « مُسَيْجِيد ، مُصَيْحِيف » ؟**

فأجاب قائلًا : الأولى أن يُقال المسجد والمصحف بلفظ التكبير لا بلفظ التصغير ، لأنه قد يوهم الاستهانة به .

٤٨٤ **سئل الشيخ : عن حُكْم قول : « البقيّة في حياتِك » ، عند التعزية وردّ أهل الميت بقولهم : « حياتك الباقية » ؟**

فأجاب فضيلته بقوله : لا أرىٰ فيها مانعًا إذا قال الإنسان البقية في حياتك لا أرىٰ فيها مانعًا ، ولكن الأولىٰ أن يقال إنَّ في الله خَلَفًا مِنْ كُلِّ هالك ، أحسن من أن يُقال البقية في حياتك ، كذلك الرد عليه إذا غير المُعَزِّي هذا الأسلوب فسوف يتغيرّ الرّد .

٤٨٥ **سئل الشيخ : يكره بعض الناس اسم علي والحسين ونحوه وينفر منها ، وذلك لتعظيم الرافضة لتلك الأسماء فما جوابكم حفظكم الله تعالى ؟**

فأجاب بقوله : جوابي على هذا أن البدعة لا تقابل ببدعة ، فإذا كان طائفة من أهل البدع يغلون في مثل هذه الأسماء ، ويتبركون بها ، فلا

يجوز أن نقابلهم ببدعةٍ فننفر من هذه الإسماء ونكرها ، بل تقول إن الأسماء لا تغير شيئا عما كان عليه الإنسان ، فكم من إنسان يسمى باسم طيب حسن ، وهو - أعني المُسَمَّى به - من أسوأ الناس . وكم من إنسان يُسمَّى عبدالله وهو من أشدِّ الناس استكبارًا ، وكم من إنسان يسمى محمد ، وهو من أعظم الناس ذمًّا ، وكم من إنسان يسمٰى عليًّا وهو نازل سافل ، فالمهم أن الاسم لا يغير شيئًا ، لكن لا شك أن تحسين الاسم من الأمور المطلوبة ، كما قال النبي ، عليه الصلاة والسلام : « أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إلى الله عَبْد الله وعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وأَصْدَقُهَا حَارِث وهَمَّام » .

متفرقـــــات

٤٨٦ ـــ يرد في كثير من الآيات لفظ السماء بصيغة الجمع والإفراد ، والأرض مفردة فهل هي في حالة الإفراد تدل على معنى الجمع ؟

ما ذَكَر من ورود الآيات الكثيرة التي فيها جمع السموات وإفراد الأرض فهو كما ذكر ، فالله تعالى يذكر السموات بلفظ الجمع تارة وبالإفراد تارة أخرى قال الله تعالى : **﴿ إنَّ اللهَ لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السماءِ ﴾**(١) وقال الله تعالى : **﴿ يَعْلَمُ ما في السمواتِ والأَرْضِ ﴾**(٢) ولكن الأرض لم تأت مجموعة في القرآن الكريم أبدا بل هي مفردة دائما ولكنها أتت بالجمع إشارة في قوله تعالى : **﴿ اللهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾**(٣) لأن المِثْلية هنا ليست في الصفات والكيفية ، للفرق العظيم بين السماء والأرض ولكنها مثلية في العدد ، وقد فَسَّرت السنة الكريمة ذلك قال ﷺ : « مَنْ

---

(١) آل عمران ٥

(٢) العنكبوت ٥٢

(٣) الطلاق ١٢ .

اقْتَطَعَ شِبْراً مِنْ الأَرْضِ ظُلْماً طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِين » . وعلى هذا فلفظ الأرض ورد في القرآن الكريم مفرداً ولكن يراد به الجنس الذي يصدق على المفرد والمتعدد .

٤٨٧ ——— يتساءل بعضُ الناس كيف رأى النبي ﷺ أحوالَ أهل الجنة وأحوالَ أهل النار ليلةَ الإسراء والمعراج ؟ مع أن الساعة لم تَقُمْ بَعْدُ ؟

فأجاب الشيخ بقوله : إن النبي ﷺ أخبرنا بذلك وأنه رأى الجنة والنار ورأى أقواما يُعَذَّبون وأقواما يُنَعَّمُون والله أعلم بكيفية ذلك ، لأن أمور الغيب لا يدركها الحِس . فمثل هذه الأمور إذا جاءت يجب علينا أن نؤمن بها كما جاءت وأن لا نتعرض لطلب الكيفية . ولِمَ ؟ لأن عقولنا أقصر وأدنى من أن تدرك هذا الأمر ، فقد أخبر النبي ﷺ عن أمور لا يمكن إدراكها بالعقل ، أخبر ﷺ بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كلَّ ليلة ومعلوم الآن أن ثلث الليل يدور على الكرة الأرضية فإذا انتقل من جهة حل في جهة أخرى فقد تقول كيف ذلك ؟ فنقول عليك أن تؤمن بما أخبرك به النبي ﷺ ولا تقل كيف ؟ لأن عقلك أدنى وأقصر من أن يحيط بمثل هذه الأمور الغيبية ، فعلينا أن نستسلم ولا نقول كيف ولم ؟ ولهذا قال بعض العلماء كلمة نافعة قال : « قُلْ بِمَ أمر اللهُ ؟ ولا تقل لِمَ أمَرَ اللهُ » . والله ولي التوفيق .

٤٨٨ سئل فضيلة الشيخ: عن المراد بالرُّوحِ والنَّفْسِ والفرق بينهم؟

فأجاب قائلًا: الروح في الغالب تطلق على ما به الحياة سواءً كان ذلك حسًا أو معنى، فالقرآن يسمى روحًا قال الله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** ﴾(١) لأن به حياة القلوب بالعلم والإيمان، والروح التي يحيى بها البدن تسمى روحًا كما قال الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾(٢).

أما النفس فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيرًا كما في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾(٣) وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه فيقال جاء فلان نفسه، فتكون بمعنى الذات، فهما يفترقان أحيانًا ويتفقان أحيانًا حسب السياق.

وينبغي بهذه المناسبة أن يعلم أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها فقد تكون الكلمة الواحدة لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق فالقرية مثلًا تطلق أحيانًا على نفس المسكن، وتطلق أحيانًا على الساكن نفسه ففي قوله تعالى عن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم ﴿ **قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ** ﴾(٤) المراد بالقرية هنا المساكن، وفي قوله تعالى ﴿ **وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا**

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) العنكبوت: ٣١

شَدِيدًا ﴾(١) المراد بها الساكن ، وقوله تعالى : **﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾**(٢) المراد بها الساكن ، وفي وقوله **﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾**(٣) المراد بها الساكن ، فالمهم أن الكلمات إنما يتحدد معناه بسياقها وبحسب ما تضاف إليه ، وبهذه القاعدة المفيدة المهمة يتبين لنا رجحان ما ذهب إليه كثير من أهل العلم من أن القرآن الكريم ليس فيه مجاز وأن جميع الكلمات التي في القرآن كلها حقيقة ، لأن الحقيقة هي ما يدل عليه سياق الكلام بأي صيغة كان فإذا كان الأمر كذلك تَبَيَّنَ لنا بطلان قول من يقول إن في القرآن مجازًا ، وقد كتب في هذا أهل العلم وبَيَّنُوه ، ومن أَبْيَنِ ما يجعل هذا القول صوابًا أن من علامات المجاز صحة نفيه بمعنى أنه يصح أن تنفيه فإذا قال فلان أسد ، صح لك نفيه ، وهذا لا يمكن أن يكون في القرآن ، فلا يمكن لاحد أن ينفي شيئًا مما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم .

٤٨٩ — هل يجوز لي أن أؤم زوجي في الصلاة بحكم أني أكثر فقهًا ودراسة . حيث أنني أدرس بكلية الشريعة وهو نصف أمي ؟

لا يجوز للمرأة أن تَؤُمَّ الرجل سواء أكان زوجها أم ابنها أم أباها لأنه لا يمكن أن تكون إمامًا للرجال ولهذا قال النبي ﷺ : «لَنْ يُفْلِحَ قَوْم

---

(١) الإسراء : ٥٨ .

(٢) البقرة : ٢٥٩ .

(٣) يوسف : ٨٢ .

وَلوا أمْرَهُم امْرَأة» حتى وإن كانت أقرأ منه فإنَّها لا تؤمه لأنَّ النَّبي ﷺ يقول : «يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرؤُهم لِكتَاب الله» والمرأة مع الرجل ليست ممن يشمله هذا الخطاب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُم ولا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾(١) . فقسم الله تعالى المجتمع إلى قسمين هما الرجال والنساء وعلى هذا فلا تدخل المرأة في عموم قوله ﷺ : «يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرَؤهم لِكِتَابِ الله» .

٤٩٠ — هل يجوز الزيادة على ما علّمه النبي ﷺ للحسن بن علي بن أبي طالب من دعاء القُنوت أو لا تجوز ؟

والجواب على هذا : أن يقال إن الزِّيادة على ذلك لا بأس بها لأنه إذا ثبت أن هذا موضع دعاء ، ولم يحدد هذا الدُّعاء بحد ينهى عن الزيادة عنه ، فالأصل أن الإنسان يدعو بما شاء ، ولكن المحافظة على ما ورد – أي عدم ترك الوارد – هو الأولى فنقدم الوارد ، وإن شئنا أن نَزيد فلا حرج ، ولهذا ورد عن الصَّحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يَلْعَنُون الكَفَرَة في قنوتهم مع أن هذا لم يرد فيما علمه النبي ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب ، وحينئذ لا يبقى في المسألة إشكال .

---

(١) الحجرات : ١١

٤٩١ النبي ﷺ رهن درعه عند يهودي في حين أنَّ من بين صحابته ما يمكن له أن يقترض منهم أو يرهن عندهم ؟

الأصل في المعاملات أن الإنسان مُخَيَّر بين أن يتعامل مع من شاء في الحدود الشرعية وكون الرسول عليه الصلاة والسلام يلجأ إلى هذا اليهودي فيشتري منه طعامًا لأهله ويرهنه درعه هي قضية عين لا نستطيع أنْ نحكم عليها في الظروف الملابسة لهذا الأمر فقد يكون في ذلك الوقت ليس أحد من الصحابة عنده هذا الطعام الذي يريده عليه الصلاة والسلام وقد يكون هذا اليهودي أَقْرب إلى بيته من غيره وقد يكون هناك أُمور لا نعلمها فقضايا الأعيان لا يمكن أن يُحْكَمَ عليها بشيء حتى يُعْلَمِ السَّبب ولكن الأصل أنه يجوز للإنسان أن يتعامل مع من شاء في الحدود الشرعية .

ولا شك أنَّ التَّعامل مع المسلم أولى وأفضل لكن التَّعامل قد يحتاج فيه الإنسان لأشياء لا تتوافر عند المسلمين فيتعامل مع غيرهم .

٤٩٢ ما حكم العمل في البنوك الربوية ومعاملتها ؟

العمل فيها مُحَرَّم لأنَّه إمَّا إعانة على الرِّبا فإذا كان إعانة على الربا فإنه يكون داخلًا في لعنة المعين حيث صح عن النبي عليه الصلاة

والسلام «أنَّه لَعَنَ آكِلَ الرِّبا ومُوكله وشَاهِدَيْه وَكَاتِبَه وقال هُم سَواء» . وإن لم يكن إعانة فهو رضا بهذا العمل وإقرارًا له ولا يجوز التَّوظف في البنوك التي تتعامل بالرِّبا وأما وضع الفلوس عندهم للحاجة فلا بأس إذا لم نجد مأمنًا سوى هذه البنوك فإنه لا بأس به بشرط أن لا يأخذ الإنسان منه الربا فإن أخذ الربا فهو حرام .

٤٩٣ **العمل بالمُحَاماة قد يُعَرِّض الإنسان لمُنَاصرة الشَّر والدفاع عنه لأنَّ المحامي يريد البراءة مثلًا للمذنب الذي يدافع عنه فهل مكسب المحامي من ذلك حرام وهل هناك شروط إسلامية لعمل الإنسان مُحَاميًا ؟**

المُحَاماة مُفَاعَلة من الحِماية والحماية إنْ كانت حِمَايَةُ شَرٍ ودفاع عنه فلا شك أنها محرمة لأنه وُقُوع فيما نهى الله عنه في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَان ﴾(١) . وإن كانت المُحَاماة لحماية الخير والذود عنه فإنَّها حماية محمودة مأمور بها في قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ﴾(٢) . وعلى هذا فإنَّ من أعد نفسه لذلك يجب عليه قبل أنْ يدخل في القضية المعينة أنْ ينظر في هذه القضية ويدرسها فإنْ كان

---

(١) المائدة : ٢

(٢) المائدة : ٢

الحق مع طالب المُحَاماة دخل في المُحَاماة وانْتصر للحق ونَصَر صاحبه وإن كان الحق في غير جانب من طلب المحاماة فإنَّه يدخل في المُحَاماة أيضًا لكن المُحَامَاة هنا تكون عكس ما يريد الطالب بمعنى أنه يحامي عن هذا الطالب حتى لا يدخل فيما حرَّم الله عليه وفي دعوى ما هو عليه وذلك لأنَّ النبي ﷺ قال : «انْصُرْ أَخاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُول الله هَذَا المَظْلُوم فَكَيْفَ نَنْصُره إذا كَانَ ظَالِمًا قَالَ تَمْنَعُه مِنَ الظُّلْم فَذَلِك نَصْرُكَ إِيَّاه» فإذا عُلِم أَنَّ طالب المحاماة ليس له حق في دَعْواه فإنَّ الواجب أَن يَنْصحه وأَن يُحَذِّره وأَن يخوفه من الدُّخول في هذه القضية وأَن يبين له وجه بُطْلان دَعْواه حتى يَدَعها مُقْتَنِعًا بها .

٤٩٤ ماذا نفعل إذا قدّم لنا لحم للطعام ولا نعرف إذا ذكر اسم الله عليه أم لا ؟ وما هو رأيكم بمعاشرة الكافرة ؟

ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ قَوْمًا قَالُوا : يَا رَسُول الله إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا باللَّحم وَلَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ الله عَلَيْه أَمْ لَا فَقَال النَّبي ﷺ : «سَمُّوا أَنْتُم وَكُلُوا» قالت : وكانوا حديثي عهد بكفر يعني أنهم جديدو الإسلام ومثل هؤلاء قد تخفى عليهم الأحكام الفرعية والدقيقة التي لا يعلمها إلا من عاش بين المسلمين ومع هذا أرشد النبي ﷺ هؤلاء السَّائلين إلى أن يَعْتَنُوا بفعلهم هم بأنفسهم فقال : «سَمُّوا أَنْتُم وَكُلُوا» أي سمُّوا على الأكل وكلوا .

وأما ما فعله غيركم ممن تَصَرَّفه صحيح فإنَّه يُحْمَلُ على الصِّحة ولا ينبغي السؤال عنه ، لأن ذلك من التعنت والتنطع ولو ذهبنا نلزم أنفسنا في السؤال عن مثل ذلك لأُتْعَبْنَا أنفسنا إتعابًا كثيرًا لاحتمال أن يكون كل طعام قدم إلينا غير مُبَاح فإن من دعاك إلى طعام إليك فإنه من الجائز أن يكون هذا الطعام مَغْصُوبًا أو مسروقًا ومن الجائز أن يكون ثمنه حَرَامًا ومن الجائز أن يكون اللَّحم الذي فيه لم يذكر اسم الله عليه وما أشبه ذلك ومن رحمة الله بعباده أن الفعل إذا كان قد صَدَر من أهله فإن الظَّاهر أنه فعل على وجه تَبْرأُ به الذمَّة ولا يلحق الإنسان فيه حرج .

وأما ما تَضَمَّنَه السُّؤال وهو معاشرة المرأة الكافرة فإن مخالطة الكافرين إن كان يرجى منها إسلامهم بِعَرْض الإسْلام عليهم وبيان مَزَاياه وفضائله فلا حرج على الإنسان أن يُخَالط ليدعوهم إلى الإسلام وإن كان لا يرجو من هؤلاء الكفار أن يُسْلِموا فإنه لا يعاشرهم لما تَقْتَضِيه مُعَاشرتهم من الوُقُوع في الإثم فإن المعاشرة تُذْهب الغيرة والإحساس وربما تَجْلِبُ المودة والمحبة لأولئك الكافرين وقد قال الله عز وجل ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ... ﴾(١) . ومودة أعداء الله ومحبتهم وموالاتهم مخالفة لما يجب على المسلم . فإن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن ذلك فقال ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ**

---

(١) المجادلة : ٢٢

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) . فقال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾(٢) . ولا ريب أن كل كافر فهو عدو لله وعدو للمؤمنين قال تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عدوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٣) . ولا يليق بمؤمن أن يُعَاشِرَ أَعْدَاءَ الله ويُوَادهم ويحبهم لما في ذلك من الخطر العظيم على دينه ومنهاجه .

٤٩٥ **في يوم من الأيام دعوت أصحابي وزملائي في العمل إلى تناول طعام الغداء ولما حضروا وقدمت لهم المائدة كان من ضمن المأكولات دجاج مشوي على الفحم نعمله في البيت سألني أحدهم – وهو معروف بصلاحه وتدينه – عنه هل هو وطني أم مستورد فذكرت أنه مستورد وأظنه فرنسي فكف عن الأكل منه فسألته لماذا ؟ فأجابني بقوله إنه محرم .**

---

(١) المائدة : ٥١

(٢) الممتحنة : ١

(٣) البقرة : ٩٨

فقلت له من أين لك هذا ؟ فرد علي بقوله : سمعت بعض المشائخ يقولون بذلك . فأرجو من فضيلتكم أن توضحوا لنا الحكم الشرعي الصحيح حفظكم الله ؟

الوارد من دول أجْنَبية أي غير إسلامية إذا كان الذين يباشرون ذبحه من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فإنه يجوز أكله ولا ينبغي السُّؤال عن كيفية ذبحه ولا هل سموا الله عليه أم لا ؟ وذلك لأن النبي ﷺ أكل من الشاة التي أهدتها إليه اليهودية في خيبر وأكل من الطَّعام الذي دعاه إليه يهودي وكان فيه أُهالة سَنخة وهي الشَّحم المتغير ولم يسأل النبي ﷺ كيف ذبحوه ولا هل سموا عليه أم لا وفي صحيح البخاري «أَنَّ قَوْمًا قَالُوا يَا رَسُولَ الله إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا باللَّحم لا نَدْري أَذَكَرُواْ اسْمَ الله عَلَيْه أَمْ لَا ؟ فقال : سَمُّوا الله وَكُلُوا» قالت عائشة راوية الحديث وكانوا حديثي عهدٍ بكفر ، ففي هذه الأحاديث دليل على أنه لا ينبغي السؤال عن كيفية الواقع إذا كان المباشر له معتبر التَّصرف وهذا من حكْمة الشَّرع وتيْسيره إذ لو طلب من الناس أن ينقبوا عن الشُّروط وانتفاء الموانع فيما يتلقونه من صحيح التَّصرف لكان في ذلك من المشقة والحرج والقلق النَّفسي مما يجعل الشريعة حرج ومشقة .

أما إذا كان المذبوح قد أتى من دولة أجْنبية والذين يُباشرون ذبحه ممن لا تَحِل ذبيحتهم كالمجوس وعبدة الأوثان ومن لا يدينون بدين فإنه لا يحل أكله لأن الله تعالى لم يبح من أطعمة غير المُسْلمين إلا طعام

الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى . وإذا شككنا في أن الذابح ممن تحل ذبيحته أو ممن لا تحل ذبيحته فإن الأصل التحريم فلا يؤكل لكن إذا غلب الظن أن الذّابح له ممن تحل ذبيحته فإنه لا بأس به وقد قال الفقهاء رحمهم الله « إذا وجدت ذبيحة مَنْبوذة في مكان يحل الذبح من أكثر أهله فهي حلال » إلا أنه في هذه الحالة ينبغي أن يتجنب إلى ما لا شك فيه . ومثل هذا لو أتى لحم ممن تَحِلّ ذبائحهم وكان بعضهم يذبح على طريقة شرعية ينهر فيها الدم وليس بسن ولا ظفر وبعضهم يَذْبح على غير الطريقة الشرعية والأكثر على الطريقة الأولى الشرعية فإنه لابأس بأكل ما أتى منه عملًا بالأكثر ولكن الأولى أن يَتَجَنَّبَهُ تَوَرُّعًا .

٤٩٦

متى يجوز للمرأة استخدام حبوب منع الحمل ، ومتى يحرم عليها ذلك ؟ وهل هناك نص صريح أو رأي فقهي بتحديد النسل ؟ وهل يجوز للمسلم أن يعزل أثناء المجامعة بدون سبب ؟

الذي ينبغي للمُسْلمين أَنْ يُكْثِروا من النَّسل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا لأن ذلك هو الأمر الذي وَجَّه النبّي إليه في قوله : «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإنِّي مُكَاثِر بِكُمْ» ولأن كثرة النَّسل كَثْرة للأمة وكَثْرة الأمة من عزتها كما قال تعالى ممتنًا على بني إسرائيل بذلك : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ

نَفِيرًا ﴾(١) . وقال شعيب لقومه : ﴿ **وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ** ﴾(٢) . ولا أحد ينكر أن كثرة الأمة سبب لعزتها وقوتها على عكس ما يتصوره أصحاب ظن السوء الذين يَظُنُّون أنَّ كثرة الأمة سَبَب لِفَقْرِها وجُوعِها . إن الأمة إذا كثرت واعتمدت على الله عزَّ وجلَّ وآمنت بِوَعْدِهِ في قوله : ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾(٣) . فإن الله ييسر لها أَمْرَها ويغنيها من فضله . بناء على ذلك تتبين إجابة السُّؤال فلا يَنْبَغي للمرأة أَنْ تَسْتَخْدِم حبوب منع الحمل ، إلا بشرطين :

الشرط الأول : أن تكون في حَاجة لذلك مثل أن تكون مَريضة لا تَتَحَمَّل الحمل كُل سَنة أو نَحيفة الجِسم أُو بها مَوَانع أُخْرَى تَضُرّها أن تحمل كل سنة .

الشرط الثاني : أن يأذن لها الزوج لأنَّ للزوج حقًا في الأولاد والإنجاب ولابد كذلك من مُشَاورة الطَّبيب في هذه الحبوب هل أَخْذَها ضَار أو لَيْس بِضَار فإذا تَمَّ الشَّرطان السَّابقان فلا بأس باستخدام هذه الحبوب لكن على ألا يكون ذلك على سبيل التَّأْبيد أي أَنَّها لا تستعمل حبوبًا تَمْنَعُ الحمل منعًا دَائِمًا لأن في ذلك قطعًا للنَّسل .

وأما الفقرة الثانية من السؤال فالجواب عليها أَنَّ تحديد النَّسل أمر لا يمكن في الواقع ، ذلك أَنَّ الحمل وعدم الحمل كُلُّه بيد الله عزَّ وجلَّ ،

---

(١) الإسراء : ٦

(٢) الأعراف : ٦

(٣) هود : ٦

ثمَّ إن الإنسان إذا حدَّد عددًا مُعَيَّنًا فإن هذا العدد قد يُصَابُ بآفة تُهْلِكُه في سَنَةٍ واحدة ويبقى حينئذ لا أولاد له ولا نسل له . .والتَّحديد أمر غير وارد بالنسبة للشَّريعة الإسلامية ولكن مَنْعُ الحمل يَتَحَدَّد بالضَّرورة على ما سبق في جواب الفقرة الأولى وأما الفقرة الثالثة والخاصة بالعزل أثناء الجِمَاع بدون سبب فالَّصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا بأس به لحديث جابر رضي الله عنه : «كُنَّا نَعْزِل وَالقُرْآن يَنْزِل» يعني في عهد النَّبي .

ولو كان هذا الفعل حرامًا لنهى الله عنه ولكن أهل العلم يقولون إنه لا يعزل عن الحرة إلا بإذنها أي لا يعزل عن زوجته الحرة إلا بإذنها لأن لها حقًا في الأولاد ، ثم إن في عَزْلِه بدون إذنها نَقْصًا في اسْتِمْتَاعها . فاستمتاع المرأة لا يَتِمُّ إلَّا بعد الإنزال . . وعلى هذا ففي عدم اسْتِئْذانها تَفْويت لكمال استمتاعها وتفويت لما يَكُون من الأولاد ولهذا اشْتَرَطْنا أن يكون بِإذْنها .

٤٩٧ ــــــــــــ هي أم لطفلين وقد طلقها زوجها ولكنها وقت الطلاق كانت غير طاهرة ولم تخبر زوجها بذلك حتى حينما ذهبوا إلى القاضي أخفت ذلك عنه إلا عن أمها التي قالت لها لا تخبري القاضي بذلك وإلا فلن تطلقي ثم ذهبت إلى أهلها ثم أرادت الرجوع إلى زوجها خوفًا على الأطفال من الضياع والإهمال فما حكم هذا الطلاق الذي حدث وعليها العادة الشهرية ؟

الطلاق الذي وقع وعلى المرأة العادة الشّهرية اختلف فيه أهل العلم وطال فيه النّقاش أنه هل يكون طلاقًا مَاضِيًا أم طلاقًا لاغيًا وجمهور أهل العلم على أن يكون الطّلاق ماضيًا ويُحْسَبُ على المرء طَلْقَةً ولكنه يُؤمر بإعادتها وأن يتركها حتى تَطهُر من الحيض ثُمَّ تحيض مرة ثانية ثم تَطْهر ثم إن شاء أَمْسَكَ بعد وإن شاء طَلَّق هذا الذي عليه جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة ولكن الراجح عندنا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه أنَّ الطلاق في الحيض لا يقع ولا يكون مَاضِيًا ذلك لأنه خلاف أمر الله ورسوله

وقد قال النبي ﷺ : «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنا فَهُوَ رَد» والدَّليل في ذلك في نفس المسألة الخاصة حديث عبد الله بن عمر حيث طلق زوجته وهي حائض فأخبر النبي ﷺ بذلك فتغَّيظَ فيه رسول الله ﷺ وقال : «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها ثُمَّ يَتْرُكهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيض ثُمَّ تَطْهُر ثُمَّ إنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدَ وَإنْ شَاءَ طَلَّق» قال النبي ﷺ : «فَتِلْكَ العدّة الَّتِي أَمَرَ الله أَنْ تُطَلّق عَلَيْهَا النِّسَاء» فالعدة التي أمر الله بها أن تطلق عليها النساء أن يُطَلقها الإنسان طاهرًا من غير جِمَاع وعلى هذا فإن طلقها وهي حائض لم يطلقها على أمر الله فيكون مردودًا فالطَّلاق الذي وقع على هذه المرأة نرى أنه طَلاق غير مَاض . وأنَّ المرأة لا زَالت في عِصْمة زَوجها . لا عبرة في علم الرجلِ في تَطْلِيقه لها إنها طاهرة أو غير طاهرة . نعم لا عِبْرة بِعِلْمه لكن إن كان يعلم صار عليه الإثم وعدم الوُقوع وإن كان لا يعلم فإنه ينتفي وقوع الطَّلاق ولا إثْمَ على الزّوج .

٤٩٨ ـــــــــــــ يقول أرجو توضيح عِدَّة المطلقة وهل المطلقة طلاقًا رجعيًا تبقى في بيت زَوْجها أم تَذْهب إلى منزل والدها حتى يراجعها زوجها ؟

إنه يجب على المرأة المطلقة طلاقًا رَجْعيًا أن تبقى في بيت زوجها ويحرم على زوجها أَنْ يُخْرجها منه لقوله تعالى : ﴿ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يَتَعَدَّ**

حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾(١) . وما كان النَّاس عليه الآن من كون المرأة إذا طلقت طلاقًا رجعيًا تنصرف إلى بيت أهلها فورًا هذا خطأ ومحرم وإن لم يقم به من يكفي وجب على من له قدرة ، وهذا شيء معروف عند أهل العلم .

٤٩٩ ما حكم الجهاد في فلسطين وما حكم مُسَاندتهم ؟

حسب ما سمعنا أن اليهود قتَّلت الفلسطينيين وسامتهم سُوء العذاب بعدما يسمونه بالانتفاضة ، والله أعلم . هل هي حقيقة واقعة ، أو أنه قد غُرِّر بالفلسطينيين ليَتَحرَّكوا هذه الحركة فيقضي عليهم اليهود .

وعلى كل حال فالذي يَليق بنا أن نُعِينَ هؤلاء على مَا هُم فيه من المِحَن والأذى بكل حال ، وحسب ما سمعت أن هؤلاء الفلسطينيين الذين في الأرض المُحْتَلَّة رجعوا إلى الله عزَّ وجلَّ ، وصار فيهم شباب مُتَيَقِّظ ، كما هو موجود والحمد لله في كثير من البلاد ، وأنهم تحركوا هذه الحركة حركة إسلامية لا قومية ، يريدون أن يَتخَلَّصُوا من اليهود الذين يحتلون المسجد الأقصى ، ومعلوم أنه إذا كانت الحركة حركة إسلامية لإنقاذ البلاد من الكفر فهو جهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله من وظائف ومُهِمَّات المسلمين ، ولكن لابد من طريق طويل بالنسبة للفلسطينيين ، لأنهم عُزَّل ولا يمكنهم حمل السِّلاح بواسطة

---

(١) الطلاق : ١

السيطرة القوية من جانب اليهود عليهم ، فالمسألة تحتاج إلى ما يسمونه بالتَّضْحِيات وإلى طول نفَس حتى يأتي الله تعالى بالنَّصر .

٥٠٠ ما هي نصيحتكم لما يحصل من الشباب الملتزم في مواجهة بعضهم والتبرؤ من بعضهم البعض ؟ وما رأيكم في تعدد الجماعات في وقتنا الحاضر ؟ وهل تنصحني بمشاركة جماعة التبليغ والخروج معهم ؟

لا شك أن هذا الذي حَدَثَ للشباب المُلْتزم من التَّفرق وتَضْليل بعضهم بعضًا وحَمْل العداوة والبغضاء لمن لا يُوافقهم على منهاجهم لا شك أنه مُحْزِن ومُؤْسِف ، وربما يؤدي إلى انتكاسة عظيمة ، ومثل هذا التَّفرق هو قرَّة عين شياطين الجن والإنس ، لأن شياطين الإنس والجن لا يَوَدُّون من أهل الخير أن يجتمعوا على شيء فهم يُريدون أن يَتفرَّقوا ، لأنهم يعلمون أن التَّفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عزَّ وجلّ ، ويدل لهذا : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾⁽¹⁾ ، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾⁽²⁾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ

---

(١) الأنفال : ٤٦

(٢) آل عمران : ١٠٥

مِنْهُمْ فِي شيء﴾(١) ، **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْدِين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالـذى أَوْحيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾**(٢) .

فالله تعالى قد نهانا عن التفرَّق وَبَيَّن لنا عَوَاقِبَهُ الوخيمة ، والواجب علينا أن نكون أمّة واحدة ، وكلمة واحدة ، فالتَّفرق فساد وشتات للأمر وَمُوجِب لِضَعْف الأمة الإسلامية والصحابة رضي الله عنهم حصل بينهم الاختلاف ، لكن لم يحصل التَّفرق ولا العداوة ولا البغضاءو حصل بيهم الاختلاف حتى في عهد النبي ﷺ ، لما فرغ النبي ﷺ من غزوة الأحزاب ، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة لنقضهم العهد قال النبي ﷺ لأصحابه : «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَد مِنْكمُ الْعَصْرَ إلَا فِي بَني قُرَيْظَة» فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت العصر فقال بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس ، لأن النبي ﷺ قال : «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَد مِنْكُم العَصْرَ إلَا فِي بَنِي قُرَيْظَة» . فنقول سمعنا وأطعنا .

ومنهم من قال : إن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد بذلك المُبَادرة والإسْرَاع إلى الخُرُوج ولم يرد منا تأخير الصلاة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يُعَنِّفْ أحدًا منهم ولم يُوَبِّخه على ما فهم ، وهم بأنفسهم لم يتفرَّقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث الرسول ﷺ ، وهكذا يجب

---

(١) الأنعام : ١٥٩

(٢) الشورى : ١٣

علينا ألا نَتَفَرَّق وأن نكون أمَّة واحدة ، وأما أن يَحْصُل التَّفرق فيقال هذا من السَّلفيين وهذا من الإخْوانيين وهذا من التَّبلغيين وهذا من السُّنيين وهذا من المُقَلِّدين وهذا من كذا وهذا من كذا ونتفرق فهذا خَطَره عظيم ، والأمل الذي نؤمله من هذه الصَّحوة واليقظة الإسلامية سوف يتلاشى ، إذا علمنا أن هذه الصَّحوة سيكون منها طوائف مُتَفَرقة يُضَلل بعضها بعضًا وُيَسفِّه بعضها بعضًا .

والحَلُّ لهذه المشكلة ، أن نَسْلك ما سلكه الصَّحابة رضي الله عنهم وأن نعلم أن هذا الخلاف الصادر عن اجتهاد في مكان يسوغ فيه الاجتهاد أن نعلم أن هذا الخلاف لا يؤثر بل إنه في الحقيقة وفاق فكيف ذلك ؟ أنا أخالفك في مسألة من المَسَائل لأن مُقْتَضَى الدَّليل عندي خلاف ما تقول وأنت تُخَالِفُنِي في هذه المسألة لأن مقتضى الدَّليل عندك خلاف ما أقول أنا . فالواقع أننا لسنا مُخْتلفين لأن كلا منا أخذ بما رأى بناء على أن هذا مُقْتَضَى الدَّليل ، إذن فَمُقْتَضى الدَّليل أمام أعيننا جميعًا وكُلُّنا لم يأخذ برأيه إلَّا لأنه مُقْتَضَى الدَّليل ، فأنا أحمدك وأُثْني عليك لأنك تجرأت على مُخَالَفَتِي ، وأنا أُخُوك وصَاحِبُك ، لأن هذه المخالفة مُقْتَضَى الدَّليل عندك فالواجب عليَّ ألا يكون في نفسي شيءٌ عليك ، بل أَنْ أحمدك على ما ذهبت إليه ، وأنت كذلك ، ولو أننا ألزمنا أَحَدنا أن يأخذ بقول الآخر ، لكان إلزامي إياه أن يأخذ بقولي ليس أولى بإلزامه إياي أن آخذ بقوله ، ولذلك أقول يجب أن نجعل هذا الخلاف المَبْنِي على اجتهاد أن نجعله ليس خِلافًا بل نجعله وِفَاقًا حتى تَجْتَمِع الكلمة ويَحْصُل الخير .

ولكن إذا قال قائل : قد تكون هذه معالجة غير متيسرة بالنسبة لعامة الناس فما هو الحل ؟

الحَلُّ : أن يجتمع رُؤساء القوم وأَغْيانهم من كل طائفة للنَّظر والبحث في مسائل الاختلافات بيننا حتى نكون مُتَّحدين ومُؤْتَلِفين .

ولقد جرى في سنة من السِّنين مسألة في مِنى – على يدي ويد بعض الإخوان – وقد تكون غريبة عليكم ، حيث جيءَ بطائفتين وكل طَائفة من ثلاثة أو أربعة رجال وكل واحد تَتَّهم الأُخرى بالكفر واللَّعن ، وهم حجاج وخبر ذلك : أن إحدى الطَّائفتين قالت : إن الأُخرى إذا قامت تُصَلِّي وضعت اليد اليُمنى على اليُسْرى فوق الصَّدر ، وهذا كفر بالسُّنة حيث إن السُّنَّة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين ، والطائفة الأخرى تقول : إن إرسال اليدين على الفخذين دون أن يجعل اليمنى على اليسرى كفر مبيح للَّعنة وكان النِّزاع بينهم شَديدًا ولكن بفضل الله ثم جهود الإخوان وبيان ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من ائتلاف ذهبوا وكل واحد منهم راضٍ عن الآخر .

فانظر كيف لعب الشَّيطان بهم في هذه المسألة التي اختلفوا فيها حتى بلغ أن كفَّر بعضهم بعضًا بسببها هي سُنَّة من السُّنن فليست من أركان الإسلام ، لا من فرائضه ، ولا من واجباته ، غاية ما هنالك أن بعض العلماء يرى أن وضع اليد اليُمنى على اليُسْرى فوق الصَّدر هو السُّنة ، وآخرين من أهل العلم يقولون : إن السُّنة هو الإرسال ، مع أن الصواب الذي دلَّت عليه السُّنة هو وضع اليد اليمنى على الذراع اليُسْرى ، كما

قال سهل بن سعد رضي الله عنه فيما رواه البخاري قال : «كَانَ النَّاسُ أُن يَضَع الرَّجُل يَدَه اليُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ اليُسْرَي فِي الصَّلَاة» .

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يَمُنَّ على إخواننا الذين لهم مَشَارِب وَمَنَاهِج في وسائل الدَّعْوَة أن يَمُنَّ عليهم بالائتلاف والمحبة وصلاح القلوب ، وإذا حسنت النِّية سَهل العلاج ، أما إذا لم تَحْسُن النِّية وكان كل واحد منهم معجبًا برأيه ولا يهمه غيره فإن النجاح سيكون بعيدًا .

ملاحظة إذا كان الاختلاف في مسائل العقائد فيجب أن تُصَحَّح وما كان على خلاف مذهب السَّلف فإنه يجب إنكاره ، والتَّحْذِير مِمَّن يسلك ما يخالف مذهب السلف في هذا الباب .

أما بالنسبة لجماعة التبليغ فرأي فيهم ، أنهم جماعة نفع الله بهم نفعًا عظيمًا فكم من إنسان عاصٍ هَدَاهُ الله على إيديهم ، بل كم من إنسان كَافِرٍ دخل في الإسلام على إيديهم وتأثيرهم لا أحد يُنْكِرُه في الواقع ، لكن لا شك أن عند القوم جهلًا كثيرًا ، وأنهم يَحْتَاجون إلى طلبة علم يشاركونهم ويُبَيِّنُون لهم ما هم عليه من بعض الأشياء التي يفعلونها ظنًا منهم أنها لا بأس بها وأنها مُفِيدة وهي في الحقيقة تحتاج إلى تَصْحِيح .

مثل تَقْييد بعضهم الخروج بثلاثة أيام ، أو أربعة أيام ، أو أربعين يومًا ، أو سِتَّة شهور ، أو ما أشبه ذلك . ثم يقولون : إننا نفعل هذا من باب الوسيلة وليس من باب القصد أي أننا لا نعتقد أن هذا أمر مشروع أو أنه يتعبد لله به لكن نعتقد أن هذا التَّقدير من أجل شَد

الإنسان والتزامه لأجل أن يتكيف للدعوة والحق والانتقال عن الترف وما أشبه ذلك .

فالذي أرى : أنهم بلا شك عندهم صلاح وفيهم نَفْع وخَيْر كثير ولكن عندهم جهل كثير يحتاجون إلى طلبة العلم الذين يُبَيِّنُون لَهُم ، كما أني أنتقد عليهم : أن بعضهم – ولا لأقول كلهم – إذا دَخَلْتَ معهم في مُنَاقشة للعلم تجد منه أنه لا يرتاح لذلك ، ولا يُحِبُّ المناقشة أو التَّعمق في العلم ، وهذا بلا شك خطأ لأن الواجب على الإنسان – ولا سيما الشاب – أن يكون حريصًا على العلم وعلى البحث فيه ، ولكن بهدوء وطلب للحق لا بِجِدَال وَشِدَّة وَعُنْف كما يوجد من بعض الناس ، كما أني أيضًا أحب أن تكون هذه الجماعة على صلة بإخوانهم الآخرين وأن يجتمعوا جميعًا على كلمة واحدة هذا يتعلَّم من هذا العلوم الشَّرعية ، وهذا يتعلَّم من هذا الأخلاق والآداب والسَّمَاحَة والله أعلم .

٥٠١ هل يجوز للمرء أن يترك عمله ويتفرغ لطلب العلم ، فيكون عالة على أبيه وأخيه ؟

لا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال بل هو من الجهاد في سبيل الله ، ولا سيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تَظْهَرُ في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتَكْثُر ، وبدأ الجهل الكثير ممن يَتَطَلَّعُ إلى الإفتاء بغير عِلْم ، وبدأ الجدل من كثير من الناس ، فهذه ثلاثة أمور كلها تُحَتِّمُ على الشَّاب أن يحرص على طلب العلم .

أولًا : بدع بدأت تَبْزغ نُجُومها .

ثانيًا : أناس يَتطَلَّعون إلى الإفتاء بغير علم .

ثالثًا : جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم لكن يأتي من يُجَادل فيها بغير علم .

فمن أجل ذلك فنحن في ضَرُورَة إلى أهل علم عندهم رُسُوخ وسَعَة اطِّلاع وعندهم أيضًا فقه في دين الله ، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله ، لأن كثيرًا من الناس الآن يَحْصُلون على علم نظري في مسألة من المسائل ولا يُهِمُّهُم النَّظر إلى إصلاح الخَلْق وإلى تَرْبِيَتِهم ، وأنهم إذا أَفْتوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شَرّ أكبر لا يَعْلَم مَدَاه إلا الله ، وها هم الصحابة رضي الله عنهم أحيانًا يُلْزِمون بأشياء قد تكون النُّصوص دالة على عدم الإلزام بها من أجل تربية الخلق .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَلْزَمَ النَّاس بإِمْضاء الطَّلاق الثَّلاث ، كان الطَّلاق الثَّلاث في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، كان الطلاق الثلاث - أي في مجلس واحد - واحدًا ، لكن هو مُحَرَّم أي طلاق المرأة ثلاثًا في مجلس واحد حَرَام ، لأنه من تعدي حُدود الله عزَّ وجلَّ .

قال عمر رضي الله عنه : «أَرَى النَّاس قَدْ تَتَابَعُوا في أَمْرٍ كانت لهم فيه أَنَاة فلو أَمْضَيْنَاه عَلَيْهِم» فأَمْضَاهُ عَلَيْهم ، وجعل الطلاق الثلاث ثلاثًا لا واحدًا بعد أن مضى عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وسنتان من خِلَافته رضي الله عنه ، أَلْزَمَ النَّاس بالطَّلاق الثَّلاث ، مع أن الإنسان

لو راجع زوجته بعد هذا الطَّلاق لكان رُجُوعه صَحِيحًا في العهدين السَّابقين لعهد عمر وسَنَتَين من خلافته ، لكن رَأى أنَّ المَصْلَحة تَقْتَضِي إمضاء الطَّلاق الثلاث ومنع الإنسان الرجوع إلى زوجته .

أيضًا عُقُوبة الخمر في عهد النبي عليه الصلاة والسلام يؤتى بالرجل الشَّارب فيضرب بطرف الثَّوب أو بالجريد أو النَّعال نحوًا من أربعين جلدة ، وفي عهد أبي بكر يُجْلَدُ أربعين ، وفي عهد عمر يُجلد أربعين ، لكنه لما كثر الشُّرب جمع الصَّحابة واستشارهم فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون ، فجعل عمر عقوبة شارب الخمر ثَمَانِين جلدة . كل هذا من أجل إصلاح الخَلْق ، فينبغي للمسلم او المُفْتِي والعالم في مثل هذه الأمور أن يُرَاعي أحوال الناس وما يُصْلِحهم .

٥٠٢ ماذا نعمل بالصُّحف بعد قراءتها ؟

لا شك أن الصُّحف تَحْوي أسْماء الله وبعض الآيات والأَحاديث لذلك لا يجوز امْتهانها ولكن المُؤْسِف أن بعض النَّاس يَسْتَخْدمها للطَّعام بدل السُّفرة وهذا جهل منهم . أما ما يكون لدى الإنْسان من الصُّحف فإن تمكن من إحراقها فهذا أفضل وإلا يجعلها في كيس ويربطه ليكون معزولًا عن بقية المُخَلَّفات المَنْزلية .

٥٠٣ ـــ نحن نستعمل الجرائد والصحف والمجلات التي فيها اسم الله ثم نرميها في القمامة ؟

لا يجوز إلقاء شيء فيه آيات الله أو أحاديث الرسول ﷺ في مكان تمتهن فيه لأن كلام الله عظيم يجب احترامه ولذا لا يقرأ الجنب ، ولا يمس المصحف إلا المتوضيء على رأي كثير من أهل العلم . بل أكثرهم . ولكن ينبغي إحراقها إحراقًا كاملًا أو تمزيقها بالآلات الحديثة التي لا تبقي شيئًا .

٥٠٤ ـــ رأيت بعض الناس عندما يقصون الأظافر أو الشعر وخاصة عند النساء يقوم بدفن الأظافر والشعر على أساس أن تركه في العراء إثم فما مدى صحة ذلك ؟

ذكر أهل العلم انَّ دَفْن الشَّعر والأَظْافَر أَحْسَنُ وأَوْلَى . وقد أُثِرَ ذلك عنْ بعض الصَّحابة رضي الله عنهم وأما كون بَقَائِه في العَرَاء أو إلْقَائه فيْ مكان مَا يُوجِبُ إثْمًا فَلَيْسَ كذلك .

٥٠٥ البعض يجد في نفسه عند السفر إلى الخارج حرجًا وخجلًا إذا لبس لبسه الذي يدل على إسلامه فما هو توجيهكم ؟

صحيح ما قاله السَّائل وللأسف الشَّديد ، فعلى الرغم من أننا نحن الأعلون نجد فينا ضعف الشَّخصية ، ونشعر أننا أذناب لغيرنا في الواقع وأتباع لهم ، تجد الإنسان منا إذا رأى شيئًا مفيدًا لا يعزوه إلى نفسه ، ولا إلى غيره من المسلمين ، إنما يقول هذا من الحضارة الغربية أو الشرقية ، وتجده لا يَعْتَزُّ بشخصيته أمام تيار الفَسَاد هؤلاء ، وإذا كان هؤلاء يأتون إلينا في بلادنا بلباسهم الفاضح العاري الخليع حتى إن نساءهم في بلاد المسلمين تأتي ونصف فخذها عار ، ونحرها عار ورقبتها عارية ، وتمشي تدق الأرض بِقَدَميها ، حتى تكاد تَنْهَدم الأرض من تحتها ، ولا تبالي وهى امرأة ، فكيف بنا الرجال المسلمين ؟ كيف نخجل إذا كنا نمشي بلباسنا السَّاتر الإسلامي في بلادهم ؟ أفليس هذا أكبر دليل على ضَعْف الشَّخصية ؟

الجواب : بلى ، إذا عاملناهم بالمثل فقد عاملناهم بالعدل . إذا كانوا هم يأتون إلى بلادنا بلباسهم غير مُبَالين بشعورنا ، فلماذا لا نأت نحن بلباسنا حين نُسافر إليهم ولا نبالي بشعورهم .

على أنه حدَّثني من أَثِق به – وهو الآن رهين في قبره – يقول : إنه سافر إلى عاصمة بلد غربية وكان في لباسه الإسلامي الوطني – مشلح

وقميص – وعقال وغترة – يقول : فوجدت منهم الإكرام الكثير ، حتى إنهم يَتَبادرون لفتح باب السيارة إذا أردت الركوب ، انظر الإنسان إذا اعتز بالله عزَّ وجلَّ أعزه الله ، لكن أن نتخاذل أمامهم فإن هذا ليس من شأن المسلم ، ولو أننا راجعنا التاريخ وإلى معاملة المجاهدين المسلمين لأعدائهم في الحروب لوجدت كيف كانت العزة من هؤلاء المسلمين مع أعدائهم . ثم إن الذي يَنْبَغي للإنسان المُسْلم أن يُحَافظ على كرامته بحيث لا يعتقد أن مدنيتهم الزَّائفة هي الحضارة ، بل الصَّواب أن تبدل الضاد بالقاف فتكون (الحقارة) ، لأن الحضارة التي تؤدي إلى هدم الأخلاق ، وإلى التفسخ ، بل وإلى الكفر بالله عز وجل ، والله لا يصح أن نسميها حضارة مهما كان الأمر ، الحضارة الحقيقية وهي التقدم النافع إنما هي بالتمسك بدين الإسلام وأخلاقه ، فلماذا نعطي هؤلاء الثمن رخيصًا ؟ لنقول أنتم أهل الحضارة ونحن أهل التأخر ، مع أن الواجب ان نتقدم نحن بإسلامنا عقيدة وعملًا ومنهاجًا لتكون الحضارة منا إليهم .

الصدق أليس من الحضارة ؟ الجواب : نعم وهو يوجد في الإسلام ، والإسلام يحث عليه :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) .

وقال النبي ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْصِدْقِ ، فَإِنَّ الْصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ وَلَا يَزَالُ الرَّجُل يَصْدُق وَيَتَحَرَّى الصِّدْق حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُم وَالكَذِبَ ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي

---

(١) التوبة : ١١٩

إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَلَا يَزَال الرَّجُل يَكْذِب وَيَتَحَرَّى الكَذِب حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» .

لكن من الأسف أن كثيرًا من المسلمين قد فُقِدَ منهم الصدق ، إذن فنحن لم نمثل الإسلام في هذا الجانب الكبير العظيم .

النصح والبَيَان في المُعَاملة جاء به الإسلام ، يقول عليه الصلاة والسلام : «البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِن صَدَقَا وَبَيَّنا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» . فهل هذا النُّصح والبَيَان موجود في معاملة كل المسلمين ؟ الجواب : لا بل هو مفقود في المعاملة من بعض المسلمين ، بعض المسلمين لا يصدق ولا يبين ، بل يأتي إليك ويقول : هذه السلعة قيمتها مائة ريال ، والحَقيقة أن قيمتها خمسون ريالًا ، أليس هذا كذبًا وغشًا ؟ ! والإسلام ينهى عن ذلك ، ويقول النبي ﷺ : «مَن غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا» فيتبرأ منه النبي ﷺ ، ومع ذلك فبعض المسلمين يغش – والعياذ بالله – وإذا تأملت أحوالنا – نحن المسلمين – وجدت أمرًا مُخْجلًا ، وجدت أن التَّعاليم الإسلامية التي تأمر بالصِّدق ، والبَيَان ، واللِّين ، واللُّطف مفقودة من بيننا ، والعكس هو الموجود في كثير منا ولذلك يمكن أن نقول أن بعض المسلمين يُنفِّر عن الإسلام بسلوكه المخالف للإسْلام .

٥٠٦ ــــــــــ يقول السائل : بعض الإخوة يقوم ببيع الكتب الدينية ، وكذلك الأشرطة أمام المساجد علمًا بأن الجهات المسئولة لا تسمح بذلك ، فهل يجوز الشراء منهم ؟ وما حكم هذا البيع ؟

لا شك أن بيع الكتب الدينية والأشرطة الدينية إذا قصد الإنسان به معونة إخوانه على تعلم العلوم الشرعية ، لا شك أن الإنسان يؤجر على بيع هذه الأشياء ، سواء كان ذلك أمام المساجد ، أو في أماكن أخرى مخصوصة .

ولكن إذا رأى أولياء الأمور أن يكون لبيع هذه الأشياء أماكن مخصوصة ، فإن الواجب على الرعية طاعة ولاة أمورهم ، إلا في معصية الله ، قال النبي ﷺ : «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ : السَّمْعُ وَالطَّاعة فِيمَا أَحَبَّ ، وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَر بِمَعْصِيَةٍ» .

وكون بعض الناس إذا صدر الأمر من ولاة الأمور لا يقبله إلا إذا كان الله قد أمر به ورسوله . فإن ذلك لدليل على قِصر عِلْمه بشريعةِ الله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُوْا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(١) . فطاعة ولاة الأمور في غير معصية الله من طاعة الله ، ونحن نتقرب إلى الله عز وجل بطاعة ولاة

---

(١) النساء : ٥٩

أمورنا في غير مَعْصِية الله ، لأن الله عزَّ وجلَّ أمرنا بذلك ، وإلا فهم بَشَر مِثْلُنا ، لكن الله جعل لهم الحق علينا بولاية أُمْرِنا .

وتأمل الآية الكريمة : ﴿ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(١) . لماذا لم يقل : وأطيعوا أولي الأمر منكم ؟ الجواب : لأن طاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإذا تَضَمَّنَتْ طاعة ولي الأمر معصية الله ورسوله ، فحينئذٍ لا يُطَاع ولي الأمر فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإذا رأي ولي الأمر ألا تباع هذه الأشياء سواء كانت كُتُبًا دينية ، أو أشْرطة ، أو غيرها ، في هذا المكان لمصلحة رآها في ذلك ، فإنه يُطَاعُ ، ثم إذا رأى بعد ذلك أن من المصلحة أن تباع في هذا المكان ؛ لأنها أقرب تناولًا للناس مثلًا ، فإنه من الممكن أن يراجع ولي الأمر ، ويبين له الفائدة ، حتى يحصل المقصود . أما المعاندة فهذا لا يجوز شَرْعًا .

ومن هذه النُّقطة أنتقل إلى أمر مهم يتعلق بالمسجد الحرام : ولاة الأمور مَنَعُوا إدخال الطَّعام إلى المسجد الحرام ، لماذا ؟ لأن إدخاله كان فيه مَضَرَّة عظيمة شاهدناها ، فكانت أرض المسجد الحرام تمتلىء بفضلات الطعام ، والفُتَات ، وما أشبه ذلك ، حتى إنك لا تستطيع أن تسجد على الأرض من النتن ، والرائحة الكريهة ، فرأى القائمون على المسجد الحرام أن تمنع هذه الأشياء منعًا باتًا ، ولكن بعض الناس صار يَتَحَيَّل بإدخال الأطعمة بطرق مُلْتوية ليفرَّ من المُرَاقبة ، ولكن إذا فر من مراقبة المخلوق فهل يفر من مراقبة الخالق ؟ كلا .

---

(١) النساء : ٥٩

بعض الناس يقول : إنَّه مُعْتكف ، ولا يكفيه التَّمر والماء ، فنقول له : إن الاعتكاف سُنَّة ، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله وَاجبة ، فإذا لم يكن تنفيذه هذه السّنة إلا بالوقوع في المحرم ، فدع السُّنَّة ؛ لأنه لا معارضة بين الواجب وبين المُسْتَحَب ، أو نقول له : اسلك طريقًا آخر أباحه الله عزَّ وجلَّ ، وهو أنك إذا كنت لابد أن تأكل طعامًا ، ولم تتمكن من تعويد معدتك على التَّمر والماء ، فاخرج من المسجد وكل ، وأنت إذا خرجت للأكل الذي لابد لك فيه من الخروج فإن ذلك جائز .

٥٠٧ ــــــــــــــ شخص وجد كتابًا يحوي أحاديث دينية مرمي به في الطريق ، ويخشى أن تتلفه السيارات ، وذلك في مكة ، فهل يعتبر هذا في حكم اللقطة إذا أخذه ؟

نعم يُعْتَبَرُ هذا في حكم اللُّقطة ولُقَطَةُ الحرم – أي حرم مكة – ليست كغيره ، قال النبي ﷺ في مكة : «لَا تَحل سَاقِطَتهَا إلَّا لِمُنِشد» أي أنك لا تأخذ شَيْئًا سَاقِطًا في مكّة إلاإذا كنت تُريد أن تُنْشِدَه مدى الحياة .

أما السَّاقطة في غير مكة فإنها تُنْشَد سنة ، فإن وجد صاحبها وإلَّا فهي لمن وَجَدها ، لكن مكة لا تَحِلُّ سَاقِطَتها إلَّا لِمُنْشِد .

٥٠٨ — هل المؤمن يمرض نفسيًا ؟ وما هو علاجه في الشرع ؟ علمًا بأن الطب الحديث يعالج هذه الأمراض بالأدوية العصرية فقط ؟

لا شك أن الإنسان يُصَاب بالأمراض النَّفسية بالهم للمُسْتَقبل والحُزْن على الماضي ، وتفعل الأمراض النفسية بالبدن أكثر مما تفعله الأمراض الحِسِّية البدنية ~~،~~ ودواء هذه الأمراض بالأمور الشرعيه – اي الرقيه – أنجح من ~~علاجها~~ بالأدوية الحِسِّيه كما هو معروف .

ومن أدويتها الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه «إِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِن يُصِيبهُ هَم أَوْ غَم أَوْ حزن فَيَقُول اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدكَ وَابن أَمِتكَ نَاصِيَتِي بِيدكَ ماضٍ فِيَّ حُكْمكَ عَدْلٌ فِيَّ قضاؤك أَسْأَلكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْت بِهِ نَفسك أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرت بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي ، إِلَّا فَرَّج الله عَنْهُ» فهذا من الأدوية الشرعية ، وكذلك أيضًا أن يقول الإنسان : «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين»

ومن أراد مزيدًا من ذلك فليرجع إلى كتب العلماء في باب الأذكار كالوابل الصيب لابن القيم ، والكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والأذكار للنووي ، وكذلك زاد المعاد لابن القيم .

لكن لما ضَعُفَ الإيمان ضَعُفَ قبول النَّفس للأدوية الشَّرعية ، وصار الناس الآن يعتمدون على الأدوية الحِسِّية أكثر من اعتمادهم على الأدوية الشَّرعية ، ولما كان الإيمان قويًا كانت الأدوية الشَّرعية مؤثرة تمامًا بل إن تأثيرها أسرع من تأثير الأدوية الحِسِّية ، ولا يخفى علينا جميعًا قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ في سرية فنزلوا على قوم من العرب ، ولكن هؤلاء القوم الذين نزلوا لم يُضيفوهم فَشَاءَ الله عزَّ وجلَّ أن لُدِغَ سيد القوم – لَدَغَتْهُ حيّة – فقال بعضهم لبعض : اذهبوا إلى هَؤُلاء القوم الذين نزلوا لعلكم تَجِدُون عندهم رَاقِيًا ، فقال الصَّحابة لهم : لا نَرْق ~~على سيدكم إلا إذا أعطيتمونا كذا وكذا من الغَنَم ، فقالوا~~ : لا بأس . فذهب أحد الصَّحابة يقرأ على هذا الذي لُدِغَ ، فقرأ سورة الفاتحة فقط ، فقام هذا اللَّديغ كأنما نَشِطَ من عِقَال ، وهكذا أثرت قراءة الفاتحة على هذا الرَّجل لأنها صدرت من قلب مملوء إيمانًا فقال النبي ﷺ بعد أن رجعوا إليه : «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّها رُقْيَة» ؟

لكن في زماننا هذا ضَعُفَ الدِّين والإيمان ، وصار النَّاس يعتمدون على الأمور الحسية الظاهرة ، وابتلوا فيها في الواقع . ولكن ظهر في مقابل هؤلاء القوم أهل شعوذة ولعب بعقول النَّاس ومقدراتهم وأموالهم يزعمون أنهم قُرَّاء بَرَرة ، ولكنهم أكَلة مال بالباطل ، والناس بين طرفي نقيض منهم من تطرف ولم ير للقراءة أثرًا إطلاقًا ، ومنهم من تَطَرَّفَ وَلَعِبَ بعقول النَّاس بالقراءات الكاذبة الخَادِعة ، ومنهم الوَسَط .

٥٠٩ – معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾(١) . إلى قوله : ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾(٢) . وعلى من نزلت ؟

هذه الآيات نزلت فى قوم من المنافقين ، كانوا يَتَحَدَّثون فيما بينهم حديثَ الرَّكْبِ ؛ ليقطعوا الطَّريق وينسوا مشقته ، فكانوا والعياذ بالله يقولون : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء – يعني النبي ﷺ وأصحابه – أرغب بُطُونًا ولا أكذَبَ أَلْسُنًا ولا أجبنَ عند اللقاء ، وكذب المنافقون في ذلك فهم – أي المنافقون – أرغب الناس بُطُونًا – أي أوسعهم بطونًا وأحبَّهم للأكل – وأكذبهم أَلْسُنًا وأَجْبَنهُم عند اللقاء بل إنهم خرجوا للقتال في أحد رجعوا مما نال على نبيهم وخورهم لأنه ليس عندهم عقيدة ولا إيمان والعياذ بالله ، فهؤلاء كانوا يتحدثون هذا الحديث ، فأنزل الله تعالى فيهم هاتين الآيتين فجاءوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وسألهم فقالوا يا رسول الله : إنما كنا نخوض ونلعب ، نتحدث حديث الركب ليقطع عنا الطريق فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٣) وفي هذا دليل على أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مُخْرِج عن المِلَّة ، لقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٤) .

---

(١) التوبة : ٦٥

(٢) التوبة : ٦٦

(٣) التوبة : ٦٥ – ٦٦

(٤) التوبة : ٦٦

الفهـــرس العـــام

الموضـوع **الصفحـة**

التَّوْحيد وأقْسامـه

نعريف التوحيد ، والفرق بينه ، وبين الإيمان ٥
أقسام التوحيد ١٥
أحاديث الأحاد فى العقيدة ١٨

تَوْحِيدُ الألوهيَّة

حكم الطواف بالقبور ، والنذر لها ٢١
حكم البناء على القبور ٢٦
حكم دفن الموتى فى المساجد ٢٦
حكم الصلاة فى المساجد التى فيها قبر ٢٧
حكم اضاءة مقامات الأولياء ، والنذر لها ٢٨
هل الحكمة فى تقبيل الحجر الأسود التبرك به ٢٨
نصيحة لمن يدعون الأموات ٣٠

توحيد الأسماء والصفات

حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله ٣٣
عبادة الإنسان لصفة من صفات الله ٣٤
الثناء على الله بقولهم « بيده الخير والشر » ٣٥
التسمى بـ « عبد الحارث » ٣٦
التسمى بأسماء الله مثل « كريم » و« عزيز » ٣٧
التسمى بأسماء الله مثل « الرحيم » و« الحكيم » ٣٨
ما مدى صحة حديث « لو دلَّيتم بحبل إلى الأرض السابعة .. » ٣٩
أقسام الإرادة ٤٢
الإلحاد فى أسماء الله تعالى وأنواعه ٤٤

أنواع التعطيل ٤٦
السؤال عما أضافه الله تعالى إلى نفسه : كوجه الله ٤٧
حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته ٤٨
التعبير بـ « الممثلة » و« المشبهة » ٤٩
هل يوصف الله بالمكر ، وهل يسمى به ٥٠
هل يوصف الله بالملل ٥١
هل يوصف الله بالخيانة ٥٢
حكم من يعتقد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين ٥٣
هل أسماء الله محصورة ٥٤
اسم الله تعالى « الجبار » ٥٦
معنى الحديث القدسى « يؤذينى ابن آدم يسبُّ الدهر ... » ٥٧
هل « الدهر » من أسماء الله ٥٨
ما حكم سب الدهر ٥٩
حول أحاديث النزول ٦٠

الإجابة الصحيحة لسؤال « أين الله » ٨٧
معنى حديث « إن الله خلق آدم على صورته » ٨٨
يمين الله ٨٩
إثبات العينين لله ٩٠
الرد على الفخر الرازى حول آيات تثبت العين ٩٧
توضيح لقول المصنف – فى بعض كتبه – « ومن كان هذا شأنه ..» ٩٩
هل سبق ابن تيمية وابن القيم أحد بقول «المَعِيَّةُ حقيقية»؟ ١٠٠
هل يوصف الله بالنسيان ؟ ١٠٣
هل من أسماء الله تعالى «الحيّ القيوم» ؟ ١٠٦
هل من أسماء الله تعالى «الحنّان» ؟ ١٠٧
صفة « الحيّ» لله عز وجل هل سُبِقت بالعدم ١٠٨
رسالة (ردٌّ) حول حديث « من تقرَّب إلىَّ شبرًا » ١١١

الاستهزاء بالله تعالى أو رسوله ﷺ أو سنته ١٩٣
حكم المستهزئين بالملتزمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ١٩٤

الشرك الأصغر

حكم الرياء ١٩٩
حكم العبادة إذا اتصل بها الرياء ٢٠٠
تحرج بعض طلبة العلم من الحصول على « الشهادة الدراسية » ٢٠٢
هل يشمل قوله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ....
الشرك الأصغر ؟ ٢٠٣

الطواغيت

تعريف الطاغوت ٢٠٥
حكم من حكم بغير ما أنزل الله ٢٠٨
الفرق بين تحكم بغير ما أنزل الله فى المسألة المعينة وبين ....
التشريع العام ٢١٢
اتباع العلماء والأمراء فى تحليل الحرام ، وحكمه ٢١٥

الاستغاثة والاستعاذة والاستعانة

حكم من يقول « استجرت برسول الله » ٢١٧
قولهم : يا محمد – أو – يا عليّ – أو – يا جيلاني ٢١٨

الذبح والنذر

حكم الذبح لغير الله ، وحكم الأكل من هذه الذبيحة ٢١٩
تغيير جهة النذر ٢١٢
النكث فى النذر ٢٢٣

الولاء والبراء

حكم وصف الكفار بالصدق والأمانة ٢٢٥
حكم مخالطة الكفار باللين طعما فى إسلامهم ٢٢٦
حكم مودة الكفار و تفضيلهم على المسلمين ٢٢٧
حكم السلام على غير المسلمين ، والرد عليهم ٢٣١
حكم السلام على المسلم بصيغة « السلام على من اتبع الهدى» ٢٣٧
حكم السفر لبلاد الكفار ، وكذا للسياحة ٢٣٧
حكم الإقامة فى بلاد الكفار ٢٣٨
مقياس التشبه بالكفار ٢٤٥
حكم تهنئة الكفار بعيد الكريسمس ٢٤٦
حكم استقدام العمال الكفار (لجزيرة العرب) ٢٤٨
حكم قول « أخي » لغير المسلم ٢٥٣
حكم تهنئة القس ٢٥٤
حكم البقاء بين قوم يسبون الله عز وجل ٢٥٤
نصيحة من يعمل مع الكفار ٢٥٥
كيف نستفيد من الكفار دون الوقوع فى المحظور ؟ ٢٥٥

الجهل بأمور العقيدة ، والعذر به

هل يعذر الإنسان بالجهل فيما يتعلق بالتوحيد ٢٥٩
حكم من يجهل أن صرف شيء من الدعاء لغير الله شرك ٢٦١
هل يعذر طلبة العلم الذين درسوا «العقيدة» على غير منهج السلف. ٢٦٢

تكفير المُعَيَّن

شروط الحكم بتكفير المسلم وحكم المتكلم بالكفر مازحًا ٢٦٣
إطلاق الكفر على شخص بعينه: ٢٦٤

التوسل

حكم التوسل ، وأنواعه ٢٦٧

حكم التوسل بالنبى ﷺ ٢٧٧
حديث الأعمى ٢٨٠
حديث استسقاء عمر بالعباس ، وهل يدل على التوسل بجاه الأولياء ٢٨٣

الحَلِف

حكم الحلف بغير الله ٢٨٥
الحلف بالنبى ﷺ ، والكعبة ، والشرف ٢٨٩
هل يجوز للإنسان أن يقسم على الله ٢٩٠
السؤال بوجه الله ٢٩١
حكم من لم يقتنع بالحلف بالله ٢٩٢
الخوف من الوقوع فى ما أقسم على تركه ٢٩٣
الحلف بالطلاق ٢٩٤
الحلف بالمصحف ٢٩٦
القسم بصفة من صفات الله ٢٩٩

الخوف والرجاء

مذهب أهل السنة والجماعة فى الخوف والرجاء ٣٠١
احتجاج العاصى بقوله تعالى ﴿إن الله غفور رحيم﴾ ٣٠٢

التوكل

حكم التعلق بالأسباب ٣٠٣

التطير والتشاؤم

الانتقال من الدار تشاؤما بسبب المصائب ٣٠٥

الرقى والتمائم

حكم الرقية ٣٠٧

هل الرقية تنافي التوكل ٣٠٨
رقية المريض ٣٠٩
حكم تعليق التمائم والحُجُب ٣١٠
حكم وضع العروس قدمها فى دم خروف مذبوح ٣١٣
حكم وضع التمر على الطعام لئلا تأتيه الحشرات ٣١٤
حكم النفث فى الماء ٣١٤
حكم كتابة أصحاب المزارع لأوراق لتطرد لهم الطيور ٣١٦
حكم الصلاة خلف الذى يتعامل بالتمائم ٣١٦

تأثير العين

اختلاف بعض الناس فى العين ٣١٩
هل العين تصيب الإنسان ؟ وكيف تعالج ؟ ٣٢٠
حكم من يرمي بعض الطعام على الأرض خوفا من العين ٣٢٢

مس الجن ، وعلاجه

فصل فى هذه المسألة ٣٢٣

السحر

هل للسحر حقيقة ؟ ٣٢٩
هل ثبت أن النبى ﷺ سُحِرَ ؟ ٣٣٠
أقسام السحر ، وهل الساحر كافر ٣٣١
حكم السحر ، وتعلمه ٣٣٢
حكم حلّ السحر « النُّشْرَة » ٣٣٤
حكم التوفيق بين الزوجين بالسحر ٢٣٥
حكم إحضار الجن بطلاسم ٢٣٥
هل قتل الساحر ردة أم حدّ ؟ ٣٣٦

إبليس والوسوسة

الوسوسة ٣٣٩

الخوف من الوسوسة ٣٤١
الوسوسة بالرياء ٢٤٥
النجاة من وسوسة الشيطان ٣٤٥
كيف يغوي إبليس أكثر من شخص في وقت واحد ٣٤٦

الملائكة والجن

الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين ٣٤٧
أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر ؟ ٣٤٨
هل إبليس من الملائكة ؟ ٣٤٩
هل يجوز للإنسان أن يدعو الله بهداية شيطانه ؟ ٣٥٠
هل الجن من الملائكة ؟ ٣٥٠
هل للجن تأثير على الإنس ، وطريق الوقاية منهم ؟ ٣٥٢
هل للجن حقيقة ؟ ٣٥٣
حكم خدمة الجن للإنس ٣٥٥
حكم سؤال الجن وتصديقهم ٣٥٦
هل الجن يعلمون الغيب ؟ ٣٥٧

خوارق العادات

علامات الولاية ٣٥٩
حكم من يدّعي أنه ينفع ويضر ٣٦١
قوم يضربون أنفسهم بالسلاح ولا يتأثرون ٣٦٢
حكم سؤال العرّاف ٣٦٣
الكهانة ، وحكم الكهّان ٣٦٤
حكم التنجيم ٣٦٦
العلاقة بين التنجيم والكهانة ، وأيهما أخطر ٣٦٧
الاستسقاء بالأنواء ٣٦٧
أقسام علم النجوم ٣٦٨
تعلم علم النجوم ، والحكمة من خلقها ٣٧٠
حكم ربط المطر بالضغط الجوي ٣٧٤

علم الغيب

حكم من يدّعى علم الغيب ٣٧٥
دوران الأرض ، ودوران الشمس ٣٧٦
تعقيب على مزاعم الكمبيوتر ٣٧٩

الدعاء والذكر

الدعاء على النفس بالموت ٣٨٩
أسباب عدم استجابة الدعاء ٣٨٩
حكم دعاء المخلوقين ٣٩٤
حكم دعاء الرسول ﷺ وعبد القادر ٣٩٦
حكم دعاء أصحاب القبور ٣٩٨
معنى حديث «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة» ٣٩٩
معنى قوله تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ماسعىٰ﴾ ٤٠٠
تمني الموت ٤١٠
قولهم عند ختم الدعاء «إن الله على مايشاء قدير» ٤١١
قولهم فى دعائهم «إن شاء الله» ٤١٥

رؤية الله عز وجل

مذهب السلف في رؤية الله عز وجل ٤١٧
هل رأى النبي ﷺ الله عز وجل فى اليقظة والمنام ٤١٨
حكم رؤية الله في الدنيا ٤١٩

تعبير الرؤى

معنى حديث « رؤيا المؤمن جزء من ... » ٤٢١
رؤية المتوفى ٤٢٤

الفرقة الناجية

أبرز خصائص الفرقة الناجية ٤٢٦

هل تقسيم أهل السنة إلى مدرستين ... صحيح ؟ ٤٣٩
هل يعتبر الشيعة فى حكم الكافرين ٤٤٢
إطلاق المسيحية على النصرانية ، والمسيحي على النصراني ٤٤٩

القبر وما يتعلق به من أحكام مختلفة

عذاب القبر هل يشمل المؤمن العاصي أم خاص بالكفار ٤٥١
حكم إهداء القراءة للميت ٤٥١
هل ترد أرواح الموتى إليهم يومي الاثنين والخميس ؟ ٤٥٥
المراد بحديث «لا تجعلوا بيوتكم قبورا» ٤٥٦
دعاء النبي ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» ٤٥٨
حكم إسراج المقابر ٤٥٨
دفع شبهة لعبّاد القبور ٤٥٩
الدعاء بزيارة القبر ٤٦٠
الوصية بالدفن في المسجد ٤٦١
الرؤيا بالدفن في « مقام » ٤٦٢
مقبرة قديمة أصبحت طريقا للناس ٤٦٣
حفر للأساس فوجد عظاما ٤٦٣
المراد بالقبر ٤٦٤
هل عذاب القبر ثابت ؟ ٤٦٥
عذاب القبر على البدن أم الروح ؟ ٤٦٦
كيف يعذب الميت إذا لم يدفن ؟ ٤٦٧
الرد على منكري عذاب القبر ٤٦٨
هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟ ٤٦٩
هل يخفف عذاب القبر على المؤمن العاصي ؟ ٤٦٩
عذاب القبر من الغيب أو الشهادة ٤٧١
سؤال الميت ... حقيقي أو خيال ٤٧٣
الصلاة في المسجد الذي به قبر ٤٧٥
حكم زيارة النساء للقبور ٤٧٦

حكم البناء على القبور ٤٧٧
حكم الوعظ عند القبور ٤٧٨
رد الميت السلام ٤٧٩
حكم زيارة المقابر ٤٨٠

الفتن وأشراط الساعة

أحاديث خروج المهدى هل هي صحيحة ؟ ٤٨١
الدجال وتحذير الأنبياء منه . لماذا ؟ ٤٨٢
هل الدجال من بني آدم ٤٨٨
هل الدجال موجود الآن ٤٨٨
هل إنذار الرسل قومهم بجنس فتنة الدجال ؟ ٤٨٩
من هم يأجوج ومأجوج ؟ ٤٩١
خروج السفياني والرايات السود ٤٩٢
معنى حديث «إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب» ٤٩٢

البعث والحساب

هل يوم الحساب يوم واحد ؟ ٤٩٥
هل توزن الأبدان مع الأعمال ؟ ٤٩٨
كيف يحاسب الكافر على فروع الشريعة ؟ ٤٩٨
كيف تدنو الشمس من الخلائق ولا تحرقهم ؟ ٥٠٠
كيف يستلم الكافر كتابه ؟ ٥٠١
الميزان : واحد أم متعدد ؟ ٥٠٢
كيف توزن الأعمال ؟ ٥٠٣
مناقشة الحساب ٥٠٤
أسماء القيامة ٥٠٥
من الذي يأخذ كتابه وراء ظهره ٥٠٦
حال الأبدان في الآخرة ٥٠٧

الجنة والنار

وجود الجنة والنار ٥٠٩
الجنة التي أسكنها الله آدم وزوجه ٥١٣
أزواج المؤمنات في الجنة ٥١٣
هل النار مؤبدة ؟ ٥١٥
أسماء النار ٥١٧
معنى الاستعاذة من جهنم ٥١٧
هل عذاب النار حقيقي ؟ ٥١٨
هل هناك ناران ؟ ٥٢٠
مكان النار ٥٢١
لماذا « أكثر أهل النار النساء » ٥٢٢

الشفاعة

الشفاعة – أقسامها ٥٢٣
معنى قوله «لم يعملوا خيرا قط» في حديث الشفاعة ٥٢٦

القضاء والقدر

مصير أطفال المؤمنين وأطفال المشركين ٥٢٩
معنى حديث «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ... » ٥٣٠
معنى قوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ٥٣١
الجمع بين قوله تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه ... ﴾ ....
وقوله ﴿فمن شاء فليؤمن ... ﴾ ٥٣٢
حكم استعمال كلمة « لو » ٥٣٣
حكم استعمال كلمة « صدفة » ٥٣٦
حكم قول « وشاءت قدرة الله » و« شاء القدر.» ٥٣٦
حكم قول « تدخل القدر » ٥٣٧
الخوف من دراسة العقيدة في مسألة القدر ٥٣٧

ما الفرق بين القضاء والقدر ؟ ٥٣٩
حكم الرضا بالقدر ٥٤٠
هل الدعاء يرد القدر ؟ ٥٤٢
كيف يعاقب الله على المعاصي ، وقد قدرها على الإنسان ؟ ٥٤٢
هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ ٥٤٥
هل الكفار مكتوب عملهم في الأزل ٥٤٦
الحكمة من وجود المعاصي والكفر ٥٤٩
الإيمان بالقضاء والقدر ٥٥٠
محاجة آدم وموسى ٥٥٧
هل في قدر الله تعالى شر ؟ ٥٥٩
كيف يقضي الله تعالى - كونًا - ما لا يحب ؟ ٥٥٩
المتسخط عند المصيبة ٥٦١
معنى حديث «من أحب أن يبسط له في رزقه» ٥٦٣
معنى حديث «لا عدوى ولا طيرة ...» ٥٦٤
هل أصل الفعل مقدّر ٥٦٨
كيف يكون القضاء والقدر مُعينًا لزيادة الإيمان ؟ ٥٧٣
احتجاج العصاة بالقدر ٥٧٣
لماذا يبتلى المؤمنون دون غيرهم ؟ ٥٧٦
تغيير القدر ومعنى قوله تعالى ﴿يَمْحُو الله مايَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أمُّ الكِتَاب﴾ ٥٧٨

عمـوم الرسـالة

وجوب اعتناق الإسلام ٥٨١
كيف يؤمر المشركون بالزكاة ٥٨٢

الأنبيـاء والرسـل

ما الفرق بين الرسول والنبي ؟ ٥٨٥
التفضيل بين الرسل ٥٨٦
من أول الرسل ٥٨٨

آدم : رسول أم نبي ؟ ٥٨٩
عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم ٥٨٩

القرآن الكريم ، والكتب السابقة

عقيدة السلف في القرءان الكريم ٥٩٣
قاريء القرءان قراءة ضعيفة ٥٩٤
القراءة على غير طهارة ٥٩٥
التكبير عند الختم ٥٩٥
استعمال الأواني المكتوب بها قرءان بقصد التداوي ٥٩٦
معارضة النبي ﷺ القرءان مع جبريل ٥٩٨

ما يتعلق بالنبي ﷺ

وصف النبي ﷺ بـ « حبيب الله » ٥٩٩
حكم السفر لزيارة قبر النبى ﷺ ٥٩٩
قول بعضهم في التشهد «اللهم صل على سيدنا محمد» ٦٠٠
ما صحة قولهم « واجعل بينك وبين الرسول صلة» ٦٠٢
لماذا خاطب الله الرسول بقوله ﴿ولا تدع من دون الله ما لاينفعك.... ولا يضرك﴾ ٦٠٣
أغراض تزوج النبي ﷺ ٦٠٤

البدع

ما هي البدع ٦١١
البدعة وضابطها ، وهل هناك بدعة حسنة ٦١٢
كيف يتعامل السني مع المبتدع ٦١٣
المراد بالوسط في الدين ٦١٥
الاحتفال بالمولد النبوي ٦١٨
الفرق بين أسبوع «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» و «الاحتفال بالمولد» ٦٢٤

حكم إقامة الأسابيع كأسبوع المساجد ، وأسبوع الشجرة ٦٢٤
حكم الاحتفال بعيد الأم ٦٢٥
حكم جعل مديح النبي ﷺ تجارة ٦٢٦
حكم استئجار القارئ للقراءة على روح الميت ٦٢٧
حكم الاجتماع عند القبر والقراءة عنده والدعاء عنده ٦٢٨
حكم إظهار الفرح والسرور بيوم العيد ٦٣٨
حكم التمسح بالكعبة والركن اليماني طلبا للبركة ٦٤٠
الورقة التي تسمى « رحلة سعيدة » ٦٤٠
بطاقة بدعية من بعض الصوفية ٦٤٤
الحداثـة ٦٤٨
الإنشاد الديني ٦٥١
قراءة القرءان على الميت ٦٥٢
إيقاد الشموع على القبور ليلة العيد ٦٥٣
الرد على منكري بعض الأحاديث ٦٥٤

التصـــوير

حكم التصوير الفوتوغرافي ٦٦١
حكم لبس الثياب التي فيها صور ٦٦٢
حكم رسم ذوات الأرواح ٦٦٢
حكم تعليق الصور على الجدران ٦٦٣
إتلاف الرأس في الصور ٦٦٦
التصوير في الامتحان ، والمجلات والتلفزيون ٦٧٣
حكم صور الكرتون ، وظهور المشائخ في التلفزيون ٦٧٧
استثناء لعب الأطفال من التصوير ٦٧٩
حكم إقامة مجسم للقلب لأجل التذكير ٦٨٢
توضيح إشكال عن حديث « إنَّ أشدَّ النَّاس عذابًا .. » ٦٨٢
الصور للصغار ٦٨٣
العرائس التي تتكلم وتبكي ٦٨٤
الفرق بين صنع اللعب وشرائها ٦٨٥

التصوير في الامتحان ٦٨٦
هل يلزم طمس صور الكتب ٦٨٧
حكم إلباس الصبي الثياب بها صور ٦٨٨
النظر لصور النساء ٦٨٨
معنى الحديث « إلا رَقْمًا في ثوب » ٦٩١
رسالة – رد – في التصوير ٦٩٣

حفظ المنطق

حكم قول : « لم تسمح لي الظروف » و« لم يسمح لي الوقت » ٦٩٥
حكم القسم بقول «وحياة الله» ، وقولهم «حرام على ربنا أن تفعل كذا» ٦٩٥
حكم قول : حرام عليك أن تفعل كذا ٦٩٧
حكم عبارة « تحياتنا » ٦٩٨
حكم ألفاظ « جلالة » و« صاحب الجلالة » ٦٩٩
حكم قولهم « يا رحمة الله » ٦٩٩
حكم قولهم « إلى والدي العزيز » ٧٠٠
حكم قولهم « لولا الله وفلان » ٧٠١
حكم قولهم « الشهيد فلان » ٧٠٢
حك التسمي بـ « إيمان » ٧٠٣
حكم قولهم « السيدة عائشة رضي الله عنها » ٧٠٤
حكم ثناء الإنسان على نفسه ٧٠٥
حكم قول « الله ورسوله أعلم » ٧٠٦
حكم قول « السيد » ٧٠٧
حكم قول « ما حكم الإسلام » ٧٠٨
مصطلح « مفكر إسلامي » و« فكر إسلامي » ٧٠٩
لقب « شيخ الإسلام » ٧٠٩
قول العامة : « تباركت علينا » و« زارتنا البركة » ٧١٠
قولهم : « ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا » ٧١١
قولهم : « لك الله » ٧١٢

قولهم : «لا قدّر الله» ٧١٢
قولهم : «المغفور له» ، و«فلان المرحوم» ٧١٣
قولهم : «لا سمح الله» ٧١٤
قولهم : «يعلم الله كذا وكذا» ٧١٤
قولهم : «يا هادي يا دليل» ٧١٥
قولهم : «دفن في مثواه الأخير» ٧١٥
قولهم : «يا مولاي» للملك ٧١٦
لعن الشيطان ٧١٧
قولهم : «أطال الله بقاءك» ٧١٨
قولهم : «الله غير مادي» ٧١٩
قولهم : «المادة لا تفنى ...» ٧١٩
قولهم : «أنا مؤمن إن شاء الله» ٧٢٠
قولهم : «يا عبدى» و«يا أمتي» ٧٢١
قولهم : «يارب البيت» ٧٢٢
التسمي بـ «قاضي القضاة» ٧٢٣
قولهم : «هذا نوء محمود» ٧٢٤
قولهم : «والله وحياتك» ٧٢٥
قولهم : «تكهنت مصادر مطلعة» ٧٢٥
ألقاب : «حجة الله» - «حجة الإسلام» - «آية الله» ٧٢٦
قولهم : «سبب تخلف المسلمين تمسكهم بدينهم» ٧٢٦
حديث : «الدنيا ملعونة» ٧٣٠
هل تصحيح الألفاظ غير مهم مع سلامة القلب ٧٣٠
قولهم : «الإنسان يتكون من عنصرين» ٧٣١
قولهم : «الله ما يضرب بعصىٰ». ٧٣٤
إطلاق «كتب التراث» على «كتب السلف» ٧٣٥
من الذي يستحق أن يوصف بالسيادة ٧٣٦
قولهم : «أعطني ... الله لا يهينك» ٧٣٧
قولهم : «بفضل فلان تغير هذا الأمر» ٧٣٧
وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق ٧٣٨

عبارة : « فال الله ، ولا فالك » ٧٣٩
إطلاق لفظ « أمهات المؤمنين » على بعض الزوجات ٧٣٩
قولهم : « وجه الله إلا أن تأكل » ٧٤٠
قول الإنسان : « أنا حر » ٧٤٠
قول بعض الخطباء : « التقى إله وشيطان » ٧٤١
قولهم : « ما صدقت على الله » ٧٤٤
قولهم : « الله يسأل عن حالك » ٧٤٤
تسمية بعض الزهور بـ « عبّاد الشمس » ٧٤٥
قولهم : « لا حول الله » ٧٤٥
قولهم : « راعني » ٧٤٦
قولهم : « هذا زمان أقشر » أو « الزمن غدار » ٧٤٦
قولهم : « يا حاج » و« سيد فلان » ٧٤٧
قولهم : « حرية الفكر » ٧٤٨
قولهم : مسّاك الله بالخير » ٧٤٩
قولهم : فلان ربنا افتكره » ٧٥٠
قولهم للميت ﴿ يأأيتها النفس المطمئنة ﴾ ٧٥٠
قولهم : « فلان المرحوم » ٧٥١
قولهم : « المثل الأعلى » ٧٥١
كتابة « الله » ، وبجوارها « محمد ﷺ » ٧٥٢
قولهم : « لو أني فعلت كذا » ، و« لعنة الله على المرض » ٧٥٢
قولهم : « العصمة لله وحده » ٧٥٣
قولهم : « على هواك » ٧٥٤
قولهم : « المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين » ٧٥٤
قولهم : « أوجد الله كذا » ٧٥٥
قولهم : « بسم الوطن » - « بسم الشعب » - « بسم العروبة » ٧٥٥
قولهم : « أنا نصراني لو فعلت كذا » ٧٥٦
قولهم : خسرت في الحج كذا ٧٥٦
قولهم : « أنت يا فلان خليفة الله في أرضه » ٧٥٧
قولهم : « من المتوفي » - للميت ٧٥٧

متفرقات

ورود السماء والأرض في القرءان بصيغة الجمع والإفراد ٧٦١
مشاهد الإسراء مع عدم قيام الساعة ٧٦٢
الفرق بين الروح والنفس ٧٦٣
إمامة المرأة للرجل ٧٦٤
الزيادة في القنوت ٧٦٥
رهن النبي ﷺ درعه عند اليهودي دون الصحابة ٧٦٦
العمل بالبنوك ٧٦٦
العمل بالمحاماة ٧٦٧
اللحوم المستوردة ٧٦٨
حبوب منع الحمل ٧٧٢
الطلاق في الحيض ٧٧٥
عدة الطلاق ٧٧٦
الجهاد في فلسطين ٧٧٧
تعدد الجماعات ، وجماعة التبليغ ٧٧٨
امتهان الصحف ٧٨٥
دفن الشعر والأظافر ٧٨٦
الخجل من ملابس العرب أمام الكفار ٧٨٧
طاعة ولاة الأمور في غير معصية ٧٩٠
لقطة مكة ٧٩٢
مرض المؤمن نفسيا ٧٩٣
قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ٧٩٦